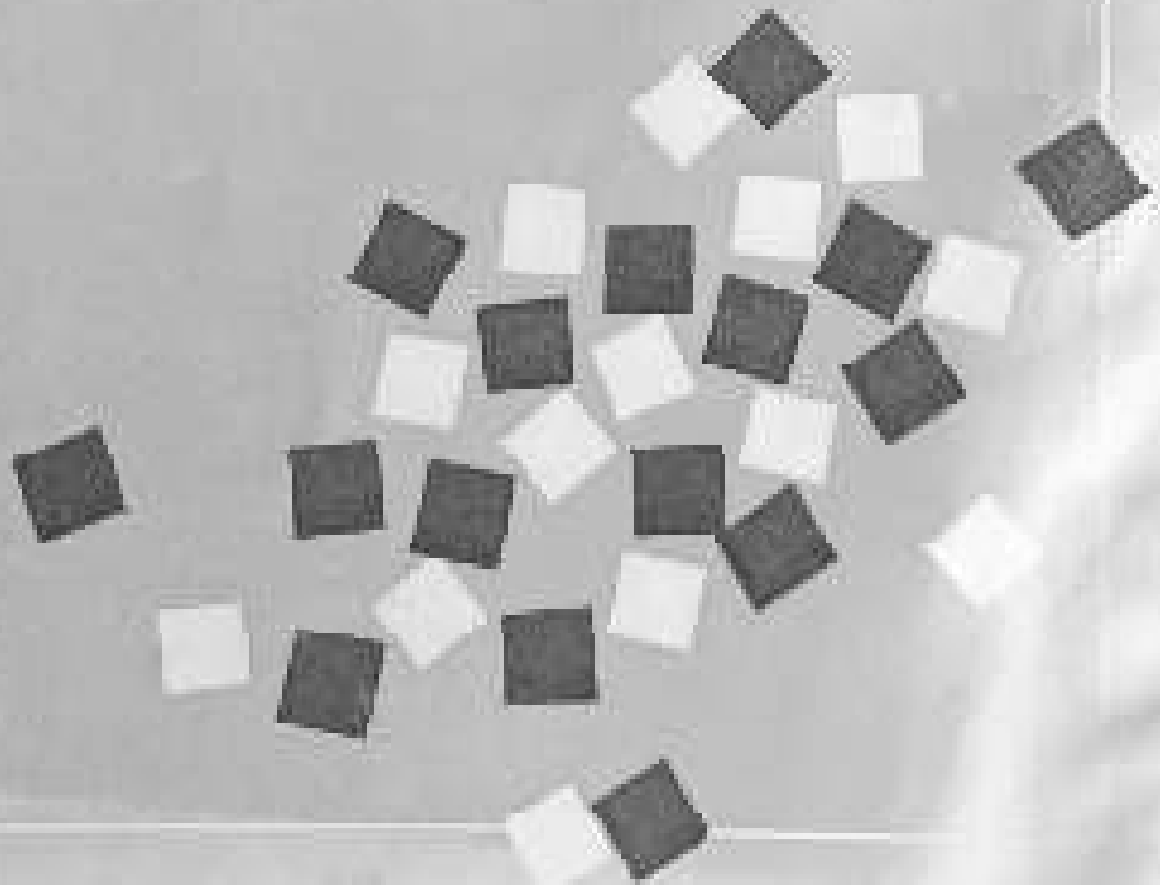




مجلة كلية الآداب



١٣٨٨ هـ
١٩٦٨ م

المجلد الثاني

مجلة كلية الآداب

تحت إشراف

والدكتور في الأبحاث الأدبية في مختلف

فروع الدراسات الإنسانية

تكون للدراسات والأبحاث

كلية الآداب

الجامعة اللبنانية - بيروت

المجلة لا تقبل من أي نوع من أنواع التعديلات أو
الاستخدامات غير القانونية أو التي قد تضر
السمعة أو المصداقية للكلية أو الجامعة
البيروتية - بيروت - ولا يجوز أن تكون
مكتوبة من أي نوع من أنواع

شمار: ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠

مجلة
كلية الآداب



الجامعة الزيتونية

مجلة
كلية الآداب

رئيس التحرير
الدكتور مختار مصطفى بوزرد

مدير التحرير
الدكتور عبد الرحمن بدوي

السكك الشافعي

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

فهرس المحتل

ص

تقديم : الدكتور مختار مصطفى نور ٧

مقالات باللغة العربية

- ١ - د. لراحم تدمي : « تيركيديس » ٩
- ٢ - د. حسان محفور : « مدن الامارات في العصر الكبري » ... ١٥
- ٣ - د. عبد الرحمن بلعوي : « الفلسفة التوريثية في المصادر العربية » ٩٩
- ٤ - عبد الله مكنون : « الشيخ أحمد زروق » دليل مصراته ... ١٢٩
- ٥ - هان لكناك : « الثقافة البنية والرجعة والشر » ... ١٦٥
- ٦ - د. نوري جعفر : « آراء في شعر طيبة الأمانة عبد الحنان والعلامة ١٩٣
- ٧ - د. عبد الرحمن بلوي : « نقد الكتب ٢٣٥
- ٨ - أخبار علمية : المؤتمر التاريخي : ليبيا عبر العصور - مشروع تعاون الصبي بين جامعة ليبيا وجامعة لندن - لقاء عن المشروع المشترك لدراسة العقائد في العلم موسم بالمحاضرات العامة في كلية الآداب - ملخص بحث تحليلات لربة وعلائها بالاستغلات نوراني في - هل الرج ... ٢٤٩

ملاحظات يدور اللفظ العربية

2.

- ١ - د. جبرلة براك : « المركز التجاري لمصراته : شكله ووظيفته » 9
- ٢ - د. منظر مصطفى برزوق : « تحليل لزينة وعملاته بالاستغلال الزراعي في سهل المرج في بركة » ... 42
- ٣ - الامتاز فرنسكو جبريلي : « المزارعات الحديثة في التوزيع الإسلامي في إيطاليا » ... 71
- ٤ - « الملكية الزراعية والتغير الاقتصادي في طرابلس » ... 86

تقديم

يسر كلية الآداب أن تقدم إلى السادة الباحثين والمهتمين بالعلوم الإنسانية المجلد الثاني من « مجلة كلية الآداب » ، ورغبت أن الفترة الرسمية مطابقة لما بين المجلد الأول والثاني فالتزم أن يؤكد أن هذا الانقطاع ناجم عن أسباب بخارجة عن ارادة الكلية .

ولذا نؤمن بأن الجامعة ليست مجرد مكان لاتقاء المعاصرات وإنما هي مؤسسة لهمهام في الأبحاث ودراسات الاجتماعية خاصة وأن في عالم قريب وسائل المواصلات بين أجزائه وأصبح وحدة واحدة بالإضافة إلى التقدم التكنولوجي جعلت الشئ ينهدد حالنا اليوم .

وليسنا اليوم تشهد تطوراً وتنوعاً اجتماعياً واقتصادياً : حيثما يلزمه تقدم في المجال العلمي الأمر الذي دفع بالكلية إلى الانسجام في هذا الميدان بفتح عوالم البحوث العلمية ومحاولة إبراز أصناف العلماء الذين وجهوا اهتماماً خاصاً إلى ليبيا ، وذلك بالنسبة المجال لهم للانخراط في مجلة تصدر في ليبيا وفي مؤتمرات تدعوا منا هنا للعرض .

ونقد ، بأننا الكلية في العمل في عدة أبحاث مشتركة على المستوى

الوطني والدولي تتناول دراسات من طائفة واسعة من الهيئة العلمية حتى
يمكن أن تساهم التنمية الاجتماعية والاقتصادية على أوسع نطاق علمية سليمة .
لذلك أرجو أن تكون هذه المجلة ملتقى للمهتمين بالشؤون العلمية عامة
والإسلامية خاصة .

والمجلة تصدر سنوية «موقعا» ، ونرجو أن يكون في الوسع إصدار
أسبق من عدد في العام .

كما أرجو أن تكون هذه المجلة حجرة الزاوية في مجال البحوث العلمية
في العلوم الإنسانية وأن تسهم في نهضة ليبيا الثقافية التي أرمي دعائها
رأسي النهضة العلمية مولانا الملك المعظم حفظه الله .

وكلنا أمل في أن ينظم صدورها حتى تقوم بدورها في البحث العلمي .

والله ولي التوفيق .

دكتور مختار مصطفى بورو

عميد الكلية

توكيديديس

للكونواهم نصيحي
الكتابة بكتابة الآداب بكتابة اليد بكتابة

لم يكن الاخرين ثون من سجنو أحداث الماضي وان كانوا هم الذين
خلقوا التاريخ بالحق الذي يفهمه المحدثون ، ولم يكن توكيديديس
(Thukydides) أول المؤرخين الاخرين ولا كان أول من سمى
تاريخهم المعاصر على الإطلاق . وبدلوا كلمة *historia* الاغريقية
كان أملاً البحث في قواعد الطبيعة . وبين أن هككيوس (Hecataeus)
التي (نسبة إلى مدينة ملطية أو « ميخوس » الأيونية على شاطئ
الأنابول) كان أول من نقل البحث : من ميدان الطبيعة بوجه عام
إلى ميدان واحد بعينه وهو العلم الشأوني : آفاتييه ومكانه . وكان حصل
« كايوس » في أوله القرن السادس وأواس الثلث قبل الميلاد -
مرحلة عامة في القضاء على ما كان مألوفاً عند الاخرين من رواية أحداث
الماضي بكل ما تضمنه من قصص وأساطير وثناقص واضطراب ، وفي
نشأة التاريخ الذي يجمع المعلومات المبررة من أهم العلم ويمررها بعد

عنها وتجميعها قدر المستطاع^١.

وقد خط هذه الخطوة هرودوتوس : وهو الذي انقضى أثر هكتايوس في تناول الاقاليم والشعوب بالدراسة باعتبار أنها جميعاً تؤولف و- سنة واحدة ، غير أن هرودوتوس وجه جل اهتمامه إلى دراسة الشعوب ، ويستهل هرودوتوس « تاريخه » - وهو يقع في تسعة كتب - بقوله انه يهدف إلى كتابة تاريخ الصراع بين الاغريق والفرس . وقد مهد مقدمة هذا الصراع منذ بداية الثورة الأيونية في عام ٥٠٠ - ٤٩٩ ق. م. حتى فشل غزوة اجزركس في عام ٤٨٠ - ٤٧٩ ق. م. باستعراض منشأ الصراع بين الشرق والغرب ووصف قيام الامبراطورية الفارسية وكذلك قيام أكبر دولتين افريقيين : أثينا واسبرطة . ومن اليسر على من يتصفح « تاريخ » هرودوتوس أن يبين :

أولاً - ان ما كتبه هرودوتوس بوصفه تاريخاً للصراع بين الاغريق والفرس عبارة في واقع الأمر عن تاريخ الشرق الأدنى .

ثانياً - انه يتخلل هذا التاريخ استطلاعات كثيرة قد تطول أحياناً وقد تقصر أحياناً أخرى ، وهي تصور حوض وصف البلاد وأهلها .

ثالثاً - انه يتضمن السائد من المعلومات أو المعتقدات عن الرقائع القارية أو البحرية بل عن الناس بوجه عام على نحو ما كانت معروفة لدى الاغريق حينئذ .

(١) - تابع .

POWELL L., *Early Indian Historians*, Ch. 2 (Ibid., pp. 100-8); CHRY, M. and HANSEN, L.H., *The Phoenicians in the Greek and Roman World*, 1917, p. 100; ROSE, H. J. *Handbook of Greek Literature*, 1896, pp. 710-1, Strabo, III, *The Story That Was Greece*, 1880, p. 104.

رابعاً - إن هذا التاريخ يتناول عدداً كبيراً من الموضوعات الخاصة ،
ويستمد مادته من مصادر مختلفة : وثائق ظهر يجمع بين
المصادر المسجلة والمعتقدات الشعبية والروايات المنوثة وأخيراً
الشعر الشعبي .

ولا جدال في أن هروودونوس بذلك جليلاً في تحقيق ما تاهى إليه
من المعلومات ، بليل أنه كثيراً ما تخلفنا في التاريخ ، هذه القصة
ويقول الناس ذلك ولكني لأصدقهم ، وحيثما كان يدق عليه تيقن
وجه الحقيقة فجدد يقول : ما كنت لأدري ما قد تكون الحقيقة : فإني
أدري الحقيقة على نحو ما رويت في . بيد أنه كان لا يرى شيئاً لهذا
ناقطة ما يصل إلى حله من النبوءات التي كانت تحصل عن مواكب
الرحى المبرورة حتى لو كان فعلاً يتم بجلاء من زيفها ، وإذا كان
جزء العبارة كثيراً على الرصيف : فانه كان أقل قنوة على الصخرة بين
الفت والسم من المعلومات في الجبال صخرة ، وحل السبل اللقيت وحل
نهم كنه الأحداث البنية وأبعدنا في أكثر الأحيان .

ولقد أوديت مسحة هروودونوس أدنى بيعة في حراً في اللغات
الأوروبية الحديثة من تطور على مدلول الكلمات المتحيزة عن الأفريقية
من تكتب mythos ، فهذه الكلمة متماثلة في الأفريقية قصة قد
تكون حقيقية وقد لا تكون ، أما كلمة mylla في اللغات الأوروبية
الحديثة فتعني أسطورة ، وكلمة أسطورة تعني ضعفاً قصة غير حقيقية .
ولا كان التاريخ ، هروودونوس يصف قصصاً كثيرة ، فقد وصف
هذا التاريخ بأنه محشو بالأساطير ، ووصف هروودونوس بأنه مبالغ أو
كاذب ، أو رواية ثرائل بطوره الأمل في أن يخلق تراثه أو سامعه
بالهوية قصتها التي خصص بها أولئك الذين استمد منهم معلوماته . بيد أنه
من الأهداف لروودونوس أن يسجل أن البحث حديث قد أثبت أن

التي هي التاريخية المعروفة : تاريخه مختلف ، لا من كتاب إلى كتاب ، لم يصب إلى من فقرة إلى فقرة وجملة إلى جملة بل من سطر إلى سطر ، ولذلك فإن الجميع في الحكم على هذا التاريخ يكون ضرباً من المجازفة غير المقبولة علمياً .

وأما من الخط ما يوثق على هرودوتوس فيه إلى تفسير الأحداث بعاملين رئيسيين : أحدهما العواطف والرياسات الشخصية وبوجه خاص دور المرأة : والآخر الإرادة الإلهية ، أو هذين العاملين معاً حتى ليسوا على حد قول البعض وكأنه قد جعل شعوره : البحث عن المرأة ولا تغفل الله (Cherchez la femme et n'oubliez pas le dieu) غير أنه نجب الإشارة هنا إلى أن كثرة الديانة هرودوتوس إلى تفسير الأحداث بتأثير الآفة في تحرير مصائر البشر يعكس بخلاف النظرة الاغريقية إلى حياة الناس ، فقد كانوا يعتبرون مصائر الأفراد والمجتمعات بخلاف تحقيق العدل الإلهي . فالإرادة الإلهية في شعرهم ذاتية العمل سواء للانظام من أوتوا قدراً وإلزاماً من الخط السعيد والرفاهية البالغة فسلحكم القور والصلف ، أم لتحقيق العدالة الأبدية بمعاقبة الميئين على ما ارتكبوا من شرور وآثام . وإن هذه المعتقدات التي تلقاها في كل العصور ليست سكتاً بلزاً في تاريخ هرودوتوس إنما هي تلك التي تعكس في التراجمها الاغريقية . وقصة كل من كرويسوس وبوليكراتس ونيسز وإركسيلاتوس الثالث وعقوبه طراداة على نحو ما أوردها هرودوتوس غير مثل على ذلك .

ومن الواضح أن هرودوتوس اتخذ من كتابة التاريخ على حفا الكسر ومهارة أدب التراجم الأخلاقي انفاضلة ، ولذلك فإنه يجوز اتهام هرودوتوس بتحرير أحداثه تبعاً لما يخرجه منها يتخذى لخلقها ويجعلها مشوقة وأفضل كراً في النفس . وبطبيعة الحال ليس هذا الضرب من التأليف تاريخاً .

فلو ربح يجب أن يجرى الدقة قبل كل شيء ، وإن يتجنب الناس
 باستقائي ، وإن كان له أن يفسرها كما يرمى له ، بيد أنه إذا كان
 « تاريخ » هرودوتوس يتضمن الكثير مما لا يمكن اعتباره تاريخاً جدياً ،
 فإنه ليس معنى ذلك أنه يمكن اعتباره كل هذا التاريخ غير جدي ،
 بل يجب أن نحكم على كل لغة بل كل عبارة فيه رقياً بقيمتها
 الذاتية^(١) .

وجعله يقول إن هرودوتوس كان كاتباً موضوعياً ، واضح الألف ،
 ذكي التواضع ، طلي الدقة ، شغوفاً بتسجيل الطريف والغريب ، عادلاً
 في الوصف ، قديراً على صياغة ما يسمعه من القصص بأسلوب غلب
 فياضه بشارب بانباء السامع فاستحوذ عليه وبتروح منه الأصحاب انزعاجاً ،
 لكن هرودوتوس لم يربح قدراً كاملاً من الدقة ابتداءً بل دقة انتدابيل وتواريخ
 الأحداث وتحليل الأخير وقصدها وانفرد به بين الحقالق والأساطير . وبرغم
 ذلك كله فإنه خلق نمطان مألوف في تاريخ الإنسان والحضارة : فهو
 كما وصفه فيثرون^(٢) ، « أبو التاريخ » ، لأنه أول من سألج للتاريخ
 لا بوصفه مجموعة حكايات شائعة عن الآلهة والشر وإنما بوصفه موضوع
 بحث علمي ، « لأنه هو الذي خلق فلسفة التاريخ » وإن كانت فلسفته
 بدنية ترجع أسسها إلى أفكار المسنة بين أواسط الخامس في عصره .

...

(١) راجع

Goheen, A. H., Herodotus, Loeb Class Lib., 1904-5, 2 vols.; Myers, J. L.,
 Herodotus, Father of History, 1952, pp. 170; Meier, Erwin, 1951
 Herodotus, C.A.B., vol. 7, 1952, pp. 208 ff. (E.H.E. pp. 69-101); Bernard,
 A., Greek civilization, 1931, by A. Coates 1934, 1935, pp. 120 ff. Meier,
 A. L., The Greek Historians, pp. 1-31; Vagstad, E., Order and History,
 II, 1930, pp. 21 ff., 232 ff. (Columbia Univ. Lib. 1930).

Coates, A. L., pp. 1-31, 232 ff. (Columbia Univ. Lib. 1930).

وحيث كان هروودنوس العجوز يفتقر « تاريخه » : كان العالم الاغريقي يستقبل عصرًا جديدًا من الصراع يتطلب مؤرخًا لديه فيه روح ذلك العصر الذي اشتهر فيه التعليم إلى حد أن كل مواطن أثيني كان يستطيع الترميز والكتابة ، وبذلك ، فيه الثقافة مستوى لم يعرفه العالم القديم من قبل ، والواقع أن نجوة واسعة كانت تفصل هروودنوس عن الجبل الذي يقف حول بريكس - هي نجوة أحدثها الثقافة التي نشرها أعلام المصنفين . ويرغم أن فلاجيل توكيديس وبيرونيجوراس كانوا يجادلون تبادلًا واسعًا في مسائلهم وأعلامهم ، فإنهم كان يحسمون مبدأ مشترك يقول بأن التفكير يجب أن يكون جليًا واضحًا وأن قوة العقل هي أسس القوى وأعمالها تحررًا . ومن ثمة إذا لم تكن تفصيل إلا سنوات للال بين اليوم الذي انتهى له هروودنوس من تصنيف « تاريخه » واليوم الذي بدأ فيه توكيديس كتابة « تاريخه » ، فإن هناك ذاقًا حلالًا ورويًا شامعًا بين هذين المؤرخين سواء في طريقة التفكير وفي طريقة كتابة التاريخ . ذلك أن المؤرخ الأثيني توكيديس كان من بين أبناء الجيل الجديد الذين تأثروا ببرمقراطية الأثينا الذين من أعلام التفكير .

وقد رحلت إلينا من العصور القديمة ثلاثة تواريخ لحق توكيديس ويستوقف النظر على الفور أن هذه التواريخ تتضارب مع بعضها بعضًا حول تفاصيل حياة مؤرخنا ، فهي لا تثني عادة إلا حينًا نادرًا على ما أورده توكيديس من إشارات عامة إلى شخصه في مؤلفه . ويمكن الحصول على معلومات إضافية عن حياة توكيديس من طرائف متفرقة

(Harris, *Greek History and Greek Literature*, p. 374)

أ. يقول أحد علماء التواريخ أن مقتضى ما كتبه توكيديس في كتابه ليس شرح وافيًا بل هو عرض ، من الصراع الفكري . وبما أن توكيديس كان يعيش في القرن الخامس الميلادي ، وصاحب التاريخ الذي كتبه في القرن الرابع قبل الميلاد ، فإننا نحاط به من جوانب ثمة فجوة عازلة توكيديس ، كشأنه في القرن الذي ولد فيه ، والقرن الذي عاش فيه ، والقرن الذي كتب فيه .

في سبب عدم من الكتاب أقدماء الآخرين مثل ديونيسيوس أفليكراتسي¹ وبلوتارخ² ورومانوس³. ومع ذلك طاله ليست لدينا حقائق يمكن الوثوق بها عن حياة توكيديس إلا القليل الذي نستمد من مؤلفه حيث يقول إنه في أولوروس (Olors)⁴ ، وأنه بدأ في جمع المادة اللازمة مؤلفه عند بداية الحرب البلوبونيزية⁵ ، وأنه عاش طوال الحرب متبعاً هراها بضايه شديده يئسني له الحسول على معلومات دقيقة وكان ليس من ما يمكنه من تكوين آراء واضحة⁶ ، وأنه مرض بالطاعون⁷ (وهو الذي اجتاح أثينا في عام 430 ق. م.) ، وأنه كان أحد القائلين الذين انتخبهم الأثينيون لقيادة حملة في كراتيا⁸ - حيث كان لديه رجوع باستعداد بعض مناجم⁹ ، هناك¹⁰ - لكنه فشل في إقناع مدينة أفسيدليس من الوقوع في قبضة القائد الأمبراطوري برسيداس¹¹ ، فقرر الأثينيون قتل توكيديس (في عام 404 ق. م.) وبقي في المنفى عشرين عاماً وبذلك أتاحت له فرصة التعرف على كافة أسواق الغربين المتحاربين¹².

أما باقي معلوماتنا عن توكيديس فإنها تعتمد إلى حد كبير على الاستبطان¹³ ، وإذا كان بعضها يكاد أن يكون مؤكداً فإن الأمر ليس كذلك فيما يخص البعض الآخر. ويجب ما كتبه توكيديس¹⁴ أنه أمر يدر شعلاً وهو أن قرار قتل توكيديس كان بناء على الفراع كليون وكان غلبة في ألوج مطوية وقوله بوصفه من أنساب الساسة الأثينيين. وحصل كذلك أن المهمة التي وجهت إليه كانت الخيانة على نحو ما يذكر

(1) Phil. Hist. by Phil. Historia Indica: The Royal Letter to Artabanus (Rp. Arrian).

(2) Phil. Chronos. 17.

(3) Philon. 1. 1. 32.

(4) 17. 114. 4.

(5) 1. 1. 1.

(6) 7. 21. 1.

(7) 11. 48. 2.

(8) 19. 104. 4.

(9) 17. 108. 1.

(10) 16. 104.

(11) 7. 26. 3.

(12) 1. 48.

مركيوس^١ ، والحقه الذي كتب تاريخ حياة ثوكيديدس ولا تعرف
لحمه^٢ ، وهو ما يبدو أنه تم عنه عبارة اريستوفانس في رواية
الزباب^٣ . ولم يبق هناك مرة واحدة من الباحثين المحصلين بل
إخلاص ثوكيديدس لوصفه ، لكنه ما أنصر ما كانت لهم تلك الزاوة
في ألبا ولا سيما لقائه برومانه الوثيق^٤ ، والواقع أن فشل ثوكيديدس في
اتخاذ انطويوس يجب أن يحصل تبعه لاكتيرون أنفسهم لأنهم بدلاً من
التخذ ترتيبات كافية للدفاع عن تروايا أمام تحركات قائد في على براحة
بوسيدون^٥ . وكان أمير اتحاد الإمبراطين - شغلوا بشؤون حداثتهم
موفقاً طبعاً يونيا^٦ . ولا كان ثوكيديدس يشك أن مواطنيه سيركبون
ردوسهم كخاضع قدامي لسيادتهم عزيزة ويتولون تقدمهم بالقدرة دون تجري
الكميات الحقيقة ، على آثر عام لفردة لوصفه . وعندما تفرر الأثينيون
عني ثوكيديدس لم يزد على إثبات هذا القرار في تاريخه دون أن
يتوقف مثله للدفع عن نفسه أو لإخلاء المسؤولين عما حدث . ويبدو
أنه بعد مرور هذا القرار عني ثوكيديدس جدياً كبيراً من وقته في
التفكير من مكان إلى آخر سعياً وراء جميع المعلومات عن سير الحرب .
ومعرفته الوثيقة بالأماكن التي يصفها في أثناء الحديث عن حملة حنبعل
تدعي بأنه علم الضرورة كتابة بين الأماكن التي زارها^٧ . وهكذا
لوستيليس بأن قرار استدعاء ثوكيديدس من المضي كان باد على الاقتراح
الذي تقدم به المواطن الأثيني لونيوس^٨ ، ويرجح أنه كان ابن
ديكس . مثل ثوكيديدس في قيادة حملة تروايا (عام ٤١٤) .



1982

131 459 710 24

[6] KIES, HBL, UG GEMMA, 1974, p. 108. VAGNET, op cit., p. 103.

(5) *Shahjahan's History of History*, Cal. Civ. Serv. Exam. p. 102; *Ram. Handbook of Great Literature*, 1964 p. 231.

Oct 17, 1991

W. H. Freeman, London, 1964, 2nd ed., 1, 1968, P. 2.

وقد كان اسم والد نوكيديدس ياتلى اسم أمير تراقي كان يدعى أيضاً
 أولوروس ، وكانت هجسيبولي (Hegesipyle) ابنة هذا الأمير
 قد تزوجت فرعيماً الأثينى المشهور ميلياس والد فرعيماً الأثينى كيكون ،
 بعدما بلوتارخ بأن مذبذبة نوكيديدس كانت توجد في إحدى ضواحي
 أثينا بالقرب من مقدوني عشرين الرعيين^١ . وإذا صح ما يرويه
 مركليوس من أن والدة نوكيديدس كانت تدعى هجسيبولي على والدة
 كيكون ، ومن أن أسرة نوكرايس كان^٢ ، فذلك منهم ظهر^٣ .
 هولي (Boag's life) يقرأ^٤ - ربما كذلك - ما يرويه بلوتارخ
 من أنه قد صرح بحق سلال بعض مناحم الذهب في تراقيا - أنه لا يعد
 أن والد نوكيديدس كان أحد الأقرب سمي الأمير التراقي أولوروس
 وأن نوكيديدس كان من ذوى قريب كيكون وإن كان أحسن من هذا
 فرعيماً وهو من جيل^٥ . وإذا كنا لا نستطيع من عباراته بلوتارخ
 البهمة^٦ هل وراث نوكيديدس للمناحم التراقية : فإن مركليوس يقول
 صراحة بأنها كانت ملكاً تزوجته^٧ .

والتضارب مصادرة حول تاريخ ميلاد نوكيديدس ، ذلك أن مركليوس
 يقول إنه عندما توفي نوكيديدس كان قد نهب على الحسين من عمره^٨ .
 وهذا لا ينفق مع ما لورده أولريوس جليوس^٩ (Aulus Gellius)
 نقلاً عن سيده تدعى بافيللا عشت في عصر نيرون (٥٤ - ٩٨ م)
 وشغلت بالقرأة والبحث ويبدو أن تمار قرأتها فجمعت لغواً كثيراً
 من العلوكت ونشرتها (Synmiata historika hypomnemata) وقد
 قتل أولريوس بطرس من بافيللا أنه عند بداية الحرب البلوبونيزية

(١) Plut., Cim., 29.

(٢) ١ ٢

(٣) Plut., Cim., 29.

(٤) Plut., Cim., 29.

(٥) Marcell., 13.

(٦) Marcell., 14.

(٧) A. Gell. Noct. Attic., XV, 23.

كان الزوج الموثق بدياقوس يبلغ الخامسة والستين سنة مسروراً
ومروراً بولس الثالث والحسين وتوكيديس الأربعين ، ومعنى ذلك أن
يكون توكيديس له ثمان السبعين سنة وقتاً ، ولا يساعد على ترجيح
أحد هذين المفسرين على الآخر ما يورد توكيديس نفسه من أنه بدأ
في جمع هذه التاريخ منذ بداية الحرب⁽¹⁾ ، وكان له من السن ما يك
من تكبر في آراء الخليفة⁽²⁾ . ولذا فلك يرى بعض الباحثين أن توكيديس
ولد حوالي عام ٤٦٠ ق.م. على حين أن البعض الآخر يرون أنه ولد
حوالي عام ٤٤٠ . والواقع أنه من الصعب في ضوء معلوماته الحالية تحديد
أحد هذين الرأيين على الآخر .

وتؤكد المصادر القديمة أن توكيديس توفي فجأة ، ويبدو أن بدء
ذلك انهاء ، غريباً ، فجأة على نحو ما ستبينه فيما بعد ، ولا يُعرف على
وجه اليقين إذا كان توكيديس قد صرعه لمرض أو داء قبيحاً أم أن توفى
عقب مرض بزل به وقضى عليه ، ذلك أنه بلوغه عند ذلك بله من
في مكانه عراً ، عاقاً⁽³⁾ ، فيما يقول بلوسانياس أنه قتل في ذلك
المرحلة إن كذا⁽⁴⁾ . على حين أن ماركيتيوس يقول بأنه مرض عذب
عودته من المعركة وتوفي في ثياب⁽⁵⁾ حيث دفن⁽⁶⁾ . ولعل هذا هو الأرجح
بمايلي فورتني التي يشار أنه أصابها زل النص بعد عام ٤١٠ ق.م. وسواء
ألم توكيديس ربه قبيحاً أم مريضاً ، وسواء لحدث ذلك في تراقيا أم
في أيها ثم في الطريق إليها ، فك قول⁽⁷⁾ أنني قُتيت من وطني لمسة
عشرين عاماً بعد ما توليت القيادة في سترابولس⁽⁸⁾ ، بله على أنه
عشر على ما بعد انهاء مدة قيده . وكل ما يمكن الذهاب إليه هو لعل

(1) ١, ٦٦ (2) ٧, ٢٨, ٤

(3) Phil. Cim. IV (4) Pagan. 1, 28, 9 (5) Marcell. 20.

(6) Cf. Cassius. Theodosian. 3rd ed., Irenae. p. 300A.

(7) ٧, 28, 5.

في هذا الصدد هو أن ثوكيديدس لوثي حوالي عام ٤١٠ ق. م. ١

ولا نعرف شيئاً عن ثوكيديدس في حياته إلا القصة الطريفة التي ردها نكتير من الكتاب القديما^٢ ، وفحواها أن ثوكيديدس عندما كان لا يزال صغيراً وسمع هرودوتوس وهو ينظر على الناس جزءاً من المرفق في اوليسيا أثناء ما سمع إلى حد أنه يكنى لفرط تأثره ، وعندما قال هرودوتوس غاملاً والد ثوكيديدس : « اولودوس أن عقلك يتأجج بحب المعرفة » . بيد أن لوكيانوس لا يشير إلى ذلك وهو يصف ما كان بهارة هرودوتوس في اوليسيا من أثر قوي في الناس^٣ . وعلى كل حال فإنه إذا كان ثوكيديدس لم يسمع إلى هرودوتوس في اوليسيا ، فلا بد من أن يكون قد عرفه فيما بعد في أثينا . وأما فترة شباب ثوكيديدس ومهنة رجوله فقد كانت معاصرة لوقت الذي كانت فيه أثينا وفرة الفنون في عطاء الرجال من أمثال بريكس وبروتاجوراس وموطوكلس وبوريديمس وأريستوفانس ، والخطيب اثينيون ، والمثاليين فيدياس وبوليخيتوس واكتينوم وكاليكراتس . ولا جدال في أن الحياة في تلك فترة بكل هؤلاء الأعلام ، والافتاد من ثمار عملهم القرائح الوافدة : غير ما يفسر لنصوح عبقرية ثوكيديدس وإزدهارها ، وإزاء وجود بعض وجوه الشبه بين أسلوب ثوكيديدس وأسلوب اثينيون قبل إنه ثوكيديدس نفسه من هذا النمط القوي ، وهو الذي أثناء مؤرخنا في أعزاه بقدرته الخطابية ، كما قيل أيضاً أن ثوكيديدس درس الفلسفة على انكلاجوراس^٤ .

ولا أدل على مكانة ثوكيديدس عند القديما من قول لوكيانوس إن

[1] Cf. Clavier-Schmidt, *Gesch. gr. Literatur*, I, pp. 431-2.

[2] *ibid.*, pp. 434, p. 434.

[3] *Stobaeus*, *Synag.*; *Thucydides*, *Phidias*, *Phil.*, 63; *Marcell.*, 64.

[4] *Lucian*, *Thucyd.*, 1.

[5] *Marcell.*, 33; *Phil.*, *Orat.*, 333 f.

دوسمين قتل بظا ياك و تاريخ : توكيليدس ثنائي مرات ، فلا عجب
 ان قد حاول قليد وانخل عنه كثرون من المؤرخين المتأخرين مثل بيرون
 كامبيوس و جليستوس و ليو تومس و بروكويوس و تالكوتوس و كوينتيليانوس .
 واما عجايب الحلفين بتوكيليدس فانه لا حيلة له وحسبها ان ما يكون كان
 يجره اعظم المؤرخين على الاسناد ، وان يكون سبوات ميل ذهب
 الى حد انه ياك ليل وصف النكبة التي صادفها ثنائي في حصار اعظم
 على ثري في لعب لغات كاذبة .

والآن سنسبر من اولاً في بحار الموضوعات التي تناولها توكيليدس
 في « تاريخ » قبل ان ننقل الى الحديث عن طريقته في التأليف و منهجه
 في البحث والصادر التي استعملها في ايرادها و ايرادها و ايرادها ثم
 يرد ذلك على بعض سبر .

توكيليدس هو صاحب تاريخ الحرب البونونية ، تلك الحرب
 القروس التي انتهت فيها انما احلفاها من فاحة : و اسبحة الخط
 أقل البونون (شبه جزيرة البون) و حقلواهم من ناحية أخرى ، و من
 ثم كان هذه الحرب ضمت كل العالم الاغريقي تقريباً ، بل ان القروس
 استمر لها اسباماً كذا في اكرم في انكاد و ما ان كانت سبحة و صبرين
 طاماً (من عام ٤٣١ حتى عام ٤٠٤ ق . م .) و ان استعمل مؤرخها
 مؤلفه بفرق و ان توكيليدس المكنى كتب تاريخ الحرب التي اشترك فيها
 البونونيين مع الاكرين ، و ان هذا هذا الجس جاد الذي الطريقة
 الحسام لا يتقنه ان هذه الحرب ستكون اعظم من اي حرب سابقة

(١) Leake, *Asia Minor*, 182.

(٢) *Strabo*, op. cit. pp. XV, XVI.

وانعاده بأن القويين كما في أوج قوتها الحرة ولا يقي الآخرين لن يقلوا بمنزلة عن الصراع دون الانضمام إلى جانب أو كسر ، ذلك أنه لم يبق لأمة «حركة» ان أثارت عواطف الآخرين إلى هذا الحد ، بل إنه قد شاركهم في ذلك كثير من الأجانب . ويمكن القول بأن آثار هذه الحرب قد امتدت إلى العالم أجمع . وبسبب انقضاء الزمن لا يمكن إجماع بطابع الأحداث التي سبقت هذه الحرب سواء مباشرة أو بالعمد بعيد ، لكنه استناداً إلى الأتلة التي في راسي الوثائق ما بعد الأعمال في نفسه يبين لي أن لسرد القارة لم تكن عظماء سواء في أوروبا أو في أية ناحية أخرى من نواحيها . ١٠

وبعد أن يقدم توكيلينس لتاريخ الحرب البلغونية مقدمة موجزة لتاريخ بلاد الآخرين منذ عصر مينوس ملك كريت حتى الحروب الدارسية . ١١ . بقلم هيئة ليشتل منج الموزين السابقين ، ومن بينهم بطبيعة الحال هرودوتوس . دون أن يذكر اسم واحد من أولئك المؤرخين ، وهم الذين يأتى جميع أسم لا يفرقون بين لغت والسمين ويلتون كثيراً إلى مصدر الروايات القديمة سواء عن أوطانهم أو عن الأوطان الأخرى دون تمحيصها أو الاستناد على أمثلة الأتلة المسكدة للوصول إلى نتائج يستضيفها البعض . ويرد ذلك إلى أنهم يستعملون نسبة الذين يأتى عليهم ما كتبه . كما هو قائم لنوع بحري الخليفة تحريماً دقيقاً ليدعى قصة مرادفة قد لا تصرب السمعين ولكنها ترسي إلى عين من صورة صحيحة لأحداث وقعت في الماضي ومذكور في المستقبل ، وتكون هذه القصة تراثاً شالداً يفيد من الناس جيلاً بعد جيل : لا قصة حربية تسع ثم تسمى . ١٢ . وهكذا عاد تيمى بخروجه إلى : « أما المزيد فيذهب

[1] ١١

[2] ١٢ - ١٣

[3] ١٤ - ١٥ - ١٦

جنداء وأما ١٠ يقع الثاني فيذكر في الأرض . ٥

وبعد أن يعرض توكيديس على هذا النحو منهجه في البحث ونموذجه من تحري الحقيقة ، يتناول كتاب الحرب ويفرق بين سببها الحقيقي وبين المزايدات التي أفضت إليها مباشرة ١ ، ثم يستطرد إلى وصف بحر عمود أثينا وما انتهى إليه ذلك من إشاعة الخزع بين خصومها ٢ .
ويعرض في جميع أثاره ذلك في كتابه الأول وهو الذي ينتهي عند تطور العلاقات الدبلوماسية بين القرينين ٣ .

وتتناول كتابه الثاني والثالث والرابع وجزء من الخامس قصة الحرب في مرحلتها الأولى : وهي التي عرفت بحرب - نزاع - وانتهت بصلح زيس (Ziss) في عام ٤٢١ ق.م. ووصول هذه المرحلة كانت خطة السيطرة : وهي أقوى دولة الحريقة بريد ٤ مقصورة على غزو أثينا وقت الحصول على كل دعم والحكيم بادلة لأحكام الأثينيين على التمتع في سوسة بريد عامة : وعادة بدد تدور الشقاق بين رعايا الأمبراطورية الأثينية . ولما عطل أثينا ، وهي أقوى دولة الحريقة بحرية ، فلما كانت تفتي بتجنب الاشتباك بوا مع الأسبرطيين ولتضيق ثيابا عريان بين رعايا دون حومة وذلك على جود للسيطرة على طريق التجارة الغربية وتخريب ضواطلي البلونيز ٥ .

وفي بنية الكتاب الخامس يعرض توكيديس الفترة التي أعقبت صلح نيقياس وما سادها من قلق واضطراب وما قام به القرينين في حملتها الجديدة لا - Persia . فقال : وفي الكتاب السادس والسابع يروي مؤرخنا قصة الحصة الكبرى التي ألقاها الأثينيون إلى صقلية في عام ٤١٥ ق.م.

(1) 1. 22 - 68.

(2) 1. 80-117.

(3) 1. 118 - 140.

اعتقاداً منهم أن أسيرة لا تظهر في بلاد الآخرين وأن النصر الحاسم لا يحرز إلا بالسيطرة المطلقة على البحار . ومن أجل هذا كان يجب إدراج المدن الاستراتيجية في إيطاليا ومستقبلية في الإمبراطورية الألمانية ، وبذلك تخلق في وجود الميونيزين كافة الأسواق ويحرمون المورد الباقى الذي كانوا يحصلون منه على الفصح . وتوكيدىس يعطى صورة حية لهذه الحملة المشكورة وما لبني عليها من أدنى تبار وما صاحبها من مخاضات البلاء وعدم الكفاية والفتنة والفتن بما أفضى إياها هزيمة مكررة في البحر وفي البر على السواء في عام ٤١٣ ق. م. ولكى يتفاد الخلع والاضطراب في غرس الأثينيين .

وفي الكتاب الثامن - وهو يؤلف الجزء الأخير من تاريخ الحرب الميونيزية - يشرح توكيدىس الآثار التي نمت حتى هزيمة ثيبا في مدينتها والحدث القدرى الذي نشب في ثيبا في عام ٤١١ ق. م. وجزءاً من حرب دكليا : ولم يتح له القدر ليتم تاريخ الحرب منذ عام ٤١١ حتى نهايتها في عام ٣٨٦ ق. م. ، بل ليتم الحملة الأخيرة في الكتاب الثامن : فلا يجب أنه قيل إن توكيدىس توفي ولفظ في يده^١ . وهذا يفسر لبس في أن مستوى الكتاب الثامن دون مستوى الكتب السبعة الأخرى . لأن الأجل لم يمتد تموزنا حتى مراجع الكتاب الثامن ويمتد

ومنذ العصور القديمة ناز الحملة حول مؤلف الكتاب الثامن . وقد تولى ماركيتوس الرد على ذلك بالفقرة التالية : « رغم البعض أن الكتاب الثامن مزيف وليس من تأليف توكيدىس ، وينسب البعض إلى أنه من تأليف ابنه على حين يقول البعض الآخر إنه من تأليف اجزنفسون

(1) Strabo, op. cit., p. 186

(Xenophon)^١ . ورداً على هذه المزاعم تقول إنه من الواضح أن ليس من تأليف ابته لأنه ليس في مقدور المرأة أن ترقى إلى مثل هذا المستوى الفني الرفيع . ولو أنها كانت موهوبة إلى هذا الحد لا كتبت بلطافاً شخصيتها وما اكتفت بتأليف الكتاب الثامن ولتركت مؤلفات أخرى كثيرة تكشف عن حبسها . وينهض الأسلوب دليلاً ناطقاً مدوياً على أن الكتاب الثامن ليس من تأليف اجرتقون عالون شامع بين الأسلوب الوسيط والأسلوب الرفيع . وهو ليس كذلك من عمل ثيروبوموس^٢ (Theopompus) كما يزعم البعض ، لأنه فيها يبدو ولا سيما في رأي الراسخين في العلم أنه من تأليف توكيديديس نفسه لكنه لم يرأبج ويشتق ، إذ أنه عبارة عن مسودة وبه أجزاء كثيرة بجملة وكان يمكن تسبك والامتناع اليه . وذلك بكل القوا بأن العرض ركوك لأنه فيها يبدو كمن وهو مريض . وعادة عندما يعجز الجسم وعن تضعف كذلك القدرة على التفكير^٣ .

ويؤكد الرقي اليوم بأن الكتاب الثامن من تأليف توكيديديس لأن هذا الكتاب يضم بكل المقادير التي تضم بها الكتب الستة اللهم إلا أنها استثنياً عدم استخدام الخطب لتصوير الأحداث أو الآراء أو للشاعر

١ كان اجرتقون مؤرخاً أثينياً ، ولد في أثينا الأخير من القرن الخامس وثمانين إلى ثمانين ٤٨١ ق. م. وكتب فيها كتاب تاريخ الإغريق (Hellenica) مسودة لوجه توكيديديس في عام ١١١ من مؤلفاته مكتوبة في عام ٣٦٢ ق. م. وهذا التاريخ يقع في حياة كاتب الكتاب . والثاني من جرين وديسون : يشكك أولاً في نظر الأخير عن الحرب البانثيونية وحاول فيه صاحب تلك توكيديديس مع ذلك كثير في الأسلوب والشفرة على الصف والتصوير . أما الجزء الثاني فقد أصبح نجماً مختلفاً عن النوع المعروف من صاحبه .

٢ جاء التاريخ ثيروبوموس في جزيرة سيروس حوالي عام ٤٠٥ ق. م. ويرد في البداية إلى أنشأ إبيطراط في عام ١١٠ ق. م. ومن بين مؤلفاته تاريخ الإغريق (Hellenica) وهو استمرار لتاريخ توكيديديس من عام ٤١١ حتى مؤلفه كتيبيوس في عام ٣٨٥ ق. م. (١٠٠) لا يرى إلى مستوى .

٣ Buch. op. cit. IV, pp. 260-270

على نحو ما سكتته لها بعد ، يده أن الفدائر ثم تهمل توكيديديس
لجميع الكتاب الثامن ويدخل عليه من التعديلات والتحسينات
ما يضعه في مسود الكتاب الثامن^١ .

ويمكن أن نحسم ما كتبه توكيديديس من الحرب البلوونيزية إلى ثمانية
كتب على نحو ما نراه اليوم كان من أصل علماء الاسكندرية في العصر
الغريسي . أما في الأصل فإن الكتاب كان يتألف من خمسة أجزاء
وهي : (أ) المقدمة وهي التي أصبحت نزلت الكتاب الأول ،
(ب) الجزء الذي يتناول السنوات العشر الأولى من الحرب وهو ما
يتكون من الكتب الثاني والثالث والرابع وكذلك الخامس حتى نهاية
الفصل الخامس والعشرين ، (ج) الجزء الذي يتناول الفترة منذ فقد
صالح نيقاس حتى حيلة صقلية ، وهذا يشكل باقي الكتاب السادس ،
(د) وصف حيلة صقلية ، وهو ما يتكون من الكتابين السادس
والسابع ، (هـ) وصف نتائج هزيمة أثينا في صقلية وأحداث ثورة
411 في أثينا وجزء من سرب ديمتري ، وهو ما يتكون من الكتاب
الثامن .

وقد تختلف آراء الباحثين حول الطريقة التي تتبعها توكيديديس في
تأليف تاريخه^٢ . ولعل أدنى هذه الآراء إلى الصحة هو أن توكيديديس
أخذ منذ بداية الحرب بجميع الحوادث وانتهى ويصحب ما يعين له من آراء
ثم انتهر طريحة الحدود السيمي الذي أعقب صالح نيقاس في عام 411
ليكتب المسودة الأولى لتاريخ الحرب في منها العشر الأولى . وعندما
استوفت سرب خمسة صقلية حاول توكيديديس طريقتة في التأليف من
حيث جميع المادة وتنويع الآراء في أثناء القتال ، واستمر على ذلك إلى

(1) Gruhl, op. cit. pp. 167-2.

(2) Bonilla, *Stratégies et Tactiques* A. Lévy, Paris, 1945, p. 11 et.

إن وضعت الحرب أوزارها ثم راجع ما كتبه عن الفترة الأولى من الحرب : فقد ضمنه الكثير من نموه الكبير في المشكلة التي مر بها .
 ومنشور إلى ذلك بما بعد تمكينا عرض مناسبة . وحسبنا هنا لتدليل على هذه الاتصالات في أثناء المراجعة ذكر بعض الأمثلة التي تم عن الاتصالات بعد هزيمة لينين في النهاية . ويتضح ذلك بجلالة مثلاً في الفصل الخامس والستين من الكتاب الثاني حيث يشهد بزوجة بريكنس وبعد ظهوره وسكينة سيانته لتحقيق النصر في الحرب . بالبرام خطة دفاعية مع العناية بشؤون الأسرار . وتجنب السعي وراء بسط سيطرة لينين في أثناء الحرب أو الإلزام على أي عمل يكون من شأنه تعريض كيان الدولة للمخاطر ، بيد أنه عندما قضى بريكنس يجب ضرب الأيمنون بكل ذلك مرسى الحائط تمت تأثير زعماء مجرد من سيطرت عليهم الأطماع الشخصية قدأوا وطلبهم وسلفهم إلى التمسك^١ . وإشارات توكيديس الشهيدة في الكتاب الرابع^٢ إلى الحملة الأينية الكبرى ضد حركية مثل آخر لا أضاف مؤرخنا إلى موده صلما تعد في مراجعتها بعد انتهاء الحرب .

ومن الواضح كذلك أنه في أثناء المراجعة أضاف إلى حاشية الفصل الخامس والعشرين من الكتاب السادس تلك الفترة التي تروي كيف أنه لم يكن مقصراً لصالح نقياس أن يدوم لعدم رضاه الطرفين عن ذلك الصلح مما أفضى إلى نشوب الحرب ثانية بعد ست سنوات وعشره ظهور من « ربيع عند المصنع »^٣ . وبعد ذلك استأنف توكيديس الكتابة من حيث تولف مبعثاً بالفصل السادس والعشرين من الكتاب الخامس . والتدليل على ذلك أنه استهل هذا الفصل بقوله :

١ راجع الفصل الثاني ، الفصل ١٠ ، بربريدس الثاني ، الفصل ١٠ ، راجع الفصل ١٠ .

٢ IV, 68-69.

٣ ٧, 26, 27.

١- توكيد بنس الأجنبي نفسه استمر في تاريخ الحرب حتى سقوط
الامبراطورية الألمانية واستيلاء الأسرطيين وحلفائهم على بيريوس والأسوار
الطويلة ١ . مسجلاً ٢ . الأحداث بحسب ترتيبها الزمني الذي أرخه بفصلي
تصنيف والثناء في كل عام ٣ . ويعتبر البعض هذه الحالة مقربة
ثانية للدليل على أنه كان في نية توكيد بنس إحياء تاريخ الحرب البلويونيزية
في جزين ثم عبر رأيه ٤ . بيد أنه لو كان هذا الرأي صحيحاً لحذف
مؤرخنا هذه الجملة عندما استقر رأيه على إيراد هذا التاريخ في جرم
واحد . ولعل الأدنى إلى الحقيقة هو أن توكيد بنس لم يقصد بهذه المقدمة
إلا تأكيد فكرته بأنه وقد شهد بنفسه الحرب من لوطا إلى آخرها ٥ ،
وأنك كتب تاريخها بعد تولده من ذلك عندما أصبحت إيران القتال
ثانية ٦ . يعتقد أن هذه الحرب ٧ برغم تعدد مبادئها وحلول جهدها وما
تخلل ذلك من فترة هدوء نسبي عقب صلح نيقياس ٨ لم تكن إلا حروباً
متصلة بما في ذلك الفترة التي أعقبت الصلح ٩ ، فهي وإن خمد القتال
فيها لم تتمد الشازعات أو طول الاتحاد أو يسترد كل فريق كايه الأماكن
إلى نفس شروط الصلح بردها إلى أربابها ١٠ .

وعدت لطيفاً في دعوة ليلينوس ، في الفصل الخامس عشر ، ولدت هذه الأحداث في أبريل عام ١٠١٠ في م. وكانت في الاموار الخطية في هذه الفترة ، طبقت شروط ، هناك انحصار الفترة الحسنة في م. من الورد ، وبما فيها فالرد ، في يونيو من هناك ، الحفاظ على اتصال كونا بالبحر من انظار انظار البحر ، في م. في تلك الحرب البلويونية ، هناك كتابت اسطرطد لورد اليك وقت الحصول في كل عام كان الاهالي يستمرون إلى داخل الاموار لطيفة ويستملون بمرءه يصيرون على انكون في كذات ما بعد هناك .

V. 211

— **1997** —

Wirth, F.W., Beiträge zur Erklärung des Thallusbaus

١. وقد كان التاريخ شهر من فاني هذا الراي وتبعه في ذلك بعض الجاهلون
٢. ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩

مؤرخنا أنه سمع نفسه يمدحها واستثنى معلوماته من الجنس الآخر عن
 مدحها ، ثم يخفي فيقول إنه لم يصف شيئاً ثم يرد نفسه أو يعرف
 خبره من مصادر مختلفة ويحسبه تحسباً دقيقاً . وهو ينهي إلى أن
 ذلك كان صواباً شاكراً لأن الذين شاهدوا حادثاً بعينه كانوا يخطئون فيما
 بينهم في رواية ما شهدوه تبعاً لمقدار ما تذكره أو مقدار ما لهم بالحجة
 أو أخرى : لكنه قلنا بوضوح من مصادر معلوماته التي يؤكد لنا أنه
 عسبها تحسباً دقيقاً . ومن ثم إما أن نؤيده فثقتنا ونقبلها وإما أن نضيق
 عليه بهذه الثقة ونرفضها . وبين أن الأجبال المتعاقبة لم تحسم ثقتها منراً ،
 فقد سلط البحث العلمي الحديث بكل ما توافر له من الوسائل على ما
 كتبه توكيديس وأليه :

أولاً : أن توكيديس طبق لسلوك البحث العلمي على دراسة أحداث
 عصره الحسام ، وهي التي قامت على ما له إلى مستقرين متعاقبين :
 وبذلك جهلاً صادقاً ليتحرى صحة أحداث الحرب البلبونية
 وتواريخها ، ويروي الحقيقة خير متأثر بالعواطف الجامحة
 والصواعق الحضارية .

ثانياً : أنه إذا كنا نستزيد صلباً من فترة حلف الحرب بفضل ما عُثر
 عليه من نقوش : وما وصل إلينا من كوميديات أريستوفانس ،
 وما نطالع في الكتاب المتأخرين ويوجه خاص ما كتبه بلوتارخ
 عن سيرة حياة بريكليس ونيقياس والتكيادس (Alcibiades)
 وليساندروس : وأنه إذا كانت رسالة أرسطر عن دستور أثينا
 بمقتضاها الوافية من النصوص الرسمية لا تستكمل برواية
 توكيديس من نوره عام 411 : فإن تاريخ توكيديس

(1) 1, 28, 1

(2) 1, 22, 2

(3) Acad. Quest. Athol., 58-59

لا يزال أوفى وأعظم مرجع من تاريخ السنوات من ٤٣٢ إلى ٤١١ ق. م. وأنه لا يقل عن ذلك أهمية لما يخص نصف القرن الذي سبق اندلاع حبيب الحرب البلوبونيزية : وذلك برغم ما يتخلله من عاء الخلقبة من لغزات كثيرة كما في غنى من حدها بالانجاء إلى مصادر أخرى من بينهم هروودوتوس لمر أن توكيديدس لم يقتصد في استخدام سجلات الدولة الأكرية الجارة بهذه الحجة^١.

ثانياً : إن المصادر التي استند منها توكيديدس معلوماته لتكتبة موجز تاريخ الانغريش الرابع هي أفضل ما توصل اليه بعد ذلك وتحيين المؤلفات مؤرخي القرن الخامس الياترين مثل هروودوتوس والطيخوس السراقوسي وهلاتيقوس .

ثالثاً : إن أهم ما كان أي مؤرخ قديم ينوء به عند تناول أحداث الماضي هو الاقتصار إلى تاريخ دقيق لمجوعات . وإن في عهد توكيديدس لم تكن مشكلة الوصول إلى مقياس دقيق للزمن قد حلت بعد ، بل إن الانحريق لم يمتدوا إلى استخدام الخلفات الأوليمبية في التاريخ إلا بعد الحرب البلوبونيزية بفلاة أربع القراء ، أي في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد : إن هلاتيقوس كان المؤرخ الوحيد الذي حاول التظلم على مشكلة قياس الزمن بوضع نظام لتاريخ الأكثي^٢ . وإذا كان توكيديدس قد كسفت من عدم سلامة هذا النظام^٣ ، فإنه لم يدار، فصحة أو تحسبه . وقد كان توكيديدس على وشك الانتهاء إلى ابتكار

(1) Herodotus, v, pp. 912-3.

(2) Strabo, op. cit., p. 205; Herodotus, op. cit., pp. 912-3.

(3) I, 97, 2.

جيل ، وهو تأريخ الحوادث بسنوي حكام أينا ، عندما أريخ
 بداية الحرب بالعام الذي كان فيه بيثودوروس (Pythodoros)
 ارغونا في أثينا^(١) ، لكنه أخضع هذه المرحضة بعدم استمراره
 في ذلك واختلافه بتحديد نقطة الابتداء على هذا النحو ولدى
 لقوات التالية للحرب إلى منها الأول ، والجيئة داخل هذا
 الاطار إلى أيسر السبل وأقربها إلى القطرة في التاريخ وهي
 طريقة المزارع القديم في الاعتماد على تقويم القصور^(٢) : الصيف
 للقبائل والشاء لمسياسة ، وذلك بدلاً من استخدام شهر السنة
 الأتيكية وأيامها . ولعله قد أثر تلك الطريقة البدائية في تأريخ
 الحوادث سنوياً على نظام التقويم الأتيكي لبعد هذا النظام عن
 التكال ، فضلاً عن أنه لم يكن شائعاً في كل بلاد الإغريق حيث
 كان يوقع انتشار للاوة كتابه . وبطبيعة الحال لم يكن مسوياً
 تطبيق طريقة توكيديدس في التاريخ على الفترة الواقعة بين
 انسحاب الفرس من أوروبا وتياام الحرب البلوبونيزية ، ولذلك
 كان تاريخ هذه الفترة بالقياس إلى تاريخ الحرب البلوبونيزية
 يلتزم افتقاراً شديداً إلى التواريخ والنقطة في تاريخ الأحداث .
 ورغم ما نقصف به طريقة توكيديدس في التاريخ من نقص
 ومصور عامة صاحبه فضل كبير على المحققين في إعادة تأريخ
 كل حوادث الوبخ الأخرى القديم ، وذلك لأن كل الأثار
 التي حسده المحققون لتواريخ هذه الأحداث وتحقق هسله
 التواريخ يعتمدان على ما سجله توكيديدس عن كسوف الشمس
 وكسوف القمر في سني الحرب البلوبونيزية^(٣) .

(١) II, 2, 1.

(٢) V, 30, 2-3.

(٣) *Macan, C.A.H.*, V, p. 503.

وبما تهاون ملاحظته أن الكتاب الخامس لا توجد فيه إلا جملة وليس
قصيرة لقائد الأسبرطي بربسيوس^١ وحوار طويل بين أهل جزيرة
ملوس (Melos) والمضراء الأثينيين^٢ ، على حين أنه توجد فيه
نصوص عكس معاديات^٣ . وأما الكتاب الخامس فإنه لا توجد فيه خطاب
على الإطلاق على حين أنه توجد فيه نصوص ثلاث معاديات^٤
ويُعزى لنا المؤرخ الأثيني ثوكيديس القول بأن ثوكيديس قرر الاستغناء
عن استخدام الخطاب في الكتاب الخامس لأننا كما أنها قصد النص والسبب
للل بحدوث^٥ ، وهنا رأي غير مقبول . وعلى حين يرى بعض
الباحثين المحدثين أن النظرة أي جزء من « تاريخ » ثوكيديس إلى الخطب
دلالة على عدم الاكتمال^٦ ، لا يستبعد البعض الآخر أن ثوكيديس قد
يجرب طريقة جديدة في تأليف عندما حذف الكتابين الخامس والسادس
فاستبدل بالخطب سبوس الروثي^٧ . وليس الأرجح أن يكون
ثوكيديس قد اختار لمعالجة كل جزء من الحرب حسب الموقر وأكثرت
موادته لتصوير الأحداث : وإن كان هذا لا يعني أن القدر لم يهله حتى
يراجع النصف الثاني من الكتاب الخامس (الجزء ح) ويتم الكتاب (الجزء
الجزء د) ويقوم بمراجعتها ، ويعطي هذين الجزئين شكلهما النهائي

ولنا في حاجة إلى التوقف طويلاً عند أسلوب ثوكيديس ، فالكل
يؤمنون على أنه سرمد التاريخ بأسلوب وحيث يجمع بين جمال الأدب
ترقيم ودقة العلم لغتي ، مع حرصه على أن يردح أكثر قدر من
المدى في أقل قدر من الكلمات ، إلى حد أنه في بعض الأحيان تؤدي
كلمة واحدة عمل جملة ، وأحياناً تقوم جملة واحدة مقام فقرة بأكملها .

(١) V, 1. (٢) V, 15-115. (٣) V, 14-15, 23-24, 47, 77, 79.
(٤) VIII, 23, 25, 28. (٥) Hist. Nat. Thucyd. 19.
(٦) Zeyher, op. cit. IV, pp. 187-8.
(٧) Mark-Gregg, Hist. Thucydides, in Oxford Class. Dict. 1937 pp. 148A.

وقد جدد ذلك بعض النقاد القدماء^١ إلى مواضعه على هذا الجبل إلى
الآن لا يزال شديد واضحا للمعاصرات المظلمة .

ويجوز أن توكيديليس الفصل في حق التاريخ السياسي^٢ . حقا أن
الحروب القديمة كانت أهم ما هدف هروودوتوس إلى معالجته في مؤلفه
لكنه لم يكن في مقدوره أن يكون مؤرخا سياسيا ، فهو لم يكن ، بل كان
أو غيرها بل إنه لم يشهد شيئا من الحياة السياسية في مقطع رأسه
هليكارسوس ، تلك الحياة الاسيوية الحديثة ، لقد كان يحكمها طاغية
يخضع لسادة اغاربية ، ولم يكن من شأن ذلك اثرة وجود تلك اللون
من الحياة السياسية الذي كان مألوا في مدينة اخوية حرة^٣ ، وعندما
لحق هذا اللون من الحياة في أثينا لم يشارك فيه ، وإنما توكيديليس فإنه
كان أحد سواسي أثينا بريكس وهي التي كان نشاط السياسي فيها
غضب الحياة ، لا عجب أنه جعل طبيعة الدولة المشكلة الرئيسية في
مؤلفه .

وقد سلك القول أن توكيديليس بدأ تاريخه ، بجريز التاريخ الاغريقي
من عهد ميوس حتى الحروب القديمة ، وهذا الموجز يكشف عن قواعده
في الحكم على الحقائق التاريخية وفي تفسير الأهمية التي يعلقها على أحداث
عصره . فهو يعتقد أن تاريخ الاغريق القدر خير هام لأن ظروف الحياة
تتبدل - وقد حدثت دون الاستقراء وفلاحة الأرض فلاحة منظمة
وتجميع رؤوس الأموال ، وقيام مدن كبيرة ووجود لهم ذلك من مقومات
الحضارة الحديثة - لم تكن تسمح بإنشاء أي تنظيم سياسي وحيد للأركان
لو بنمو القوة على نطاق واسع . وإن هذا الموجز الجلي في دلالة على
وجهة نظر توكيديليس التاريخية ، فهو بطرح جانبته على الروايات التاريخية

(١) Dion. Hal. Thersd. 2d Ed. Morrell. 10.

(2) Jaeger, W. Paedria. Study of Greek Culture. Eng. trans. by Eglert,
1968, p. 120.

(3) Voegelin, op. cit. pp 333-4.

المقدمة لأنها لم تفتح غلها ، ويستلزم بها التواضع ، هي مجموعة مبررة
من الآراء تستند إلى نظره الثابتة في العلاقة المنطقية بين التقدم الثقافي
والتقدم الاقتصادي . ولا كان ينظر إلى الماضي بعيني لسياسي الذي يعمى
في القرن السادس قبل الميلاد فإنه لا يسكر إلا في القوة ، ولا يرى في
المرء أدنى والتطور الاقتصادي والثقافة العقلية إلا الأصول الضرورية
لشمو القوة . وهو إذ يصور ذلك الماضي البعيد بخطوط عريضة اقتصادية
وسياسية يوضح عن نظره إلى أحداث عصره .

ولكنه إذا جاز القول بأن أحداث العصور القديمة في تاريخ الآخرين
يرجع عام لم يبلغ من الأهمية ما بلغت الحرب البونوبونية ، فإنه لا يجوز
قول ذلك عن الحروب الفارسية ، إلا إذا كان حذف توكيديديس هو
الافتقار من أهمية كافة أحداث الماضي ليبرز أهمية موضوع « تاريخه » ،
ولما لا يفتق مع ما تضمنت به آراؤه ولما كان يرجع عام من الامتزاج
والانصاف وعدم التأثير بالعواطف والمصالح الشخصية ، وعلى نقل حال
أن عدم احتفاله بأحداث الماضي البعيد لأنها لم تبلغ من الأهمية ما بلغت
أحداث الحرب البونوبونية لا يفتق وجهة نظر المحدثين من المؤرخين .
ويجب أن نبرز هنا نقطة هامة وهي أن من احتفال توكيديديس بأحداث
هذه الحرب لم يكن سبب أهميتها الذاتية وإنما بسبب ما تعبره هذه
الأحداث وكذلك بسبب ما تربط حولها من سقوط الامبراطورية الأخمينية
واذلال أهلها في اوقات الفوضى كانت فيه هذه المدة تمثل أسوأ ما وصلت
إليه الحضارة الفارسية حتى عدت علماً عليها ورسماً لها .

وبعد ذلك الجواز أمر ب توكيديديس من حذفه من تحري العقيدة وهو
أن يكون مؤلفه الفارسي من عدم يتفاد من الجاسوس على شيئا
الأحداث التي وقعت في الماضي وميول لتكرر في المستقبل والتعريفية
تسبب لأن جميع البشر دائما لا تتغير . وقد ألح توكيديديس في تكرار

وتكره القاطلة بأن التاريخ يعيد نفسه ، وهذا يناقض الفكر، القائمة بين
المحدثين من المؤرخين ، فكل حادث بذاته من عناصر خطفة لا يمكن
أن يجمع كلها ثانية فيكرر وتكرر تلك الحوادث ، بيد أنه إذا تمسك
لا يصبح القول بأن التاريخ يعيد نفسه ، أن هذا لا يعني وقوع أحداث
متشابهة في حياة الأمم والأفراد ، ومن ثم فإن الناس يستطيعون الاندماج
من تجارب الماضي إذا دعوا تدرسها ، ولعل هذا هو ما روى إليه
توكيديس . تشبهاً مع الفكر الأخرقي القديم كان يهدف إلى توفير هذا
المون من المعرفة عن طريق الوصول إلى نتائج عامة ، وإذا كانت فكرة
توكيديس اقلالة بأن تاريخ الأفراد والشعوب يعيد نفسه تختلف الفكرة
الحديثة عن التاريخ ، فإنه يشارك المحدثين الاهتمام بكل حادث بعينه ،
فضلاً عن كون أنه يتخطى نطاق الغريب من الأحداث والغريب منها
ليصل إلى قانون عام ينطبق على الأحداث المتشابهة . وهذا عنصر أساسي
في وجهة نظره السياسية ، على أساس أن السكينة لا يستطيعون التفكير
سياسياً والصرف وقتاً لتمام دروسه إلا إذا كانت في الحركات متشابهة
تتربى عادة على حوامل متشابهة لتنتج متشابهة ، فإن هذا المبدأ من
التتابع يجعل للتجارب فائدة ويسمح بقدر من بعد النظر وتغيير احتمالات
المستقبل فتدبر " سياسياً ولو إلى حد ما .

رغم بدأ تفكير المؤرخين السياسي منذ أواخر سولون هذه الحقبة ،
ومثل عصر سولون حدث أثينا قوة فكرية وانجست خضيلة وانفرد من
التجارب السياسية نتيجة للعلاقات التي تشكلت بينها وبين مختلف الدول ،
وكان تيسبروتس قول " يعني تلك من هذه التجارب ، وهو الذي يعتبره
توكيديس طرازاً عاماً لربداً من الرجال نصف بعد النظر والحكم
صادق على الأمور " ، وهذا الصلحان الثاني يعني توكيديس بأن يشهد

(1) Jaeger, op. cit. p. 387. Vaguelin, pp. 124 ff.

(2) = 116 3.

« تاريخه » في الأجيال التالية يعرض صورة صادقة لأحداث الماضي بحسب الناس منها المعرفة السياسية التي تولد فيها عديد الصعاب - فهو بهذا اعتماداً جزئياً أن الدراسة المحظنة للدراسة التاريخية هي أنها تكسب من فهمها الخبرة السياسية ، وأن السياسة علم يخضع لقوانينه الخاصة التي لا يمكن فهمها إلا يبحث الحقائق التاريخية لأعلى أنها جزئيات متصلة وإنما يوصف قوتها لجزء متكاملة في عملية مستمرة . ولا جدال في أن نظرية توكيداس الحقبة إلا طبيعة الأحداث السياسية وقوانينها تضع توكيداس فوق مستوى سائر المؤرخين القدماء ، ولا غرو ذلك لم يكن يسيراً إلا لأنني يعيش في ذلك العصر الزاهر الذي أحب رجالاً من طراز بريكليس وسفراط وقديداس .

ولعل أنخص صلت فلسفة توكيديدس السياسية على أنها منطق السياسة يعرض الأحداث عرساً واضحاً . وقد ساعد على ذلك موضوع « تاريخه » ، والحرب البوبوليزية تظهر بجلاء منطق المظهر الدلائل بين السبب الحقيقي والنتيجة الحقيقية في السياسة . ومن أبعث أنه يعتبر نصيب فكره على أي مسألة من الأحداث متعارفاً الإنسان كجانب حق ، على ما يصدر أن توقع ظهور فلسفة أفلاطون أو فن قديداس في أي فترة من فترات تاريخ الأخريين .

والخلف الكثير التي حسنها توكيديدس مؤلفه لم يشع في روايتها الطريقة النقية نفسها التي اتبعها في رواية أحداث الحرب . وهو صريح الاختيار إلى أنه لم يرد ، وفي المقام ، حرفياً كما أنقذ ، لأنه كان يعتقد على وكذلك على الذين نقلوا إليه أخبار ما لم يسمعه شخصياً منها تذكر الكلمات نفسها ، ثم يضي فيقول : « ولذلك فأنني عزوت إلى عمل مصنف الأناكر باللائمة لفساد التي لمست فيها ، والذين التي رجحت أن يكون قد استعملها لتعبر عن تلك الأفكار . وفي الوقت

نفسه حاولت قصر استطاعتها التي أثبتت فاعليتها بما قيل فعلاً^١ ، ومع ذلك
 لاحظ أنه برغم ما مثله توكيد من الجهد التجريبي الحقيقة عما جرى
 في كل مناشئة وصفها ، فإنه من الواضح أن بعض ما يسمونه مؤلفه من
 خطاب ، إن لم يكن معظم تلك الخطاب ، كان يخالف اختلافاً جوهرياً
 من النص الذي أتت به ، وإذا كان لا يجوز مرة أن يؤلف مؤرخ لشخصيات
 تاريخية عظمى أنما يتوهمها بهذا تطابق عباراته مع ما تحدثوا عنه ، لأنه
 لا يجوز ألف مرة أن ينسب إلى تلك الشخصيات شيئاً يخالف ما قالوا
 به^٢ أو لم يقولوه إطلاقاً ، وكيف نفسر إقدام مؤرخ لبنى صادق دقيق
 مثل توكيدس على ذلك ؟ ومن سني ذلك أن توكيدس قد زيف
 التاريخ ؟

يجمع الباحثون على أن توكيدس لم يستهدف من وراء خطاب أن
 يزيّف التاريخ أو أن ينجي على أحد ، وإنما أن يعرض على هذا النحو
 بدلاً من أن يجرس على مينة تحقيقات - فلسفة سياسية ، وهي التي
 كان يقرؤها الأول والأخير نصه ، الحقيقة تصوراً صادقاً بالبحث عن
 أفكار الشخصيات البارزة ويراك أثر هذه الشخصيات في توجيه رأي
 العام ، لينبج الكلام عن جبين العوامل الحقيقية لكثرة وراء الأحداث .
 وكذا نعلم أنه لمعرفة الحقيقة عن مجرى من الأحداث السياسية لا يمكن
 الاستعانة بما حدث أو قيل فعلاً في تلك المناسبات ، فطالما ما يكون ذلك
 ساراً يخفي الحقيقة ، بل نعلم معرفة نوايا والأفكار الذين قاموا بالأدوار
 الرئيسية في تلك الأحداث . ولزم دهاء توكيدس الصادقة في تصوير
 الحقيقة وإدراكه بأن كل اتجاه في مثل هذا الصراع كان وليد التفكير الجانبي ،
 وأنه في ومع من يرقب الصراع عن كثب الوصول إلى كنه هذا الفكر
 وراء تصوره على الكشف عن دوافع كل فئة لعبت دوراً في الحرب ،

(١) 1, 22, 2.

فانه يجري على اليقة الرصده شرح أدق ذو النعم ومعضلاته في خطب
 عامة بحسب رايه فيها تلك بنوع من كل طريق أن يتكلم بشيا مع مطلق
 الموقف الذي اتخذه . ومنه ذلك أن توكيديدس لم يقم لها بحسب الخطب
 بدور المكاب الذي يسجل ما يسمعه بنفسه أو يثله الي غيره . وإن
 بدور الحسر العاقل الأمين الذي يرفض أن يحمله نظير فيلق سطر
 الحبيب عدا من الزهر أيضا الدوافع الحثيثه التي شخصت عليها
 أحداث الحرب التي يورخ لها . فلا حجب وهذه هي اليقة التي اضطلع
 بها توكيديدس أن يكون له صور لنا تصويراً لاطفاً أحداثاً اعليه وكذلك
 الخالة النفسية التي سادا في فترات معينة في أثناء الحرب ودلت عن
 كثير من أحداث تلك الفترات . وسلم نظام كالة بأن توكيديدس كان
 أقدم جميع الذين شهدوا تلك الأحداث على تصويرها ليسراً مادياً
 للأجيال المتعاقبة . وما نجلو ملاحظته أن توكيديدس لم يكن أول من
 اخذ من الخطب وسيلة لتصوير الأحداث العامة والشخصية التي ليست
 أدواراً رئيسية لها : فقد سبقه إلى ذلك هيرودوس وديونسيو المرحبات
 في أنيكا وكذلك هيرودوتوس . وبما أن هذا لا يسر ما قلناه
 توكيديدس .

ومع تقديرنا لأمانة توكيديدس ، حقونه وتصوته الزائدة وآت
 السياسية الدافعة وما في الخطب التي اضطلعها من طلاقة ومثله وحيوية ،
 كانت تأخذ عليه أنه أثر ألا يعرض فلسفته السياسية على هيئة تعليقات وإنما
 في تلك الخطب التي اضطلعها وتصيب الغرقة فيها بين ما تصوره المورخ
 وما حدث فعلاً ، وهو ما يجب أن يكون في ميمور الناس الباقين
 تله أنفسهم بكل ما يتوافر لهم من وسائل وعلى ضوء ما يتكشف عن
 روح العصر من اتجاهات وما يتكشف البحث عنه من وثائق ، فإذ
 التاريخ يختلف من عصر إلى آخر وإن شئت اخذوا كانه لا يغير
 وحسبنا أن نشر إلى أن طريقة توكيديدس كانت نكبة من التاريخ عدا

قرون من بعده حينما اقتضى الأمر في هذه الناحية مؤرخون لم يسروا إلى
مستواه في التفكير ولا في الأمانة^١.

وعليه نؤكد بدس على التفرقة بين بواطن الأمور وظواهرها يسدو
كذلك عتسا تواد يفرق بين الأسباب الحقيقية التي أدت إلى الحرب
البلجوبوزية وبين المآزلات التي سبقت هذه الحرب مباشرة. وبين أنه
قد استعار ذلك من علم الطب، وهو الذي كان أول العلوم التي ترقى
تفرقة علمية بين العروس والجور، وذلك بالتفرقة بين ظواهر المرض
وأسباب الحقيقة^٢. وإقدام نوكدبدس على اتخاذ هذه الطريقة يتوهم
دليلاً على اعتباره السببية محلاً تكيفه لأسباب الطبيعة التي تنضج إلى
تسليط طبيعة، وعلى ارتفاعه بالمشكلة التي يعالجها إلى مستوى التواضع
الموجودة التي لا تألم بالعواطف والصراخ الشخصية. لم تكن بللاً
بل تدخل العناية الإلهية في ترجيح مجرى الأحداث المختلفة. ولا جدال
في أن موقف نوكدبدس على السبب الحقيقي للحرب كان ثورة تفكير
جداً متصل في المشكلة التي حلها، ولا في أنه هذه المرة عرض علينا
أسد أدلة فلسفته السببية الواضحة. فهو لم يلق على الحرب تلك النظرة
السطحية التي ألقاها عليها رينترفانس^٣ وديورودوس^٤ وهوراخ^٥.
ومن الآن عزدا ظهوراً إلى القرار الذي أصدره بريكس بحرمان عيجاراً
من المناجزة مع الأمور الطورية الكينية، بل عرض الحرب دراسة عميقة
هذه إلى معرفة أسبابها الحقيقي. فلي رلي نوكدبدس أن هذا القرار
والسلوطين الأعربين ليس اقتدياً أية قبل الحرب (١ - يقول لينا

(1) Murray, op. cit., p. 186; Shatwell, op. cit., pp. 210-12; Jaeger, op. cit.,
p. 266.

(2) Jaeger, op. cit., p. 212; Murray, op. cit., p. 212.

(3) Arch. Afric., 113-129; Peace, 608 ff.

(4) Desc. XII, 29-41.

(5) Hist. Persica, 20 ff.

عائلة كورجيرا (كورفو) وكانت مستعمرة غنية من مستعمرات كورنيج
وتسيطر على الطريق إلى الشرق . ٢٠ - أيام أثينا بمحاصرة يونانها
وكانت مستعمرة أخرى لكورنيج (كانت أسباب الظفر والشكوى من
سلوك أثينا . وأما السبب الحقيقي للحرب فإنه رأى أثينا ظروء أنه كان
أفراد نحو قوة أثينا إلى حد أخرج أسيرطة وتهديد كورنيجها ١ . وهذا هو
المرأي الذي قدمه ٢ . وان كان البعض يرى أن هذا ينسب لسياسة
الحرب في عام ٤١٣ وانتهائها على نحو ما انتهت إليه أكثر مما ينسب
قوانينها في عام ٤٣١ ، وأنه إذا كانت حراسة الأداة القديمة لا تنكشف
عن سبب واحد يفسر قيام الحرب ، فسيبراً بالآثار فإن تخرسية كورنيج
التي لأثينا ، وسياسة أسيرطة المستعمرة ، ونصميم بيركلين على عدم
الضحجة بأي شيء في سبيل الاحتفاظ بالسلام وعلى مواجهة الأعداء حين
يمكن التحكم فيها . إن كل ذلك جعل لتوب الحرب أمراً لا مفر منه .
أما للناقد التجارية بعد الفرضين ، وإثباته أحدهما لنا ، العصر الأثيني
والآخر إلى العصر الدوري ، واتصال أثينا بالعظم الذي عظمته على حين
كانت أسيرطة وحليفاتها عناصر الأوليجاركية ، وفرض أثينا السيطرة على
وسايلها على حين كانت أسيرطة تترغم بين « تقرير السيرة » و « ترويض
القوى » - أما كل ذلك فإنه جعل قيام الحرب محتملاً وإن لم يجعله
معتوماً ٣ . ويؤيد المعارضون توكيديليس رأيهم بأن الامبراطورية الأثينية
كانت عند منتصف القرن الخامس أقوى مما كانت عليه في سنوات
الناقة مباشرة للحرب ٤ .

ولا جدال في أنه في خلال السنوات السابقة مباشرة للحرب لم تسط

(1) Thuc., I. 20, 0 - 61, 0.

(2) Bartholomew, Greece, Galary ed, 1968, pp. 151 ff.; Dugas, op. cit.,
pp. 330-331; Diodorus, op. cit., pp. 339.

(3) Adcock, G.A.H., V, p. 186.

(4) Mead, op. cit., p. 424.

أثينا سلطانها على أقاليم جديدة : بل أنها صادقت بعض الكتب منذ عام 181 . ولكنه لا جدال كذلك في أن أثينا دعت سلطانها على امبراطوريتها التي نظمتها تنظيمًا قوياً ، ونشرت لقرودها حتى القرم ، وأنست بعض المستعمرات الجديدة مثل أمفيبوليس ، وعصمت عدداً من المعاهدات كان من أجلها أثرًا لحلفائها مع مدن في الغرب مثل لاونتوم ورجيوم ، فالزع امبرطة وأثار كرامن حقدتها امبراد نحو ثورة أثينا وإزدياد ما عنده من جرم ذلك يوماً بعد يوم : فضلاً عما كان يخلوي عليه كل ذلك من أخطار تهدد امبرطة وحلفائها . والواقع أن التحليل الدقيق الذي ينضمته الكتاب الأول من « تاريخ » توكيديس لا يدع مجالاً للشك في أن الامبراطورية الأثينية كانت الأقوى التي توي أثينا استخدامها والاحتفاظ بها وكذلك القوة التي استخدمتها القوة الأخر للفوز بمناصرة العالم الأجنبي لهم في القضاء عليها ، فآخر بعثة أنقضا الأسبرطيون إلى الأثينيين اكتفب بإبلاغهم الخليل الذي : « إن الأسبرطيين يرغبون في السلام ، وسوف يكون هناك سلام إذا منحتم الاغريق حريتهم . »¹

ونرى في الكتاب الثاني كذلك أن قيام الامبراطورية الأثينية هو الذي أوحى إلى كل من الفريفيين بالموقف الذي اتخذوه ، فقد استمد أعداء أثينا من ذلك مبرراً لاعتبار نظامهم حرباً لتحرير الأخريق : ذلك أن توكيديس يحدثنا في صدر الكتاب الثاني بأن : « عواطف الناس كانت مع الأسبرطيين لأنهم تصوروا أنفسهم حربي بلاد الاغريق : فكسبت المدن والأفراد في لحظة على تلك قصارى الجهد لمساعدتهم بالقول والعمل . وإذا عجز شخص عن المشاركة يدان له أن الشيا قد توقفت ، فقد كان أشياء الناس من الأثينيين شديداً ، وسمحت بعض الناس بقطع إلى الخلاص

(1) I, 139, 8

١٢٤ : « بعض الآخر يفتن الوهم تحت سيطرتهم . » ١ هـ هذا إلى أن
 أرحمهم ، ملك اسرطة ، أحد من سيطره الأكثيين مبرراً لهاجة
 بلاتيا وهي التي أتت إليها أن المراد : إنما قلت لتحريرها وبقاى رعباً
 إليها من رعب الأمم العذرية الألبانية . ٢

١٢٥ : « راسع : لا ، ولكن في الكتاب الثاني أيضاً وهو يخاطب مواطنيه
 بعد أن غزا البلويزيون أراضيهم للمرة الثانية منذ بداية الحرب وأهلك
 الخاضعون قراهم ونهبهم اليأس على قومهم حتى سجدوا حيث إلى عقد الصلح
 مع أعدائهم . » غوتف بريكناس يستعملهم ويقول لهم : « ألم
 لقنتم أن امبراطوريتكم مقصورة على خلقكم ، ولكنني أقول لكم
 إن من بين شطري الدنيا المفتوحين أمام بني الإنسان : الأرض والبحر ،
 أتم السادة الصغار في البحر . » وليس ذلك إلى الذي الذي يسيطر
 سيطرتكم عليه الآن فحسب ، بل إلى أي مدى تشاعون بسط سيطرتكم
 عليه . ٣ ثم يخفي بعد ذلك فيقول : « وفضلاً عن ذلك فإنكم
 تزمون بامتداد حتى شما سيطرتكم وهو الذي ترحلون » ، لأنه لا يمكنكم
 أن تشاروا الحد دون تحمل فكاكته . ولا تتصوروا أنكم تحاربون فقط
 من أجل الاحتفاظ بمررتكم ، بل أيضاً للثود عن حياض امبراطوريتكم
 وثود ما يهددكم من المخاطر الناجمة عن الكراهية التي انزغها في الناس
 قيام هذه الامبراطورية . ٤ « وسيطرت بعد ذلك فيقول : « وإذا
 اضطررتهم آخر الأمر إلى الخلد وإز تقنار من عظمتهم ، فكل شيء ذلك
 منه وجزء : « ومبذكر الناس ذرواً أنك دون سائر الآخرين قد كان
 لا أصغر منه من لرحايا الآخرين وإذا كان ذلك عليه ثود ؟
 نسيب أولئك الذين يطمحون إلى حكمهم غيرهم ... بيد أن هذه الكراهية
 لا تقوم جزئياً ، « على حين أن جلال الشدة يبقى خالداً إلى الأبد . » ٥

(1) II, 38, 4.

(2) I, 74, 1.

(3) II, 32, 2.

(4) II, 38, 1.

(5) II, 38, 3-6.

وراء أدرك ثوكيديدس أن قوة أثينا كانت السبب الحقيقي للحرب ،
 وأنه حدد العديد من أحداث الحرب أعني بوصف نحو قوة أثينا واتخذ
 من ذلك تمهيداً لوصف المؤثر الذي عكسه المآزاة في اسيرة لها على
 إعلان الحرب ووجوه احتياج المساعدة العامة التي عقدتها الاسبرطيون
 وأدخلوا فيها أن أثينا خرفت معاهدة صلح الثلاثين عاماً ، وهي التي
 عقدت بين العاريس في عام 446 - 445 ق.م. وفي هذه المعاهدة
 الخامسة : مع أن الحرب لم تكن على أثينا إلا في المؤثر الذي عقد
 الحلفاء عقب ذلك : أورد ثوكيديدس أربع خطب - وهو عدد يزيد
 مبرراً على ما أورد في أية مناسبة أخرى . وقد رمى ثوكيديدس
 من وراء هذه الخطب إلى عرض وجهة نظر حلفاء اسبرطة على لسان
 الكورثيين¹ : ألك أعداء أثينا : ووجهي النظر لبالدس في اسبرطة :
 أي وجهة نظر المحافظين² وهم الذين كانوا يفضلون المساة إلى أن
 يستكمل الاستعداد لمواجهة عدد خطب مثل أثينا وهي التي كانت تتوافر
 لديها كل الوسائل بخصوص خيار حرب ناجحة ، ووجهة نظر الحرب
 الذي كان ينجح في المبادرة إلى غارة الأثينيين بعد أن قاموا في بناء
 قوتهم³ . وكذلك وجهة نظر الأثينيين : على أن يمتنع ثوكيديدس
 إنما كانت لزور اسبرطة عندئذ في مهمة لم يوضحها . ولأنني الخطب
 الأربع في تصوير مبلغ قوة أثينا يخرج القارئ أو السامع من ذلك كله
 بأن السبب الحقيقي للحرب هو نزع الاسبرطيون وسخطهم من الطرف نحو
 هذه القوة . ولا ريب في أن هذه الخطب الرابعة من أليف ثوكيديدس
 بعد انتهاء الحرب ودولتها دراسة حكيمة والوقوف على العوامل التي
 أغضت إليها والملازمات التي امتثلتها والمشار التي جلبها : وصاغ من
 كل ذلك خطباً أبرها على ألسنة شخصيات مختلفة ليستطيع القارئ أن

(2) L. 66 - 71

(3) L. 81

(2) L. 80 - 88

(4) L. 73 - 78

يتصوروا هذه الحرب على حقيقتها .
وأبرز هذه الخطب الأربع خطبها السفيرين الكورشي والألماني . وقد
أجرى بوكسبيلس على لسان السفير الكورشي أولاً تستهدف تحريض
الأميرطيين على إعلان الحرب بالمقارنة بين صفاتهم ، وهم الذين عرلوا
بالقائد والتمسك بالتقاليد ، وصعدت الأنيبيف ، وهم الذين تحيروا
بالعزاه والمغامرة والابتكار وحطم حوار العزيمة معها تكثر الظروف (في
تواجههم ، فوصف الخلق الألماني على نحو أروع مما وصفه أي خطيب
ألماني في حفل عام ، بل أروع مما وصفه بوكسبيلس نفسه في خطبة
الطابق الشهيرة التي جردها إلى بريكنس واستدارتها بعض الضباط
بفلسفاتها خطبة السفير الكورشي . ويمكن تفسير ذلك بأن بوكسبيلس
هدف من وراء هذه الخطبة إلى تحقيق غرضين : أحدهما هو تصوير
الحالة العقلية التي سبقت قيام الحرب ، والآخر هو تحليل الأسس
التي الذي بُنيت وراء قوة أينا في خلال نصف القرن الذي سبق قيام
الحرب . وخطبة السفير الألماني متعمدة لخطبة السفير الكورشي ، فهي
تبرر بقوة أينا بعض تحليل تاريخي لتلك القوة بين العوامل التي
حدثت بأينا إلى بدء ثورتها حتى بلغت ذلك الحد . وفي رأي بوكسبيلس
أن قوة أينا أخذت في التو من قوامها بدورها الخالد في دحر الغرس
عند هارتون (١٩٠٠ ق.م.) وسلامي (١٨٠٠ ق.م.) : لأنه عندما
أحرب حلفائهما عن قسورهم كما بدت وهامت به في سبيل اللود من
حرية الأمرين وكما لم السياسي بأن أسندوا إليها مقاليد الرحمة : دفعها
للكوف من نفس اسرطة ، وقد أقصبت عن زوالها الضلالية ، إلى
دعم القوة التي اكتسبتها ، ثم إلى اتخاذ الخطة عند خروج حلفائها
حيثما بتضيق دائرة الاضرار على مصيبتهم بالفرسج . فبالفني أمر
الأمر إلى انضمام حلفائها بعد أن كانوا في الأصل مستقلين : على أنه
لم يكن مبعث ذلك الحرف وحده بل الخلع والمصلحة الذاتية . وبعض

توكيد بـس الصغير الأجنبي بقراً صفة المشعل بامتداد هذه العبارات
 إليه ، و قد ألفت السيرة في حربه ألبا و آل أبيه سلطانها ،
 فان عطف الاغريق الذي كتبته السيرة (قبل الحرب بوصفها نصيرة
 العدل والحريه ضد الجشع والامتناع) سيتحول عنها ، و معنى هذا
 ان توكيد بـس عند خروجه من حرسه برأي شعواء ان دوري الضالفة
 والمحرور كانوا لا يذبلان صفات خلقية دائمة في كل من ثلها من السيرة
 وإنما كانوا رداً من تبادلتهما هاتان الدولتان صنعاً تبدل ميزان القوى .
 وما كان هذا الرأي و لابد التجربة التي عبرتها بلاد الاغريق حتى كانت
 ثلها صاحبة السلطان ثم حين آل ذلك السلطان إلى السيرة عقب حربه
 ألبا النهائية في عام ١٠١٤ ، فإنه يؤيد الفكرة الثالثة بأن توكيد بـس
 التي هذه الخطبة وكذلك الأخيرة المتصلة بها بعد الحرب .

وما يجدر بالملاحظة أنه كما أوضح توكيد بـس أن اطراف نحو قوة
 ألبا كانت أمراً ضرورياً لا بد منه ، أوضح كذلك أن خوف مبرطة
 من ذلك هو الذي اضطرها إلى اعلان الحرب أولاً ، كما اضطرها إلى
 ارتداد ذلك الحرب بعد صلح نيقياس ، ولذلك فهو يعتبر الحرب التي
 صبت ذلك الصلح ، الفترة الثالثة المضطربة التي أعقبها ، وتلك
 الحرب التي ثبتت بعد هذه الفترة أجزاء من حرب واحدة ، أقدم
 إليها العوامل نفسها ، وجعلت قيام هذه الحرب ثمراً لا مفر منه ،
 وهذه الفكرة تعتبر عن بصيرته السياسية السائدة في رأيي
 صوراً .

ومعنا ننقل من أسباب الحرب إلى وصف الحرب ذاتها ، فلنلاحظ
 تغافل هذه البصيرة المتأفدة إلى الحوار الحقائق لتعني عليها ضيقاً شاملاً .
 وهذا أيضاً اتخذ الصغير شكل خطبة تصور الماضي تصويراً نابضاً

بالسياسة . ومن أمثلة هذه الوثائق : ١- وثيقة على أن يورد في كل مناسبة وجهتي نظر متعارضتين في الموضوع نفسه ، على نحو ما عرض على لسان اتيك (سيدياوس) مثل المحافظين^١ ولسان الأقوياء مثل بداس (Sthenelaidas) مثل حزب الحرب^٢ الأكاديميين المتعارضين في السياسة الاسبرطية قبل نشوب الحرب . ذلك أن توكيدياوس يفسر وجهة وحيد ثورة مويثيلي في عام ٤٢٨ بـ عرض على لسان كليون^٣ ولسان ديودوروس^٤ وجهتي نظر الحزبين الأتبيين المتطرفين والاعتدال في السياسة التي تصبح ثمرة حكام أثينا ، أو عبارة أصبح وحايها ، فكلاهما وإن كانا يعتبران الثورة أمراً خطيراً ينبغي موارء أيتها ويجب تصدي تكرار وقوعه إلا أنهما كانا يختلفان في وسيلة تحقيق هذا الهدف ، فالأول يدعو إلى السدة ليحصل من الثوار حقة وعبرة لغرضهم ، والثاني يدعو إلى استمرار إرادة هذه الأمة حتى لا يترافق أمرها ، الأكثيين مرادة في قسوس حلفائهم وإن اتحد الجميع مستقبلاً أكلاً لا تطلب الثورة مرة أخرى ، وفي الخطاب التي ألقاها بعد سقوط بلانيا في عام ٤٢٧ أهل هذه المدينة^٥ والاساطم أهل مدينة^٦ أوضح توكيدياوس استحالة تحقيق العدالة في زمن الحرب . وفي الخطاب التي ألقاها عقب فشل الإسطة ضد بولس (Pylas) في عام ٤٢٥ عرض وجهتي متعارضتين إذاً الصلح : وجهة اسبرطة^٧ (وهي التي بدأت الحرب أصلاً) في انقاسم ، فقد الصلح بدلاً من السيرة في حرب قد تنخفض عنها يوماً كورث لا يتوقعها ايقاقرون ، وعرف أيتها عن عند الصلح^٨ ، وهي التي كانت قبل الحرب تدعو إلى لقائهم بل رأيت كيف أيا في

(١) I, 30 — 33

(2) I, 36

(3) III, 37 — 40

(4) III, 42 — 46

(5) II, 13 — 18

(6) II, 61 — 63

(7) IV, 17 — 21

(8) IV, 22 — 25

العام التالي للحرب سمعت دودا ينادي إلى عقد الصلح ، ولكنها الآن وقد كانت الأمور تسير مواتية لها أصبحت لا ترغب في الصلح إلا بعد الفوز بنصر حاسم . وقد انشهر توكيليدس بفرصة مناقشة عقد الصلح أو متابعة السير في الحرب ليصل على موافقة جميع حمله فمعه يتبين الباحثون المحذرون على أنها لا تتفق من الأسراف الذي يخرج بتواريخنا مرة أخرى عما اتصف به من الانصاف والحيطة بوجه عام . وقد مرضت كذلك من لسان التوكيليدس ¹ صاحب مشروع أوامرات حمله كبرى إلى صقلية وعلى لسان ثيقياس ² أحد المتعصبين هذا المشروع الانحيازيين المباينين عند الأكثيين أزمة هذه المسألة التي تعود إليها مرة أخرى . وفي الخور الذي دار في جزيرة ملوس (Melos) بين أهل هذه الجزيرة وبين السفراء الأكثيين ³ . وكذلك في الخطابين اللذين ألقاهما في كورينا (Corinthe) هرموقراطيس المبعوث السرقوسى ⁴ و يوفيموس (Euphemos) المبعوث الأكثي ⁵ . أبرز توكيليدس مشكلة حياة الدول الضعيف في أثناء الحرب بين دول كبرى . فمرض هذه المشكلة من وجهتي نظر مختلفتين هما وجهة نظر العدالة المطلقة ووجهة نظر سياسة الأمر الواقع .

ودأب توكيليدس على عرض وجهتي نظر مختلفتين في شكل خطاب إذ كثر ما فعله هرمودوروس مرتين في تاريخه : وأحدهما (III, 62-63) عندما أورد ثلاثة خطب تضمنت ثلاثة آراء مختلفة في أوج نظام الحكم الفارسي مستقبلاً ، وذلك في الاجتماع الذي عقدته فائدة الفرس السبعة بعد انتصارهم على الثورة التي نشبت في أعقاب وفاة قمبيز . والمرة الأخرى (VI, 1 - 11) عندما أورد أربع خطب : اثنين منها لأجروزميس في

(1) VI, 16 - 18

(2) VI, 18 - 22

(3) VI, 9 - 14

(4) VI, 16 - 20

(5) VI, 82 - 87

تحميل حصة لمرور بلاد الاغريق : وواحدة لماردوليس في تأييد الجهاد
بهذه الحملة ، وواحدة لأرتياكوس في مناهضة هذا المشروع ، وإزاء
ذلك يبدو أنه إذا كان توكيديس قد استمد الفكرة من مورديوس ،
فإنه ذهب إلى أقصى مدى في تطييفها مستخدماً بصيرته السياسية لذكاء
وقدرته الفائقة على تحميل الحقائق وبساطتها .

ويطال توكيديس في مواضع مفرقة على المدى بين التقديرات الذاتية
والحقائق الواقعية في السياسة . ويناقش في الخطاب التي ألقاها القسوس
المتطرفون في حوضهم المشاكل العسيرة للحرب عن حيث تأثيرها في الخطط
الاستراتيجية . ويتناول في الخطاب التي ألقاها الزعماء البارزون قسائم
تلك المشاكل في الحياة السياسية ، وهو أيضاً يصف التأثير السياسي لبعث
المسيح لقسائون الذي انتهى في أثينا وأضعف معنوياتها وألحق بها خسائر
مادية فادحة⁽¹⁾ . ويصور توكيديس تصويراً دقيقاً بالحيوية فطائع
الحرية التي اندلح عليها في كورنيداس⁽²⁾ في عام 427 : يتخذ منها
لهجة تعجبت من تروح الحرية التي سرعان ما انحلت تحت سورها
في الدول الاغريقية : حيث كان الأمل في التدخل الأجبي أو الخوف
منه يشجع بل يزيد تصرخ الحزبي خيلاً وحرارة ، ذلك أن دعاة
الاوليجاركيه كانوا ينظرون إلى الاسبرطيين على حين كانت السفراطيون
يرنون بأبصارهم إلى الأكثين . ولم يفت توكيديس أن يلاحظ أن
تصرخ الحزبي كان من طابع الحياة السياسية في الدول الاغريقية إلا أنه
في وقت السلم كان أقل ضرورة وحرارة مما وصل إليه في أثناء الحرب
وتأييد دعاة الالامنة على مشهور من التلاميذ الحديث ، وهو الحرية
الفرسية عندما أقضى التمسح لأجبي بل أسوأ التطلعات التي ارتكبتها
الاور . وفي هذه الحرية أيضاً نرى مصداقاً أوجهة نظر توكيديس (حي

(1) II, 42 — 59: III, 27.

(2) III, 81 — 86, 1.

التي تبرز الانبياء الخلق والتدبر انما هي طرا على كالة القسم المعنوية
 ان استخدام الروح المعنوية ويطلعها انفسى موجهات العنف . فالروح هي
 كوكبريا وطلوا انفسهم على ان يزدوا كل من ميقوهم ، انفس في
 ضرب نشاطهم وفي صفوف الاعمال الانتفاضة . فلم تعد الكلمات
 اللغوية السابقة ذاتها بل تحولت من المعاني كل ما راق للوار ، ذلك ان
 جسارة الاستهزاء أصبحت شجاعة لولا ، ورواية اللغوي عرفت بها
 الجبن ، والاعتدال أصبح دلالة على عبور العزيمة ، وما كان النشاط
 يداني قد أصبح قصص التي يجب ان يتحل بها كل مواطن ، وكان
 الشخص الذي يحل ان العنف موضع الثقة على الدوام رسمه منبرا
 لربية ، فان الركود الى الموت والقرام الحيلة كان مصدر خطر شديد .
 ذلك ان الموازين التي لم يولدوا احد الحزبين المتصارعين راحوا لصحية
 لكليهما ، فقد كانوا إما مرسوميا للفسس لعزوفهم عن الصراع واما
 موقوفا لمحقق لأنه لم يطلعهم سوء ، وهكذا الحرب عرض الخائف بكل
 القيم والشرائع وسط ما أثاره الصراع الحزبي العنيف من أسوأ التروحات
 البشرية .

وما يجدر بالملاحظة أن توكيد ليس ان يعالج كل الشاكني لكبرى التي
 نشأ في حوزة حرب صروس لا يهيج نهج لواعظ بل نهج الطبيب
 الذي يفحص ، ويشخص ، ويقضي من ذلك فانه لا يعالج الأحداث
 المشابهة بطريقة واحدة ، فهو نارة يروى علدا لونا من فطام الحرب
 وآلامها ، وثارة يعم في ابرار لونا آخر أشد هولاً من الأول ، وهو
 حادة يكتفي على وسد لتصوير ناحية بعينها من نواحي كل الخائب
 المتفجع من الحرب ، على نحو ما يكشف برص ، أحداث ثورة كوكبريا
 لتصوير طبيعة الصراع الحزبي الذي تكبت به تلك الاغريقية في القرن
 الخامس وبلغ ذروته في أثناء الحرب البوونيزية ، دون أن يأتي على

وصف أحداث الثورات الماثلة التي وقعت في خلال هذه الحرب ، أو
 يكتبي برسم شخصية كليون ، وعرفاته تصوير الديمقراطية التي كانت
 الدقة اعطيات الأفريقية نياً لها ، دون أن يلقي بالآ إلى أنحراب كليون
 وما كان أكثرهم . ومع أن كليون احتل مكان الصدارة في آئينا هذه
 خمس سنوات كالم من أمد مواسم الحرب ، طان توكيديس أقصى
 بقدره ثلاث مرات فقط على مسرح السياسة لرسم صورته رسماً واضحاً
 لازمة عليه ¹ .

وسواء عند تناول أسباب الحرب أو عند رواية أخبارها ، كلف
 توكيديس مشكلة نشأة القوة السياسية ونموها والحفاظ عليها وما ترتب
 على ذلك من مشاكل أخرى أخصها اعداد القيم الانسانية الرفيعة في مجال
 الأخلاق والعدالة . ولا يدع توكيديس مجالاً للشك في أن نشوء الأزمة
 بين آئينا وأعدائها تقع تبعه على كاهل الذين كانوا يوجهون سياسة الطرفين
 لتأخرين . وأنه قبل كل شيء ، يتمكن في طبيعة النفس البشرية فهي
 تنزع إلى السيطرة على من يوضع مثل ما تنزع إلى غزو الأعداء ، وكذلك
 إلى الحفاظ على المكاسب بدافع من الكرامة والخوف والمصلحة الذاتية ،
 وأن قوي الحكمة ياخذون في الاعتبار وجود هذه النزاع بين ظهرائهم
 وسلاسل بين ظهرائهم فيهم ويستخدمون قوتهم أو يضعون سياسهم تبعاً
 لذلك . وأنهم إذا استخدموا ذكائهم أنزكوا أن تنصر لا يمكن لحق
 أو القوة أن تكفل احرازه ، فغصروف الحرب وملاساتها أمور يتعذر
 الشك فيها . ولذلك طان مسير الحروب تنوره أخطاء أحد الفريقين
 أكثر مما يقرره تفوق قوة الفريق الآخر . ومن اجل أن توكيديس
 ينظر إلى المشكلة الرئيسية باعتبارها جرماً من الطبيعة البشرية حتى تلك
 التي لا يسيطر عليها حب السلطة سيطرة تامة ، فالمعروف أن الأثينيين

[1] Philog, op cit, pp 11 — 12

- وهم أكثر الناس حياء في السلطة - كانوا يحذرون الصلاة أمام مظاهر
قوتهم ويفاضلون بأن هذه الدولة دولة جمهورية جديدة أساسها العدل
لا الاستبداد . ويلاحظ توكيدهم أن الفصل الأخير في سورة الخلافة
بين الدول هو القوة لا الحق ، ذلك أنه إذا تعادلت قوتى الفريقين نظرياً
أدى الخلاف إلى ثوب الحرب بينهما ، أما إذا تفوقت دولة على أخرى
تفوقاً طاهراً فإنها تفرض سلطانها عليها . ويضرب مثلاً لحالة الأخيرة
بحزيرة ملوس الصغيرة وهي التي أراد أن تحتل على الجهاد في الحرب
اليونانية ، لكن الله دلت على سيادة البحر بطشت ملوس .
فخصف ذلك بما نهى لدى الآخرين من عطف على قضية أثينا . والواقع
أنه لم يمح مرور قرن من الزمان أثر هذه الحادثة من نفوس الآخرين
لفعلوا على خصمهم وتكراريتها لأثينا .

وهذا حادث قابل الاهمية في ذاته لكنه يحلنا نموذجاً بطريقة
توكيدهم . فهو يفتقر الأحداث لا تبعاً لأهميتها الذاتية وإنما تبعاً
لقدرتها على تصوير كلنا كل العامة ، ويستفيض في شرحها بكل ما لوحي
من قدرة على التحريك السياسي المخرج . وفي حرس المذكرة التي يورد
حادث جزيرة ملوس لحياً توكيدهم للمرة الوحيدة في مؤلفه إلى طريقة
الاستدلال ، وهي الحوار بين شخصين يقرعان أهمية بالحجة .
ولا سبل إلى الشك في أنه قد أثبت هذا النقاش طليفاً يستند على أحداث
زعماء هذه الجزيرة والسفراء الأثينيين صورة تليق بالخيوية لصراع
الأبدى بين الحق والقوة ، فرى أهل الجزيرة الأثينيين وقد أدركوا حيث
العدالة روح الانصاف عند الأثينيين يحاولون قديين لتصورهم الأقوياء
على أنه من الأوثق لأثينا مراعاة جانب الاعتدال في استخدام قوتها
الغائلة ، فقد يأتي اليوم الذي تضطر فيه إلى مناشدة العدالة واحترام القيم

الإنسانية : ولكن الأثينيين وقد أصبحوا آفاقهم عن هذا التحذير ،
يجيبون بأن الحفاظ على هيبة امبراطوريتهم يقتضي ادخال الجزيرة في
حضره هذه الامبراطورية لأن العالم سيمر في بقاء الجزيرة على حادها
دليلاً على ضعف الامبراطورية ، ويتخفى السفراء الأثينيون فيحذرون أهل
ملوس من عبث ارتداء مسوح البطوقة ، ذلك أنه ليس في ميدان السياسة
الاستعمارية الحديثة مجال لمراعاة قواعد الفروسية القديمة : ويتهمون أولئك
الداعمين إذاً ، حيث الأحقاد على الآلهة أو الاسبرطيين ، فالأطمة دائماً في
صيف الأقرباء ، والاسبرطيون أنفسهم لا يحشون ما يسميه الناس عبلاً
شيئاً إلا إذا كان ذلك في صالحهم .

إن سياسة الأمر الواقع التي اتبعها أثينا وهي في أوج قوتها قد اصطفاها
توكيديدس كل ما يطوي عليه المذهب الفلسفي من الحق والقوة ، عندما
جعل الأثينيين يبرزون عن القوى الخفية بقانون الطبيعة ، أو بصورة
أخرى بشرية لغاب : ويتذنون الآلهة من علياتها بوصف كونها حماة
للمادة لك دمارها ، ارموز التي تصعد فيها قوة الاسماك ويطشه . وهكذا
حاول الأثينيون تغطية العرض الشديد بين سياستهم وقواعدهم الدينية
والأخلاقية ، وهي التي كانوا يعتبرونها ملاذ الضعفاء ، وعلى هذا النحو
يرتد توكيديدس كيف بلغت سياسة القوة الأثينية طروة نحوها المستطفي .
وكيف تخفها المدافعون عنها . وذلك الطريقة السفسطائية التي اختارها
مؤرخنا لعرض مشكلة الصراع بين الحق والقوة على تطور الوصول إلى
قرار حاسم فيها . ذلك أن قوة المناقشات السفسطائية ليست في الوصول
إلى حل لمشاكل وإنما في بسط وجهتي نظر الجانبيين بسطاً واضحاً
لغير المستطاع . والجانيب فيها كتبه توكيديدس عن حادث جزيرة ملوس
أن هذا هو أول عرض صريح للمذهب القتالي بأن الحق هو القوة :
وهو مذهب كان غريباً عن العقيدة الاثينية في المبرور السابقة واستثنى
لأول مرة في القرن الخامس قبل الميلاد ، عندما أصبح نوعاً من الحق

الطبيعي أو المتألمون الطبيعي الذي يعارض مع قواعد الأخلاق
المألفة .

ونرى مثلاً رثعاً للفكر نوكليديس النيامي الناضج وبراعته المبالغة
في التحليل والوصف فما حشد من الحجج والبراهين من حملة أثبات
خدا صغيلة : ولا غرو فإن ذلك يعتبر أعظم جزء في مؤلفه . وقد لاحظ
الباحثون جميعاً أنه بفضل ما نوافر له من الخبرة العسكرية استطاع أن
يز كل التواضع في وصف العمليات الحربية وصفاً دقيقاً وأن
لمس كل نواحي الضعف تقريباً في نظم الانخراط العسكرية ، لكنه مع
الأسف العميق أغفل شرح هذه النظم مثل ما أغفل شرح النظم المائية
برغم ما هناك من حكمة وثيقة بين كل هذه النظم والحرب التي عرسها
هذه الدراسة البهجة البسيطة .

وليس من الاعراف في الرأي القول بأن لشباح حملة صغيلة مثل
حتى القارئ من بين قضاة الكتاب الأول حين يحدك نوكليديس حساً
أوحى به جزيرة كورنكورا الألبين قبل بداية الحرب من قول محققها
لها تدين أمطولا قوياً ولأن من يملك زمام شبح الجزيرة يسيطر على
طريق البحر إلى صغيلة^١ . ويؤكد القارئ أن يرى الشباح حملة
صغيلة مرة أخرى في الكتاب الثاني حين يتحدث نوكليديس عن الظروف
عن سياسة بريكنس بعد موته والاعتماد على محاضرات جريك انتصاراً
للأمم المتحدة وجزياً وراء المذاهب المائية مما كان له تسوا الأثر في
سير الحرب^٢ . وإذا كانت الحملة التي أرسلها أثينا تحت صغيلة^٣
في عام ٣٢١ قبل الميلاد الأهمية ، فإننا نرى نوكليديس يجعل الزعيم
البرقوسي الكبير مورقورمان يشارك بعد ذلك بإقل في مؤتمر جولا
(Gela) في عام ٤٧٤ تسوية الخلافات الناشئة بين عصف مدن

(١) I. 83 — 84

(2) II. 46

(3) IV. 50, 51, 52

مصلحة لتتعد جميعاً تحت زحامة مرقوسة (Syracuse) حتى تصبح مواجهة هجوم أثينا عليها في المستقبل ^١ . ولما نجح ملاحظته أن هرموقراطس استخدم في هذه المناسبة المصنع نفسه التي استخدمها في بعد أمام الجمعية العامة في كبرى ^٢ عندما أثبتت أثينا حمايتها الكبرى إلى صقلية . وبين أن توكليدس قد أضاف لشاراته التمهيدية عن حملة مرقسية حتى راجع . بعد انتهاء الحرب - مسودته عن الحقبة الأولى حتى تأسر أن هرموقراطس كان الباسي الصقلي الوحيد الذي انصف بعد . فنظر ورأى من أنه لم يجد أن الخطر كان لا مفر منه . وذلك لأنهم كانوا أن أثينا تستطيع حثاً إلى بسط سيادتها على صقلية ، وتقديره أنه لا يجوز توجيه أي لوم إليها إذا ما دمجها إلى المنطق يستلزم ذلك تلك الحرية . ول هذا دلالة على أنه حتى خارج أثينا كان الناس يشكرون بالسلوب سياسة الأمر الواقع .

وبعد صلح نيقياس دعت إسبانيا أو إسبانيا (Regula, Sagasta) وكانت إحدى مدن حرب صقلية ، الأسيبيين تحت أثينا ضد جيرانها - سيراكيوز . وكانت قد امتلأت بمرقوسة ^٣ . وقد استجاب الأسيبيون إلى هذه الدعوة لينضموا منها طرية لفتح صقلية ^٤ . وعندما رأى نيقياس ما استقر رأي مواظبه على القيام به ، انفضى بحضرتهم محلاً من سبب هذه المبادرة ^٥ . وعملك حرب الكيبادس وفقاً لشرح ما ينهوي عليه مشروعه الخطير من مزاي : باعتبار أن فتح صقلية أفضل وسيلة للفوز بالسيطرة على كل بلاد الأخرى ، وباعتبار أن بسط رقعة الامبراطورية الكيبية السيل الوسيط للمحافظة عليها ، لأن كل توقف في الانسحاب يحل في طياته خطر الأسيبيات ^٦ . ولتعتبر هذه المحفة التي

(1) 25, 22 - 24.

(2) 24, 15 - 21.

(3) 21, 8.

(4) 25, 8; 2, 2.

(5) 25, 8 - 14.

(6) 21, 24 - 28.

وقف فيها لكييادس غصياً في الجمعية الشعبية الأكثرية بعد تحذيرات
 نيكولاس من أدق الملاحظات وأكثرها ازدحاماً بالمعاني في قصة نوكديديس .
 وقد عهد إلى أن يذكرها بكل ما قيل قبل الحرب من ضرورة بسط
 الحقائق التي دون توقف وصفاً نصف به تلك الأثني من الجماعة
 والمرأة والحيوية الدافقة . ولكييادس يعتبر صورة مجسدة لهذه
 الصفات ، وهذا يفسر قدرته على اقتناع الجماهير بوجه أنه كان مكروهاً
 لسوء سلوكه في حياته العامة . ويرى نوكديديس في لقاء مثاليته الزعامة
 إلى شخص يجتمع فيه من الصفات مثل ما اجتمع في لكييادس وتوقف
 ترحل الحملة المطروحة على أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى سقوط
 أليان . ومن الخطأ أن تصور أن نوكديديس اعتبر نيكية أليان في
 مثالية حقا أنزاع الياء بها جزءاً أساسياً الاستعاري . فهو أبداً ما
 يكون عن الاعتقاد بأن المساء دخلاً في تصرف شؤون الأرض ، لو أن
 القوة شيء سيء في حد ذاته ، ذلك أن قوة أليان هي التي أنقذت الآخرين
 من الضمير وساعدت على رجوعهم إلى وطنهم وضمهم إلى حضاري ونشر حضارتها
 في أرجاء العالم لاخترقي . بيد أن سوء استخدام هذه القوة هو الذي
 ألقى إلى الجحيم بالضعفاء وفي النهاية إلى النتيجة الملتزمة المحزنة ألا
 وهي القضاء على هذه القوة ذاتها ، فضلاً عما كان لسوء هذه القوة من
 آثار مدمرة مبدئية بدأت تعود المراقبين على إصدار قرارات ماثلة في
 الشؤون العامة وانتهت بنفسي العلوي نظرياً في المعاملات الشخصية .
 وفي رأيه أن حملة هيكلية كانت سلسلة من الأخطاء السياسية ، فهو
 يوسعه فاسوداً سياسياً كان يعتقد أن الجماهير حين مالاً نحو المشروحات
 انجذاباً الخاذلة ، وإن واجب القادة هو توجيه هذه النزعة الانجذاب السليم .
 وفي هذا الموقف، ألك لكييادس لسوا النزعات في مواطنه فلم يستجيبوا

إلا صوت العقل . ولم تكن الحملة نفاع من قبلها حتى استثمر خصوم الكيبياس شعور الكهنين الذين عدوا تقربوا استدعاهم لمحاكمة ، وقد علموا بأنه هر خروبا نجدة حياته قررروا اعدامه ⁽¹⁾ . ولم يزل أن آلات التهمة العليا لخدمة إلى ليقباس ⁽²⁾ : مع أنه كان أشد معارضتها وبعد الناس عن الإثبات ⁽³⁾ بها ومن ثم أنهم صلاحية لقيادتها إلى النصر . وما يجدر ملاحظته أنه إذا كان عالم توكيديا من حاشا يدبر منه ويقرر معارضة الرجال لا انشاء أو الآلة : فانه مع ذلك لا يغفل بيان أثر المشاعر الدينية في تحريك الأحداث كالتأثير الفاضل لمسطرة من لطفوس الدينية العبرية ونشوبه عائيل الإله هومس في أثينا حين إدار الحملة الكبرى إلى سقاية ⁽⁴⁾ . وهو ما اتهم الكيبياس بارتكابه . والنتيجة المأساة لأخير تصحاب الأثينيين في صيف في عام 513 سبعة وعشرين يوما بسبب خوف النصر ⁽⁵⁾ .

ويعطينا توكيديا صوراً دقيقة بالحياة في أثينا في الأثينيين تأمل الحملة لغير من المرمقات المستمرة ، فقد كانوا بين طرح مستلزم ورجل مشفق ⁽⁶⁾ . وما نشره بينهم جميعاً من الخزع واليأس نأيا للكرلة التي مكنت بها الحملة وذهبت بكل ما كانت أيا تحتر به : لمطولة واحتياطها الذي وهو الذي استدعته في إمداد الحملة ⁽⁷⁾ . وما علقه رجال الحملة من أمون نعله كان من أبشعها ما حقق لهم عند نهر أسباروس ⁽⁸⁾ (Asparus) ويسمى حالياً فانكوزل أو نومي دي نومي) وقد ساهوا به ليظفوا لهاهم وإعادلو بيوره تخفياً لخصم العدو عليهم . وفي مشهد علم كخيل بغيتهم المصبرات صفولهم

(1) VI, 37 — 38, 39, 40, 41.

(2) VI, 113.

(3) VI, 3 — 14, 15 — 53, 1, 36, 6, 47.

(4) VI, 37 — 38.

(5) VII, 39, 4.

(6) VI, 39 — 42.

(7) VIII, 1.

(8) VII, 64.

واختل نظامهم بما سهل على العدو أن ينفذ عليهم ويعمل السيف في
الألواح منهم : لا تملك دواشيم عباد المهر وعند سكرها أيضاً سلك
الحرب ومع ذلك فإن الأحياء منهم كانوا يقاتلون على شرب هذا المزيج
الكريه .

وفي برا توكيديس فكرة أثينا في سفلية إلى سلسلة من الأخطاء
الحسام : فانه عز تلك عز عنها النهاية في الحرب إلى سلسلة من
الأخطاء الحربية التي لأخطاها أحاطها لاغاة بضرورة تعرف الأخطاء
بده وفوقها : لأن تلك ذلك ينطوي على انكار التجربة السياسية واختار
فرض تجربة للإفادة من خبرات الماضي . وقد يصر عليه مهمته أنه لم
يحدث من حكمته الفاشلة وسدنا لأساً لحكمهم في استمداد هذا الأساس
أولاً من حكمته بريكليس وهو الذي حرص أثينا على خوفاً غير الحرب
وكان في استطاعته : وقتاً لا اعتقاد توكيديس : أن يفتوحها إلى
النصر .

ولا كان توكيديس لا يدخل في تقديره إلا الأسباب الطبيعية : أي
« وضع البشر والمكانات » ، فانه يملك أدوية كثيرة على الآثار القوية على
خلق الأفراد وفكراتهم في توجيه شؤون مجتمعاتهم ، دون أن يفرش إلى
تسجيل ما تموجه الألسن من سيرهم . فلا عجب أن توكيديس يعتقد أن
نتيجة الحرب الميلوبونية توقفت من حكمته زعماء الحربين المتضادين
أكثر مما توقفت على مقدرة الجيوش والأساطيل . فلي انكسر الثاني
بعد أن يورد الخطبة التي ألقاها بريكليس : واستحث فيها مواطنيه على
مواصلة الكفاح وقد قدّمهم القتلى وقت الطاعون في عبيدهم ضعفت
معدريتهم ضعفاً شديداً لما حد أن اليأس غيم عليهم ، يقارن بين هذا
الزخم القتل وكل الذين اعتبره في توهم الكينيين : فيحدثنا بأنه طالع

(1) II. 45 - 46

(2) II. 45

تولى بريكس زعامة ألبانيا وحافظ على سلامتها في السلام وفي الحرب على
السواء وجنح بها نحو الاعتدال : وأنه هو وحده الذي أحسن فهم لتهمة
التي كانت ألبانيا تراجعتها في حربها مع البلويونيزيين ، فقد جعل سببا
تستهدف تجنب تعريض البلاد لخطاطر لا داعي لها : وذلك بعدم
الانضمام على مضامرات خطيرة ، ونقصدى توسيع رقعة
الامبراطورية في أثناء الحرب ، مع النهاية في الوقت نفسه بالأسطول .
وأما حقوقهم فأنهم ما ذروا على نقض ذلك : فقد دلتهم الأضمار الشخصية
إلى تنفيذ مشروعات ضخمة تكسيهم للجد إذا نجحت وتضعف مقاومة
البلاد إذا أخفقت . وهذه أداة صريحة لالتكيبادس الذي وجه إليه هذا
اللامر زعماء التريه الحذر لقياس في أثناء مناقشة مشروع حسنة مدينا ،
وهذه المناقشة تبين أنه لو كان بكفي لإعزم ليملك زمام الجهاد أن
يكون حبيب الرأي وعلى خلق كرم لتوافرت الفئ الذي يقياس من ذلك
الإرادة ، تكن الواقع غير ذلك ، إذ أن التكيبادس التريه المخرج كان
أقدر من غيره على المرحلة ولو أنه قاد بلاده إلى المأزق ولم يفعل شيئا
لا ينفيد من ورائه . ومع ذلك فإن ما انصف به توكيبادس حسن
الانصاف أبى عليه إلا أن يستعمل اعترافه بانحلاله إيجابية في أذاهما
التكيبادس لروم في عام ١٩١٦ عندما كبح جراح رجاء الجيش والبرية
المتجمعين في مابوس وأقتنهم بعدم الوضف على ألبانيا لقضاء على حكومة
الأوليغاركية وهي التي كانت تولى حكم ألبانيا عند ذلك . وقد فصل
التكيبادس ذلك حتى لا يستهزئ البلويونيزيون هذه الترسه ويستولوا على ألبانيا
والبردينيل^٢ .

وقد أبرز توكيبادس قوة تأثير بريكس في مواطنيه ، وكفائته على

(١) VI, 123

(٢) VII, 82; 86.

أن يفرضهم لا أن يدفعهم بقودهم . - نزاحت التي استند منها ضعافت في أن يقول للجماهير الحق الصريح لا ما يحبون أن يسموه ، وقدرته على أن يفيض دواعي زمامهم فإذا حاولوا أن يمحسوا كبهم وأخافهم ، وإذا نهضوا شجاعتهم ألش كالمم واستهض جسمهم . أما خصارته فإنه لم يفلح واحد منهم في الفوز على ما كان له من نفوذ ولو مؤقتاً دون أن يسلط الجماهير ويستزعمي زوائهم . ولذلك فإن توكيديس يرى أنه لا يمكن أبداً أن شخصية تستطيع السيطرة على الجماهير ومخالبة الدستور الديمقراطي أخفقت هائلة : وذلك فضلاً عن أن بريكس كان لا يملك أصلاً أن يقدم على مثل هذه المخاطرة لأنها كانت تناقض خطته الدفاعية . ولما تدبر توكيديس أن قل متافسي بريكس وخلفائه قد واجهوا مثله مهتة توجهه أننا في أثناء كفاحها من أجل كيانها ، ولكن بريكس برسه هو الذي كان أصلاً للاضططلاع بهذه المهمة ، لأن بريكس كان الزعيم ورجل الدولة المرموق الذي انصاف بأسمى صفات الزعيم السياسي .

ولمواقع أن منظمة بريكس تبدو في أجهل صورة بالمقارنة بين حال كيانا في أثناء المراحل الأولى للحرب عندما أُنشئت لما الأداة من زخامت : وبين حالها في أثناء المراحل الأخيرة للحرب عندما انضم الأثنيون إلى شخصية قوية وتوجهه الحكيم ورأيه السديد ، فتركبوا رؤوسهم ونزالت الشكيات عليهم . وإذا كنا نعتقد أن الصورة التي رسمها توكيديس لبريكس كانت عمرة هذه المقارنة ، فإنه يصعب علينا أن نقرر إذا كانت السياسة التي مزما توكيديس إلى بريكس قد رسمها بريكس نفسه على هذا النحو . أم أن توكيديس هو الذي جعل بريكس يصح الأثنيون بتجنب التوسع لأنه كان يعرف سياسة بريكس في هذا الصدد وشهد الناتج الصمد التي تجمت عن مخالفه هذه السياسة في عهد خلفائه . وعلى كل حال فإنه يبدو جلياً أنه لم يكن في وسع توكيديس أن يصعب سياسة بريكس السياسية وبين أنه لم يرتكب الأخطاء التي ارتكبها خلفاؤه . لم

يمكن في وضع توكيديس عمل ذلك إلا بعد الحرب وإن كان قد جعل بريكس^١ يحذر الأتينيين قبل بدايتها من التوسع والعرض لأخطار لا ضرورة لها ويقول لهم : « اني أتعاني شحاً مناً أكثر مما ينبغي لحظ أعداء الحرية . » ولا شك في أن توكيديس عندما عزى نجاح سياسة بريكس الخارجية إلى قوة مركزه في أثينا كان متأثراً بما قرب على طرح مركز توكيديس الداخلي من نتائج في الخطبة الحربية التي رسمها الأتينيون على صقلية .

ولا جدال في أن توكيديس هو مؤلف الخطبة ، بريكس في أثينا صباحاً العام الأول للحرب^٢ . وقد كان التقليد المتبع في أثينا الأتينيون الذين يتقون حشهم في ميدان القتال أن يشبه الخطيب يشجعهم لكن توكيديس أظهر هذه الفرصة ليسجل للأجيال القادمة صورة الدولة الأتينية تبرز خصائص زعيم الحضارة الأتينية . ولم يسمح بانقاء هذه الخطبة إلا إلى بريكس : رجل الدولة الأرواح في نظره ، وهو الذي توافر له من الصفات ما جعله خطيباً بالصحير عن روح أثينا . ويضع لكن على أنه لا يستطيع أي ترجمة أن تناقض فكرة توكيديس . في معالجة هذا الموضوع على هذا اليسر ، وإذا كان أحد الباحثين المحدثين^٣ رأى في هذه الخطبة « أنشودة من تمجيد العبادة الذاتية للهيبة مستورة وراء قناع دقيق من التواضع والاحتيال » . كان باسفاً كبيراً يرى أن هذه الخطبة « لا تصف معاً أثينا بل تضيف إليها أثراً جديداً فهي تبرز وسط مأساة الحرب على هيئة عمل فريد من الشعر وكأنه بارثون آخر

[1] L. 164, 1.

[2] II, 35 — 46.

٣ لويس غوردون ، الأتينية في عهد الإسكندر ، ترجمة ونقطة د. لعم فوسلي ، ص ٢٢٢ (أثينا ١٩٨١) .

[4] Shatzwell, op. cit., p. 167.

شيء لا يحتوي تمثل الإلفة المرافقة حامية المدينة وإنما ليكون مركزاً
بحله روح مواضعها .^١

وقد نحاشي توكيديس أن توافقه الخطابة الرسمية وركز همه على
ما ابتاع به وطنه في ذلك العصر من الحرية الدائمة ولسده نواحي النشاط
العلمي والأدبي والتي وجعل من كل ذلك وحدة جلية واحدة . ذلك
أن توكيديس صور الأكينيين في صورة شعب سموده وحدة الهدف مع
فتح كل مواطن بحريته في جو من النظام الذي لا يضطرب وإنما كان
يلو دواً أنه على وشك ذلك . ويعطي توكيديس فيصف أثينا بأنها
مركز الشعاع الحضارة في العلم الاغريقي ، فنقول في مباح هذه الخطبة
الخاتمة : « وجعله يقول إني اعتبر أثينا مدرسة بلاد الاغريق . »^٢
وهذه العبارة التي يجمع لباحثنا على أن توكيديس سمها بعد حرية
أثينا في الحرب لتطوى على ما أدركه بعقله الفاضح وفكره الدقيق من أنه
برغم هذه الحرية المسلحة فإن أثينا منتقل محضطة برحمة الاغريق الحضارية
ومستجد في نشر نفوذها الحضاري وتخليد أثرها لروحي حواء لها من
هزيمتها الحربية وضياح سيادتها السياسية .

ويعتبر توكيديس للصور الأثينية إشكراً أصيلاً لم يحط حدود أي
صور آخر بل هو آخرى بأن تصح للدول الأخرى على مثاله^٣ .
ويرى أن الديمقراطية الأثينية على عهد بريكس لم تكن تحقيقاً آلياً
للمساواة ، وهي التي يعتبرها البعض أسس مراتب العدالة وينتسبها البعض
الآخر بأنها أدنى مراتب الظلم . ويعتبر من فكرة توكيديس غير تعبير
ما وصفت به نظام أثينا السياسي من أنه لم يكن ديمقراطية إلا في الاسم :
لما في الواقع كان بريكس هذا بالذات يرجع المواطن الأول في أثينا وسادتها

(1) II, 1.

(2) II, 37, 1.

الحقيقي^١ : وهو الأمر الذي جعله يفلو في لحظة الحليب بأنه من حيث الشؤون الخاصة كل المواطنين سواسية أمام القانون ، أما من حيث الشؤون العامة فإن الصداقة من حق أصحاب الودع المتنازعة دون نظر إلى أي اعتبار آخر^٢ . وهذه الفكرة لقرن من ناحية حتى كل مواطن في ممارسة حقوقه السياسية ، ومن ناحية أخرى عبء جمهورية الشعب من حكم امراضورية شيرة وحتى الفرد المعدل في عوالم الحكم . ويمكن يكون توكيدس قد وضع لنا بعض النظريات السياسية التي نادى بها فيما بعد الأملون وأرسطو .

ولا جبال في أن اعجاب توكيدس بريكليس إلى حد بلغ به أن مونة الكمال يم عن جنوح توكيدس مرة أخرى عن الحقيقة التي يتسم بها بريد عام . ولكن أهل له علماً ، فالفارق حد شامع بين حكمته بريكليس المصممة بشجاعة الشبر ، وبين ديماجوجية كليون المنهورة أو زاهة نيقياس لقرونة بخنرة العزعة أو جرأة الكبيباس المنوبة بالفضة الشخصية .

...

ويتضح مما سبق أن توكيدس أول موزج طبقي ثاليب ليست العلي تعيقاً دقيقاً على دامة الأحداث عصره . ولذلك فإن الباحثين يفتون على أنه إذا كان فروتوتوس يعتبر أبا التاريخ فإن توكيدس يجب اعتباره بابا النقد التاريخي ، كما يفتون على أنه قد أعاد بجاحاً باهراً في صله ، ذلك أنه لا يختلف هناك في الاشارة بالأسلوب الساذج ، وقصرته على الوصف ، ودقة البالغة في التحري صحة الوقائع وتواريخها ، وسلامته بوجه عام إلى مستوى رفيع من الحقيقة والاتصال . ولا يقلل من شأنه

(١) II, 45, 9.

(2) II, 83, 1.

ما سبقت الإشارة إليه من انحرافه مرات متعددة عن هذا المستوى ،
أو سوء بناء حل طاقته في التأريخ فهو ، رغم ما يشوبها من نقص
وقصور صالحة فليل كبير على المحدثين في إعادة تأريخ كل حوادث
تاريخ الاغريق القديم .

وإذا كنا لا نقر طريفته في تفسير الحوادث بما اصطغته من خطاب أو
عنوايات أبراما على ألسنة قوم كثيرين ، ولا نشاركه اعتقاده أن التاريخ
يعد نفسه ، ولا نتفق معه في الحكم على بعض المشاكل السياسية ، فإن
نعتقد أن كل ذلك لا ينقص من أهمية تاريخه الخالد وقيمته العظيمة ،
ولا يحط من قدر حكيمته السياسية وفكره العميق ونظيره الناقية .

ولا يجوز لنا أن ننسى أن هذا الفيلسوف السياسي الذي خلق التاريخ
السياسي ، ينظر إلى الواقع باعتباره أمياً وسبقة لغاية وهي لقاء شعاع
من الضوء عليها وتفسيرها تفسيراً يستند إلى التطقن السليم : فقد كان
غرضه الأجل البحث عن الأسباب الحقيقية لحوادث . ومن الانصاف
أن نقرر أن ظواهر الأمور لم تحده مرة من بواقيها . ولا كان لتاريخ
في نظره تاريخ جماعات سياسية ، فإنه كان يؤمن بأنه لا يمكن فهمه
فهما صحيحاً إلا على ضوء العوامل السياسية والاقتصادية والفنية . وأما
تداخل الآلة والنساء في تخفيف مجرى الحوادث فقد استبعد وإن لم
يسجد بشعر المظاهر الدينية في ذلك ، وفي المرة نفسها أبرز أهمية الأخلاق
والرحماء وقيماتهم في هذا الشأن . وقد برح توكيديديس إلى حد يفوق
الوصف في تصوير جوانب المظاهر وعمايتها تصويراً يكشف عن قسوة
من الإزهار بمثل ما تنكشف عنه مسرحيات شكسبير .

ونحن لا ننسى فيما كتبه توكيديديس مواهبه العقلية المتنازة فحسب :
بل نلمس أيضاً إنسانيته الرفيعة وأحاسيسه السامية ، فهو يحث الحرب
ويحب السلم ، وينتقز لنفسه ما كان يصاب الصراع الحزبي من فظائع

والتي لم يبق العنوية ، ويكره سياسة وطنه الاستعمارية ، ويفزع من انقراض
 التي تُزعمها مواطنوه الأثرياء بأهل جزيرة ملوس الضعفاء ، ومع ذلك
 فإنه يحب وطنه إلى درجة العبادة على نحو ما يتجلى بأروع صورة في
 عطية الملوك ، وما يجب تركه أن هذه العطية السمعة التي لم يمد
 من أخطائه وطنه لم نأ به كذلك عن الصفات أهداه هذا الوطن
 الحبيب .

وإذا كان توكيديدس قد أهمل بعض جوانب تاريخ الحبيبة التي
 كتب عنها ، وذلك من شرح النظم المالية والعسكرية وتصوير الحياة
 الاجتماعية والعقيدة السياسية في كل تلك الدول التي اشتملت في ذلك
 الصراع الزبر ، مما يترك في النفس أمية ولوعة لما حرمت الحصول عليه
 من مزيج دقيق أمين له من هذه النظرة الثابتة وكل هذه القدرة على
 تحري الحقيقة والوصف والتحليل والعرض ، فإنه انعكس في كتابه
 صورة جلية واضحة العالم ليشتد وما يتلجج في صدورهما من مواطن
 وما يحول في غرائظهما من أفكار وما يسيطر عليها من أخلاق وعادات ،
 وهو في هذه الحالة أيضاً يشابه هرودوتس إذ عندما يرغم كل ما
 بينهما من اختلاف يبرز بشكل ملحوظ تماثل نصفي مزيج في تصف
 تلي بصور توكيديدس وهرودوتس وقد أولى كل منهما ظهوره إلى
 الآخر .

وأخيراً ، لا جدال في أنه بفضل كل ما ناله توكيديدس من
 صفات قد بلغ مستوى لم يرق إليه مؤرخ آخر في العالم القديم .
 إبراهيم نصحي

(1) Mase, C.A.H., V, p. 114.

(2) Jacob, *Thucydides History*, p. 2037; *Thucydides, History of Greece*, 1940, p. 202;
 Stobaeus, op. cit., p. 202; *Thucydides, op. cit.*, p. 202; Cary and Harrison,
 op. cit. pp. 308 — 9; *Thucydides, History of Greece*, 1907, pp. 228 — 29.

مُذِن الواجبات في الفقه الكبري

ممن كتبه لعل من أسند هذا الشأن المصنف في هذا المجلد

ليدكتور محمد بن محمد

أستاذ الفقه في كلية الشريعة

الرياض - العرب

١ - المقدمة

لا شك أن الصحراء تكون هطلاً جغرافياً متخفاً في حياه الحضارية ،
ومع ذلك لا الصحراء ليست بحالة تهاداً من هذه الحياة ، فقد قامت فيها
في كل عصر وزمن نويا وخليات للحياة الحضارية ، وذلك ذلك حقيقة
بسكره في الصحراء الجزائرية الشمالية التي كانت قاعدة عسكرية في خطوط
النظام الأممية المماني ، ولما كانت الحياة في الصحراء تخضع لحضرة
شبه تام للظروف الجفاف نجم عن ذلك أن الحياة فيها تكاد تقتصر على
الفاصل التي يتوافر فيها الماء ، وعلى الرغم من أن بعض التجمعات البشرية
قامت خارج الواحات المقلية ، إلا أنه لا بد من أن يبرز بأن الحياة
الحضارية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالواحات التي احتضنت كميات المدن

والواحد الرئيسية . فإذا ذكرت الواحد التصرف الممثل إلى المراكم المروية والحياة المستقرة والشرى بل والمدن . ففي هذه الحروب الصحراوية ذات الكثافات البشرية الكبيرة تصادف أعظم المدن ذات الطابع القديم الأصل والمرتبطة بالأساليب المعيشة المنطقت من طبيعة الصحراء وجفافها . ولا ينبغي ذلك إطلاقاً أن مدن الواحد تشكل النمط الوحيد لتجميعات الحضارة في الصحراء . فهناك ضروب ومواقع أخرى الاستمرار الحضري تتمثل في المراكز التجارية التي تقوم عند تقاطع الطرق والمسابغ الصحراوية ، كما تتمثل في مدن الاتصال بين الصحراء ومناطق الحضارة المصرية (الأسب) في الشمال من جهة ، وبينها وبين مناطق الحضارة المصرية (الأسب) في الجنوب من جهة أخرى . وقد نعت هذه المدن عراقاً الصحراء لقوامها على الطوائف بين منطقتين متباينتين من حيث الموارد الطبيعية والإمكانات الاقتصادية . ومن المثل ما صنعت الدواجن الدنية إلى إنشائها وزدهارها كسنداً للإقليم مراب . وأخيراً وليس آخراً المدن الدينية . وهي تجمعات لريدة في نوعها تجتذب عن أشجار الموارد المعدنية كما يوحى بذلك اسمها . وقد عرفت هذه الفئة الأخيرة من المدن في العصر الحديث تقدماً متقطع التطور . وذلك بفضل استغلال خدمات الحديد (بوريطانيا) والنفط (الجزائر) والبريديات (تونس والجمهورية العربية المتحدة) . على أن الجزول (ليبيا والجزائر) كالأقوى للعائد الرأ في خلق مدن جديدة ظهرت تقريباً على دفعة واحدة ، هي تجمعات متوزلة في انحصاء الصحراوي التاسع . مكتوبة مسورة منتشرة خربة عن الوسط الذي تقوم فيه مبانيها الضخمة والمناخية من مسابغ ولحد ومجهزة بآلات تكيف الهواء : بها حوانيت ومخازن وقنادل مسابية ، كما أن بها ملاعب وحضائق وأحواضاً مسابية وكل ذلك لم يكن ليوجد دون تكاثف باعثة . مدن يقطبها الرجال - والنساء من الرجال على وجه الخصوص - دون النساء . وتكون عموماً صورة

حضرية ليست من صميم الحياة الصحراوية وإنما هي من مستحدثات العصر .

إن المقام لا يمتنع لأن ندرس جميع أشكال العمران في الصحراء .
وحسب أن نحصي الكلام في مدن الواحات حيث قامت حياة حضرية
قديمة جداً قدم الواسطة نفسها . على أنه هذه المدن لم تترك في الآونة
الأخيرة لمزاج حضريه اختلقت قوتها من مدينة إلى أخرى . وهذه
الغزات هي نتاج عاملين رئيسيين : أرضها الاستعرا ، وثانيهما اكتشاف
الزواك المسنية ومن الخمس زيت البترول . وقد من هذان العاملين
مدن الواحات بدرجات متفاوتة وحسب مختلفه عما كان له أكبر الأثر في
الشكل الذي اتخذته تطور هذه المدن . ولا بد لنا ونحن نقول رسم صورة
واضحة ووضوحاً كافياً لمدن الواحات أن نتجنب الالتراط في ذكر صغيرها
لئلا المفسر كفي نركز الحديث بفتح خاص على المدن الواحية الكبيرة التي
تأريها الصحراء والغدير في الآونة الأخيرة .

٢ - التوزيع الجغرافي

يكاد يتفق المشتغلون بالدراسات الصحراوية على التمييز بين ثلاث
مناطق للصحراء : الصحراوية الحقة المتديدة الخفاف : والصحراوية الخفيفة
وأخيراً الصحراوية شبه الخفيفة . والمقام لا يمتنع بالتحدث عن هذا التقسيم
والأخص التي ينبغي عليها : ولا بد لنا أن يطلب المزيد إلى أن يرجع إلى
المراجع المعتمدة بهذا الموضوع . والصحراء الحقة هي ما يعين في هذا
البحث . أما لما يتعلق بحدودها في الصحراء الكبرى الأفريقية فقد سبقنا
الاستاذ كابوري بنطين : أحدهما في الشمال وهو الخط الذي يمتد

وحدود الخين الشابة : على شريطة أن يصل تمرد إلى التصريح الذي يسمح تسوية بسهولة . والخط الثاني في الجنوب ويسكن الحدود بين نوعين من النباتات الطبيعية ، أولها نباتات محلية سرودة باسم السد ، وهي حشائش تزرعها الإبل في القسم الجنوبي من الصحراء ، وثانيها نباتات كرم - كرم وتنتشر إلى جنوبها وترعاها الأبقار .

وفي داخل هذه الحدود بين من التوزيع الجغرافي لمدين الواحات أن أكبرها حجماً يقع في واحات القسم الثاني الغربي من الصحراء الذي يمتد سبيلاً إلى الأقطار الممتدة : تونس والجزائر والجزيرة العربية . وقد لا الإقليم غني بالواحات الكبيرة الآهلة بالسكان مما دعا بعض الكتاب إلى أن ينعته بـصحراء الواحات . ويؤكد توزيع المدن التي يزيد عدد سكانها عن ١٠.٠٠٠ نسمة هذه الظاهرة . فكما يشع من الخريطة المرفقة تتركز جميع هذه المدن : وعددها سبع مدن ، في الشمال الغربي . وجسدياً - باستثناء توزر الواقعة في الجنوب التونسي - توجد في الصحراء الجزائرية . وفيما يلي جدول لهذه المدن تورد مع العدد التقريبي لسكانها .

مدن الواحات التي يزيد عدد سكانها على ١٠.٠٠٠ نسمة

بكرة	٥٩,٠٠٠	الواد	١٦,٠٠٠
الأهواض	٢٥,٠٠٠	توغرت	١٦,٠٠٠
غرداية	٢٠,٠٠٠	توزر	١٣,٠٠٠
ورقلة	١٩,٠٠٠		

فيما أمثلة إلى مياه القارة التي يتجاوز عدد سكانها ١٠.٠٠٠ نسمة لوجدياً أولاً مدينة آفان (٦.٠٠٠) هضبة بلاد آفان ، وهي

المدينة الكبيرة الوحيدة في القسم الغربي من الصحراء ، والواحات هنا قليلة الخير يدل مظهرها على الفقر والافتك . ثم إرفود (٥٠٠٠) عاصمة إقليم تافيلالت في جنوب الغرب . وتعتبر مجموعات التخييل هنا من أكبر المجموعات العالية وأحداه . أما الصحراء الجنوبية للقبزة في مدنها ، والمدينة الكبيرة الرحالة هي آبيجز (١٠٠٠) عاصمة الطوارق الجنوبيين ، وهي مدينة أخذت فيها معلم الحياة الحضرية في التدور ، وبها الجمال تجارة القوافل بين السودان والصحراء .

فإذا ما انتقلنا إلى النصف الشرقي من الصحراء الكبرى وهو الجزء الذي تحله الصحراء الليبية فأهم شيء يلتفت النظر هو أن الجماعات الشربة هنا قليلة العدد . وأكبر الوحدات يوجد في فزان ، وهي منطقة غنية بالمياه ، تقع على أنصر الطريق المؤدية من البحر المتوسط إلى السودان عبر الصحراء . هنا وقد عرفت فزان بفضل موقعها التجاري المتنازل غرباً من المرحاء منسهي ، وتكثر ابلات بحر في الوقت الحاضر بأزمة حارقة ، حيث أن بعض الواحات يبدو وقد لربك في أريهم الغرب . ويوجد هنا التدوير إلى انتطاج تجارة القوافل والحظايا . وهكذا هاجر السكان من فزان ، وإزدادت أبراج الصحراء قوة بانفسار مراكز انتاج البذرة في الشمال وجانب من المراكم سكان العادين ، ومدينة مرزقي التي كانت عاصمة سياسية لفزان خلال خمسة قرون متصلة تحدث حالياً معظم وظائفها المدنية ، ولم تعد لها الأهمية التي كانت تملكها ، حتى أصبح يرتد في نهبها الآن بالديت .

أما الواحات الخمس المتناثرة في الصحراء الغربية المصرية ، وهي سوسة ، البحيرة ، المرارة ، المناخلة والمارجة ، فسكانها قليلون . وينظم كل منها جسداً من القرى بأرواح عدد سكانها بين بضع مئات من الأنصر

ربضعة آلاف منها - ولكن دلت آثارها المرحونية أو اليونانية أو الرومانية على تاريخ عظيم قديم : فأكبر المدن أن مرد ذلك مواقعها الاستراتيجية كموقع أريكار العامة وطاهر عند الحدود : أو كسراكة نموذج للحيثية التي نرى بها - ولا يخفى ذلك بالضرورة أنها كانت أكبر عمراً وأكثر بها هي عليه الآن . هذا وتخرج عصر الليل - أكبر الواحات صراً - من نطاق هذا البحث نظراً لحجبتها الغامضة وتعدد لها الشارة ، مما يجعلها غامضة أيضاً .

٣ - القرية والمدينة في الواحات

للمدينة طابع خاص يجعلها تختلف عن القرية من أوجه كثيرة - ويختلف العلماء أساساً لتفسير يتبعها عدداً من المقاييس المختلفة . فمنهم من يتخذ عدد السكان وحده أساساً لهذا التفرق . ومنهم من يتخذ الميلاس التاريخي أو الإداري أو المظهر الخارجي قاعدة للتمييز . ولعل التفرق بين القرية والمدينة من أسس شروط النشاط الاقتصادي ، التي يمارسها السكان ، سيادة بعض الحرف دون البعض الآخر هو أصل قواعده التمييز . فاللاحظ أنه فيما يعمل السواد الأعظم من سكان المدينة في الصناعة أو التجارة أو الإدارة ، أو في كلها جميعاً بنسب متفاوتة ، يهمل سكان القرية على الزراعة وتربية الماشية . ومن ثم فاختلاف أسلوب الحياة بين المدينة والقرية يستمد جوهره في الصف الأول من نوع الحرف الممارسة . وإذا كان الدارس - استناداً على هذه الاعتبارات والأسس - يبين بوضوح الحدود بين المدينة والقرية في معظم جهات العلم فإن الأمر قد يختلف عليه في بيئة الواحات بسبب تشاغل مظاهر الحياة الحضرية والقرية

تدخلاً كبيراً في كثير من التجمعات السكانية بما لا نظير له في بيئات أخرى .

والقرية التي يطلق عليها اسم « القصير » في الواحات تتكون من مساكن متلاصقة مبنية من الطين ، وليست للأبواب طحات خارجية باستثناء المدخل . وتفصل مجموعاتها طرقاً ضيقة تراها طوراً مستقيمة تقاطع في زوايا قائمة ، وطوراً آخر ملتوية ولا سيما إذا قامت القرية على فتوة من الأرض أو على منح تل . والطرفان في العادة مغطاة في بعض القرى أشجار النخيل ، وخرابها الحارقة . ولا عجب في أن لبعض هذه القرى طابعاً حضرياً يجعل مظهره في السوق والحوانيت والمسجد ومختلف الصناعات التقليدية بها . وفي ذلك يقول الأستاذ جوتيي : « إن القصير مهما صغر حجمه فهو ليس بقرية وإنما مدينة من الطين الحافل » .

والنقطة التي تلاحظها في مظاهر المدن ذات الواحات بدورها بعض ملامح القرى . وكيف يكون الأمر غير ذلك : وقد نشأت بين النخيل أو على مقربة منه ، وما دام الملاحون يكونون القبة الكبرى من سكانها . وليس قديماً أن يجد الإنسان زوايا الميراثات خارج أسوار المدينة فحسب بل يجدها منتشرة أيضاً في أرجائها . وما يقسم به التخطيط الصحراوي للمدن انعدام الساحات الكبيرة في داخلها إلا فيما ندر ، مما يضفي عليها بعض الصفات القروية . ومع ذلك قلنا ان الحضرية تتجلى خصوصاً بجودة بنائها وزخرفة واجهاتها وتعدد طوائفها فضلاً عن أن مساحاتها أوفر عدداً وأعظم حجمياً ، بينما ماؤها أكبر علواً . وفيما وراء هذه المظاهر الخارجية فمن المسلم به أن ما يميز سطح المدينة عن القرية هو وضاحتها .

والوظيفة الأولى لهذه الواحات هي بالضرورة الوظيفة الزراعية التجارية ما دامت المدينة هو مركز المجتمع القلاحي كما تنهله الواحة .

ففي المدينة يقوم السوق لشراء المنتجات الزراعية والحيوانية . على أن وجه الاختلاف بين سوق القرية وسوق المدينة هو أن للأول مواجيد معينة دورية في العطلة مرة كل أسبوع . وفي ذلك اليوم صفا القرية تظهر المدينة الصغيرة . ولكنها لا تملك أن تعود إلى نشاطها الزراعي وكيانها القروي بمجرد أن ينتهي السوق . فإذا ما انقضى التجار وأصحاب الحشاق حول السوق بقية أيام الأسبوع أحمد ذلك المظهر الحضري لسكان التي يجلب نمر أصحاب الحرف الأخرى وعملهم ضرب المهنات .

ولا يقتصر الأمر في مدن الواحات على تبادل السلع المتبعة محلياً . فمن أسباب ازدهار حياة هذه المدن تجارة القوافل التي كانت يمر بها أو تجد فيها موقفاً لتسويقها ولا سيما السلع السودانية التي كانت تصبح في الواحات أولاً ثم توزع من جديد في مختلف الاتجاهات . هذا وقد أصبحت المدن الواحية بكمية قوية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أثر تحريم تجارة الرقيق التي كانت تعد مورداً أساسياً لها .

ومن أهم المظاهر الحضرية الصناعات النسيجية التي يمارسها سكان لا يستهلك منه من سكان المدينة والتي لا تقتصر منتوجاتها على خدمة المستفيدين من سكان الواحات بل تمتد إلى خدمة البدو الرحل أيضاً . على أن بعض الصناعات أصبح لها الكمالات واتخذت أهميتها تجاراً وصيداً وصيداً أمام مناصب بعض الصناعات الحديثة التي انتشرت الآن . ومع ذلك فقد احتفظ بعضها بشيء من نشاطه القديم ، وخاصة الصناعات الخشبية والحدادية وصناعة الخبز والبسط . ومهما كان الأمر فإن تجمع هذه الوظائف المختلفة يؤدي إلى نوع من التخصص في الأحياء لا نجد له نظيراً في القرى . فهاك أولاً النواة المركزية المحيطة بالمسجد والتي تألف من شوارع تحف بها من الجدران الخوانيت والكهجر . وكثيراً ما

تخصص بعض الشوارع في أنواع السلع التي يبيعها ، وتتصل بهذا المركز متداخلة فيه أو متصلة عنه مصانعات تشيلية ، وأخيراً تمتد على الأطراف الأحياء السكنية حيث يعيش المزارعون غير بيده من حقوقهم . وفي هذا ما يدل على مدى الترابط بين كل من الوظائف الحضرية والفروية . وهذا الارتباط الكبير بينهما يشهد كفايته من المجتمع الواحد ذاته . وما المدينة هنا إلا صورة لمجتمع ، ولكن هذه الصورة لم تكن راسلة في كل وقت ولدى كل نهر ما نرى فيها بعد .

٤ - الأسس الاقتصادية لمدن الواحات

تحليل الفترة الاستعمارية

الصحراء الكبرى موزعة الآن بين ثلاثة من الدول المستقلة : غير أن هذه الصورة السياسية حديثة العهد ، فقد كانت الصحراء إلى وقت قريب مبالاً للاستعمار الأوروبي ولا سيما للاستعمار الفرنسي الذي كان يسيطر نفوذه على أراض ضيقة شاسعة في النصف الغربي من هذه الصحراء ، حيث تقع في أطرافه الشمالية أغني واحات الصحراء بالماء والزروع والتجمعات الحضرية الكبيرة .

ومن أهم ما خلفه عن فترة الاستعمارية من آثار تعزيز الوظائف الحضرية لمجموعة من المدن : عندها ظهرت فيها الكنائس والقنوات العسكرية أو الأتارية أو كلاًهما معاً . فأنفراد الحماية المربطة يشقون قسماً من مرتباتهم في المدينة : في متاجرها ومطاميرها وأماكن الترفيه والحلب بها ، والتي تقوم بتنظيم بيروهم . وتعد مدينة آتار في موريطانيا مثلاً جيداً لمدينة المنبسطت من بعد مبات حقيق : وأخذ

يلعب فيها نشاط ، على أثر إنشاء مركز عسكري بها ابتداء من عام ١٩٠٩ . وقرون ذلك بظهور مركز اقتصادي حديث لما كان له أثره في انعاش المدينة وإشادتها بخلاف من جديد فيها . وبنية المدينة شديدة كعاصمة ، واحة ودينة لاقليم آثار أصبحت إطار للمركز التجاري الرئيسي . فهي السوق التي تؤمنها القبائل البدوية الكبرى ، يشنون فيها بيع إبلهم وأغنامهم وشراهم مسكوكات وفضة وذهب ، فينزلون و... وهذا عام الحين أصبحت كذا حلقة الوصل بين السودان من ناحية والمغرب من ناحية أخرى ، وزادت أهميتها الاقتصادية والتجارية . وكان من الطبيعي أن تتبع رقعة المدينة إنشاء الشركات العسكرية والقوات التجارية : تم بسلام المباني المديرة التي بدأت من نحو أنشأت كمها من البو الرحل إلى حياة الاستقرار . كذلك ساهمت الوظيفة الحربية بتصويب كثير في نمو مدينتي الأغواط وورقلة حيث بنيت هذا القوس بين فضة .

وفي العادة يسع المجال الحضري كثيراً عندما تقوم مدن إدارية حقة إلى جوار القصر القديم ، إذ تجذب هذه الوظيفة إلى المدن وخانات أخرى من أهمها الوظيفة التجارية . وتتل مدينة الوادي من سير الأنظمة التي تشجع الذكر . وأصلاً لم تكن الوادي مدينة بل كانت عبارة عن قرية ، لا تختلف في شيء كبير عن بقية قرى واحات الصوف ، لم تكن آنذاك أقل محصراً من بعضها . ولكن منذ أن وقع عليها الاختيار لتكون العاصمة الإدارية لهذه الواحات أخذت أهميتها في الازدياد حتى أصبحت أكبر المراكز شأناً ، فيها يقيم كبار التجار وعلى الأنحاص تجار الجملة ، وفيها توجد المكاتب الرئيسية لشركات النقل . ولقد أخذت ههنا الوظائف الإدارية والتجارية من الوادي ملاحظة حضرياً سمياً . وأصبحت أحياءها الجديدة صوب الجنوب الغربي حيث تتخلط التلال والمناحي العامة .

ومدينة توغرت في مجموعة واحات وادي الربيع تعد خير تعبير عن مدينة واحدة نهزت وضيقتها التجارية تعزيراً قوياً بفضل تجهيزات الري لمحوض الازروازي التي يعد من أكبر الأحواض الصحراوية وأكثرها صلاحية للاستغلال . هذا وقد استحدثت مساحات جرداء واسعة إلى عقول وبساتين على أثر تحجير المياه من جوف الأرض . وبفضل الأجر المدفوعة بنقل كمثلي ربي حوالي ١٠,٠٠٠ هكتار يشغلها نحو مليون ونصف مليون نخلة . وودي الربيع هو أكبر إقليم في الصحراء انبجاً للحمور (٤٠,٠٠٠ طن سنوياً) ، والمتج الرئيسي لتويع المستز المعروف باسم دجلة نور (١٥,٠٠٠ طن) . وتوسط مدينة توغرت المنطقة الجنوبية ، وهي العاصمة المحلية لهذا المحوض . وتكثر المدينة بنواحي نشاط متعددة ، فهي سوق يومية ، ومصنع كبير للحمور ، ومركز زراعي ، علاوة على أنها نهاية خط السكة الحديدية الذي يربطها بعنابة وسكيكدة عن طريق قسنطينة . وقد دودت توغرت مؤخرًا بمطار .

والشائع في مثل الواحات أن تأتي الوظيفة التجارية في مقابلة الوظائف . ومن السرايل المارة في قرية هذه الوظيفة تقدم طرق المواصلات الحديثة من سكك حديدية وطرق معبدة إلى مصارب أو دروب تربط الواحات بالأراضي الآهلة بالسكان والتي تمتد وراء المطلق الصحراوي ، وكذلك بالوازي الساحلية التي تقع على مياه البحر المتوسط . وينطبق ذلك على مدينة توغرت ، كما ينطبق على مدينة لوزر عاصمة بلاد المريس في الجنوب التونسي وأكبر منتج ومصدر للحمور التونسية . ومن أقوى أسباب نفوق لوزر كمسوق تجارية موقعها في نهاية خط السكة الحديدية التي يربطها بصفافس . أما بلدة تفسك الموجودة في نفس المنطقة فلم تمتد إليها هذه المواصلات ، وذلك فلك قرية ضحلة (١٢,٠٠٠) على الرغم من أنها تضم عدداً من السكان أكبر مما تضمه لوزر .

وتجلى هذه الوظيفة الحجرية في ثلوثي صورها في مدن مزاب ويوجد
خاص في مدينة غرداية العاصمة . وقد اكتسب المزابيون شهرة واسعة
من خلال عاداتهم وأسلوب معاشهم ، وهم يتركزون أنهم منفصلون
مسيرون عن مواسم ، وفي ذلك ما يبرهن الحديث عنهم بشيء من
التفصيل .

يقدر عدد سكان واحات مزاب الخمسين ألف نسمة . وهذا العدد
كبير بالنسبة إلى إمكانيات البيئة الطبيعية وموارد الأقليم . وتسبب
هذا الفهم بصعوبة من آبار يبلغ فيها من الماء ٣٠ وأحياناً ٤٠ أو ٥٠
متراً ، وأن عملية رفع المياه بواسطة الختر الحيواني . وإزاء ذلك
يظهر المزابيون إلى استيراد الكثير من المواد الغذائية بما في ذلك التمر
من خارج واحاتهم . والخبر بالذكر أن مزارعهم وبساتينهم لا تكون
مورداً غذائياً أو اقتصادياً لهم بقدر ما تشكل حقائق لثقافتهم . والظاهرة
الطريفة في الأقليم هي أن للمزابيين دارين لإعدادهم في المدينة والولاية في
ظلال بساتينهم : مسكن في الحظير وآخر في البادية . وتراه يقضي
وجميع أفراد أسرته العام صايفة بينهم . ويغرس المزابي شجرة في
بادية يظهر القبط (من عابدين حتى أواسط ديسمبر) ينشد فيه الراحة
والهرب من المدينة . وإذا رغب المزابيون في امتلاك الخيل قصد التجارة
والتربح لجأوا إلى واحات أخرى غير واحاتهم ويوجد خاص إلى دولة
التربية من ديارهم .

وقد تبين في عصر هذا التناقض الجغرافي بين فقر البيئة وفقر السكان
عدد من الأسباب التاريخية والدينية والدوافع الاجتماعية . فالمزابيون طائفة
من الخوارج الإباضية ، هاجرت من المشرق إلى المغرب . فلما بلغوا
أراضي مزاب اتخذوها مسقراً ومقاعاً لهم عن الترحيل من جديها النسبي ،
حي يثقوا بسلامتهم ما قد حصل أن يترك بهم من ضروب الاستغلال إن

هم حلق في الجهات الشمالية الغربية . وقد كان المزابيين فضل كبير على
تعمير هذا الاقليم وزراعة البساتين . غير أن صعوبة العيش دفعت الناس
إلى البحث عن موارد أخرى خارج حدود أراضيهم . فبدأ يطلع الصبي
أشده هاجر إلى مناطق أذل في الشمال وهي أولاد ماء وأكثر خصباً وأشد
غنى : فيها يزاول أعمال التجارة . ويأخذ والمكافأة قد يوثقه الخط
فيصبح من الأترياق . هذا ويقدر عدد الدفوز الذين يعيشون في
المهجر ، على عدد السكان . ويذكر المزابيون نهاية القالة في المدن
المزانية وهم في ذلك شديدو الشبه بأهل جربة في تونس وبالسوميين
في المغرب . وسيطر كبار تجارهم على معظم الحلات التجارية المرتبطة
بالقالة . ولعل ممارسة خالبيتهم نفس المهنة عما يفوق روح التكافل الذي
يظهر بين الأشخاص المنسبين إلى نفس المهنة وهو مما يفسر نجاحهم التجاري .
والمزابيون يقومون على علاقاتهم وصلاتهم مع الأهل والقبيلة ولا يتخلون
شئها وذلك على الرغم من قسوة أقياب الطويلة التي تفرضها عليهم
منيرة التجارة التي يمارسونها . وتقدر ما يستأجرون معهم زوجاتهم
إلى حيث يعملون وبذلك تظل هجراتهم بهذا طالت موقنة . فيعودون إلى
بلادهم من آن إلى آن ، حتى إذا تقدم بهم العمر كانت لهم مزاب
هي تبايا الحلات .

والحياة في مدن مزاب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذه الهجرة وبالنشاط
التجاري الذي يمارسه المزابيون مما يتيح لهم طرقة المصروف على الأسرار
الضرورية العناية بالتواجات وحداثتها ونحوها ومماثلها : تلك العناية التي
تطلب تقفات باهظة . وإذا كانت الهجرة عارلاً من عوامل التثقل
والضيق فهناك عوامل أخرى قوية مضادة تقوم على الانجذاب ، وضوي
العلاقة الشابة بين الفرد وجماعته : وذلك من طرف الضغط الذي
تفرضه الجماعة على كافة أعضائها : ثم عن طريق المذهب الديني والفكرة

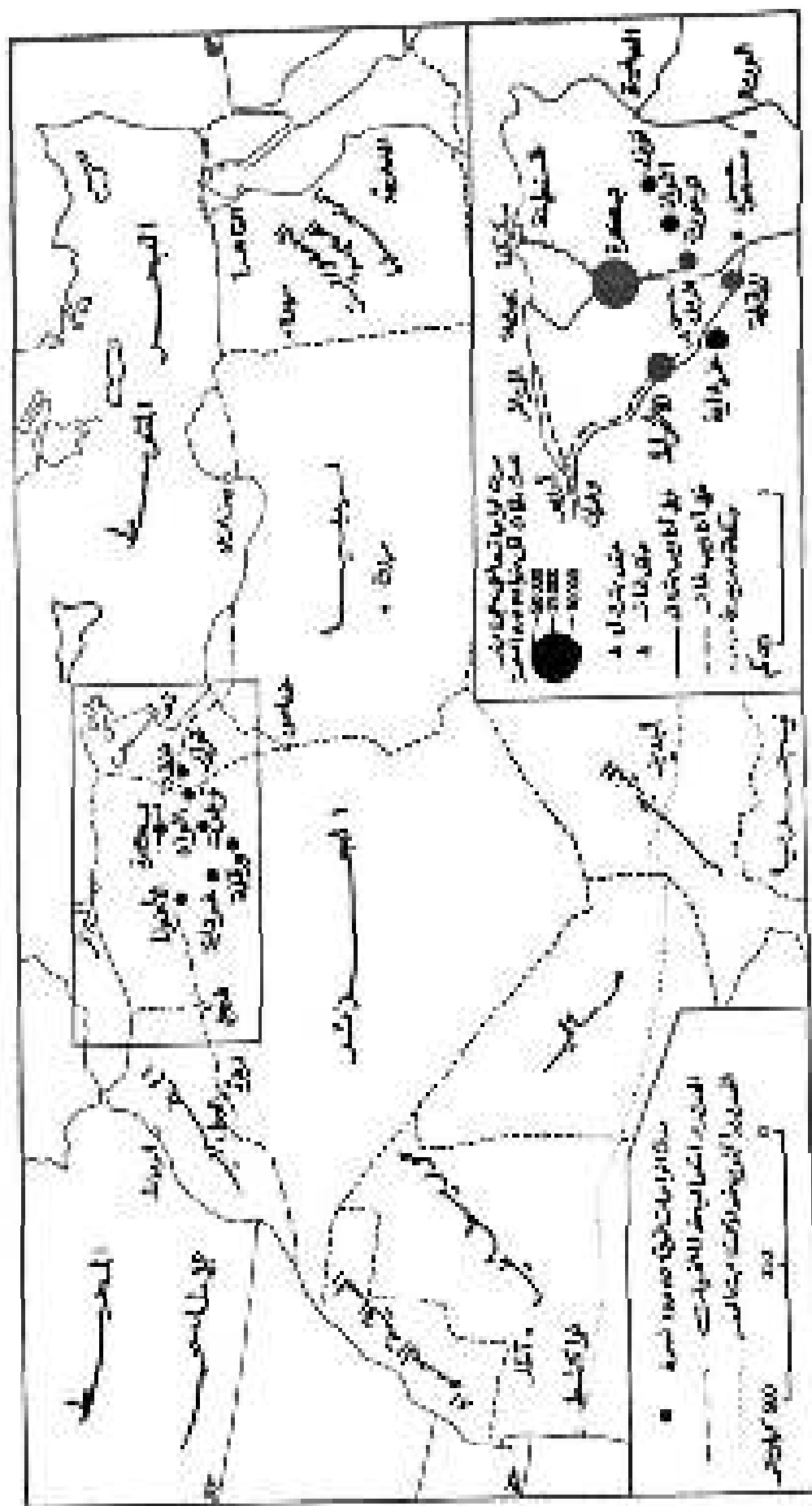
عليه ، عن طريق العلاقات الاجتماعية الراسخة لافي مزاب بحسب ولكن
حيثما كانوا : فلا يقطع المهاجرون حاجاتهم بالأمل اللين يخلقونهم وهم
في الراحة : والتجرباً عن طريق التزاهي الزواج داخل القبيلة .

وتل أن ما يميز الزايبين عن سواهم هو أنهم استطاعوا الجمع بين
صفات تلو متالفة قد صبت في بوتقة واحدة . فقد حققوا في بيئة
صحراوية محددة حياة بحرية ممتدة ، تصرف عليها وتدير عنها بساحة
سكن تركها أولاً بأحداب النيل ، وراق في نفس الوقت في حياة
حضرية متروكة .

ولكن مزاب مواضع معينة . فهي تقوم على بروز صخري لحافة
هضبة أو على نقر، متزل عما حوله . وتكثر الدوائر بجوده بها وبمعدود
طوائفها . مع بساطة كبيرة تمارها بأذان شديدة ، وطائفاً نقيضة وجديدة
تحتل بها أرولة جنية مسقوفة . وصورة القبول أن هذه المظاهر الخارجية
تدل على طابعها الحضري القوي .

وتحتل عرواية العاصمة مركز الصدارة من حيث حجمها (٢٠٠٠٠٠
نسمة) ، ومن حيث أهمية المراكز الإدارية والتجارية والسكنية التي
تؤويها . والكثافة السكانية داخل المدينة - كما يستدل عليها من الأرقام -
كبيرة ، إذ تتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ نسمة للهكتار الواحد ، وهذه
الكثافة العالية تعد من ملامح المدن الصحراوية القديمة التي يكتظ فيها
السكان الاحتياطاً لديها على رقعة صغيرة من الأرض .

ومما هو جدير بالذكر أن لأصحاب التجارة من الزايبين صفات
تتمثل بعض وعادات تجمعهم التجاري : من أبرزها القدرة على التكيف
مع مختلف الظروف . ففي عصر ازدهار تجارة القوافل نجحوا في تحويل
تجارها الرئيسية إلى قوافلهم . فلما انحطت وكانت تضلح ونوا وجوهم
شطر وسائل النقل الحديثة استجابة للتغير الذي شهدته الصحراء ، وعملوا



على احتكاك حركة النقل وتنظيم خدماتها عبر قسم كبير من الصحراء .
بذلك أصبحت غرداية المركز التجاري الرئيسي للصحراء الشمالية الغربية ،
بما كان له آثار مهمة في تقدم السكان بها .

. . .

من ذلك نرى أنه لتحقيق خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها تقدم
حضري لبعض المراكز الكبيرة التي نمت وزدهرت بفضل تعزيز وظائف
قديمة كانت تمارسها أو ظهور وظائف جديدة أُنشئت بها . ونلاحظ ذلك
من الناحية في وقتها وتخصص في أحيائها . قبل جانب القصور القديمة
وتوابعها الجديدة التي تلوح في أفقها ظهرت أحياء الإدارة بمبانيها
الكبيرة ، وأخرى التجارة بمرآئها وشوارعها الواسعة بالعناصر
والراعيين ، وذلك للسكن الأوروبي ، فيلاتها ، الأحياء . ونلاحظ هذه
الأحياء الأخيرة بطرقاتها العريضة المستقيمة ، وبساحاتها المسعدة . ونلاحظ
من أهل تلك المدن تسمية بالقبائل إلى المدن القبلية لاسمها . ويسوقنا
هذا إلى تمييز الحقيقة الآتية وهي أن تخطيط المدن الصحراوية في تلك
الآونة لم يراع فيه الاختلاف بين الأحياء من ناحية الوظيفة فحسب ولكن
أيضاً من حيث الناحية الاجتماعية والعنصرية . وتسمية الأحياء على هذه
الصورة ظاهرة عامة في مدن الشرق الأفريقي والشرقي الأوسط والأقصى
وبعض مدن الأمريكتين . بل أن هذه التسمية أكثر وضوحاً في المدن
الصحراوية التي عرفت الاستعمار .

نتخلص من ذلك إلى أن المدن الواسعة الكبيرة التي أشرنا إليها ازداد
حجمها وتمتد على مساحة شاسعة جداً خلال هذه الفترة . ومن هذا المنطلق
نفسى أسباب هذه الزيادة الديموغرافية بعدها ترجع إلى عوامل ثلاثة :
أولها الكثافة الطبيعية للسكان والذي يقصد به زيادة عدد المواليد على عدد

الرحلات ، وانبعاث مهاجرة اليهوديين من أعالي الواحات وترويضهم من
اليابدي إلى المراكز الحضرية . أما العامل الثالث فهو استقرار البدو الذي
استحصل أمره طوال هذه الفترة على إثر القيود التي لوخست عليهم في
تنقلاتهم الرحوية ، وكذلك انقطاع احتكاكهم لتجارة القوافل وحراسنها
بعد الغزو لها .

ومن كادح استقرار البدو التي تستحق الذكر استقرار جماعات
الخدمة . تقع مراحل الخدمة بالقرب من واحات ورقلة إلى الشمال
الغربي والحروب والغروب الغربي منها . ويبلغ عدد أفرادها قرابة
٥٠٠ شخص . ونظام الحياة لديهم كان يستند حتى عهد قريب إلى
البدارة والانتقال من مكان إلى آخر ، وكانت جماعاتهم تتصل في
تجولاتها إلى مسافات تتجاوز أحياناً ٤٠٠ كيلومتر من ورقلة مكن تجمعهم
الرئيسي . وقد اضطروا تحت ضغط الظروف السياسية والاقتصادية التي
أشرفا عليها آنفاً إلى التخلي عن اعتناهم بحيوان ، وإلى الحد من
حركاتهم ، بما طالت فترات إقامتهم فتاة في خيامهم تحت أسوار
البنية . ولقد بدأ كانت لهم بعض الدور في البنية يستخدمونها صوامع
للغلال ومستودعات . فلما طالت فترات مكثهم بالقرب من الواحة
ازدادت حاجياتهم لبرية شديدة جداً من المستودعات بالقرب من
مضارب خيامهم ، ثم لم يلبثوا أن بنوا منازل من حول هذه المستودعات
وبذلك انتقلوا من سكنى الخيام إلى سكنى الدور البنية . وتقوم هذه
الدور حالياً بصره بين الشجر المنخل إلى الحروب الغربي من ناحية
ورقلة . وقد كان لدى الآبار الأثرولية هذا حشرين عاماً تقريباً أثر
لا يشهد به في استقرار الخدمة . على أن هذا التحول عن حياة
البدارة ازدادت مرحه أثناء من عام ١٩٤٦ نتيجة لاكتشاف البترول
والغاز الطبيعي وما صاحبهما من طلب متزايد على اليابدي العامة .

إن المقام لا يتسع لأن نصيب الكلام عن المخادعة وحسبنا أن نختم الحديث عنهم بالإشارة إلى نسبة من احتفظ منهم بحياة البدوة . إنها لا تتجاوز ٥ بالمئة من المجموع . فضلاً عن أن التقلبات الزمنية لم تعد تقلبات جماعية كبيرة في أوقات منتظمة ، بل تفككت وانقسمت إلى وحدات صغيرة ، تقلباتها غير منتظمة ولمسافات قصيرة . وهكذا تحولت الطائفة العظمى من المخادعة (٩٥ بالمئة) إلى مختلف أنواع النشاط الفلاحي والتجاري والعسكري . حتى أن نشاطا الدخاني في الجزائر البربرية أصبح بستاناً بكبرهم .

ولما لا ريب فيه أن تروح نفائس من الوادي ومن إبادية إلى المدينة تربت عليه آثار اجتماعية كما خطوها . فالقصر القديم يؤلف وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية كما يؤلف وحدة قرابية . ولا تكاد نجد مثل هذه العلاقات والأواصر القرابية تتعدى حدود قصر إلى قصر آخر إلا فيما ندر . أما المدينة الواحية الكبيرة فقد أصبحت تحمي أساساً من مختلف القصور ومن الوادي وإبادية ، تدفوا إليها من ساكنات جزائرية وعربية مختلفة مما أصعب الصلات القرابية نوعاً . فبما ظل القصر القديم عتقاً بصلته اقية والرحم ترى المجتمع الحضري في إطاره الجديد أخذ يصوغ صياغة جديدة لأسس العلاقات التي تربط بين أعضائه .

.....

لقد آن الوقت لنقرر أن قوة جاذبية المدن الكبيرة التي استحوذت أو كانت الوطائف الحضرية والنمو الديموغرافي صقلت نمو المراكز الصغيرة . فالنشاط التجاري أنماذ من وجود الوظيفة الإدارية والسياسية في المدن الكبيرة التي يقدم فيها الأشخاص من مختلف القواصي التابعة لها لتسوية مشكلاتهم الإدارية والقضائية . وهم إذ يتفرون بذلك يتفرون فرصة وجودهم في المدينة لشراء بعض حاجياتهم من أسرارها ومناجرها . وما

ساعده على ذلك وسائل المواصلات الحديثة التي تسحت نقل البضائع والسلع بسرعة من وإلى المدينة الكبرى ، وتركزت تجارة الجملة فيها . وكل ذلك أضعف من اتصال القرى النائية بالصحراء وبالعلم الخارجي إلا إذا كان هذا الاتصال عن طريق المدينة الرئيسية .

وفي هذا المجال ينبغي الإشارة إلى هذه المراكز التي كان يمكن أن ترفق إلى قرية المدينة ولكنها فشلت في ذلك . ولضرب مثالاً مدينة فسيح في المغرب . تقع واحات فسيح في أقصى الجنوب الشرقي من البلاد ملاصقة للحدود مع الجزائر حتى أصبح عليها القول بأنها نهاية العلم . ولما لا شك فيه أن مثل هذا الموقع المتطرف لا يساعد كثيراً على الأمر الخارجي . إلا أنه من المثل ألا تعامل أن فسيح مزرعة غير مركز إداري كبير ، كما أن بالواحة بوجوازية صغيرة تدار من التجارة وبعض الصناعات التقليدية وأمور التعليم . وكل ذلك كان يمكن أن يصلح كدعائم قسوة الحظري .

وأهم شيء يستدعي انتباه الباحث هو الهجرة سكان فسيح بأعداد متزايدة . وقد كانت هذه الهجرة في الماضي مؤقتة ، وكان المهاجرون يعودون إلى موطنهم في فصل الخريف للقيام بالأعمال الزراعية . وبدا الحرب العالمية الثانية أصبحت الهجرة شبه دائمة . ولم تعد تقتصر على القصور كما هي الحال في المغرب ، فضلاً عن معظم المهاجرين يحولون إلى عمال سواء أكان ذلك في مراكز التعدين القريبة من فسيح في المغرب الشرقي أم في أوروبا وعلى وجه الخصوص في فرنسا . وبسبب هجرة العناصر العامة نشطة أدرك التدور حقوق الواحة ، كما أن بعض المهن والحرف ، اتخذت بعد أن رحل الكثير من أسماها سبباً وراء الازدياد في مكان آخر . ويبلغ عدد سكان فسيح ١٢.٠٠٠ نسمة وهذا العدد في تناقص . وتكاد تكون فسيح قرية أكثر منها مدينة ، وقصبتها في الواقع

هي قصة مركز حضري قد نصب عين تقدمه .

وهناك على عكس ذلك توجهات قروية تحدث نشيخ فيها النظام الحضري ، وقد لا يعني عاينوا ذلك المثل حتى ترتفع إلى مراتب اللذات . ومن أمثلة ذلك قصر الحرف في إقليم نابلت بجنوب المغرب ، ضمن الرغم من الوفرة السكانية في وادئ نابلت فإن الحياة الحضرية فيها تكاد تنحصر على أحياء (٥٠٠٠ نسمة) وهي مدينة حديثة خلقت عكفاً حوالي سنة ١٩٢٥ لتكون المركز الإداري الرئيسي للإقليم . ومن المقصود ما يتجاوز عدد سكانه ١٠,٠٠٠ نسمة ، وقوة الحرف يبلغ عدد سكانها قرابة ١٥,٠٠٠ نسمة . وهي ليست قصراً واحداً ، ولكنها عبارة عن ثلاثين أو أربعين قصراً التحمت بعضها فبلت قرية كبيرة فضحة . ومن أهم ملامح التطور المحلي اقتراب علم الداية من علم الحضر فيها وتعدد أنواع النشاط التجاري ومختلف الخدمات المرتبطة بالنشاط الثالث ، وذلك لسد حاجيات السكان المتزايدة ولا سيما بعد انقراض السليم بين أحيائها .

٥ - الوظائف الجديدة

البرول والملاز :

حينما ما تقدم من شرح لتدور الذي له الاستعمار الأوروبي والعربي في الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية ، وننقل الآن إلى الحديث عن التغيرات الاقتصادية التي طرأت على الحياة الحضرية كنتيجة لاستيلاء البرول . إن الاستيلاء الجديد على البرول والملاز الطبيعي بسبب لصحراء تدخل في مجال اقتصادي من نوع جديد . وقد تأثرت مدن الواحات تأثراً إيجابياً حسب هذا النشاط ، وذلك عندما تقع المدينة على مقربة من الماشي المنتصب عن البرول أو من أسواق تصديره . بل

إن مجرد وجود المدينة على خطوط الطرق التي تسلكها القليل البترول
أو الغاز إلى موانئ التصدير كان من دوافع النمو الحضري .

إن امتداد استهلاك البترول إلى الصحراء أدى إلى تدفق شديد لأفواج
المهاجرين إلى المراكز البترولية طمعا في تحقيق مستوى أرفع من الناحية
الاقتصادية . وشارك في هذه الهجرة - كان الرحالة والبدو من حد
سواء . وأخطرت مشكلة اقترنت هذه الهجرة كانت التخللات المتوازية في
سوق الأيدي العاملة في مجال الاقتصاد الحديث وعلى حساب أنواع
النشاط التقليدية من الزراعة في الواحات أو حياة رعوية بدوية والتي يعيش
أصحابها عادة في ظروف اقتصادية واجتماعية سيئة . وهكذا فتح اكتشاف
البترول أمام سكان الصحراء أبوابا واسعة لحياة أوفر رعدا وأكثر رخاءا .
وقد جعل النشاط الجديد أهمية كبيرة للاقتصاد القروي . وبدلته أن
البحر الزخمة والنشاط أدت إلى زيادة الطلب على المواد الأساسية
وبالتالي إلى زيادة المبادلات التجارية ، وعاد ذلك على المدن الواحية
الكبيرة ولا سيما الأغواط وتوغرت ورقلة بانحصر العيون .

فمدينة الأغواط أصبحت مركزا لالليم حسي الرمل التي بالغاز
الطبيعي . وجمع مناطق استخراج على مسافة مائة كيلومتر جنوب شرق
المدينة . أما توغرت فقد أنشئت إلى وظائفها المتعددة وظيفتها بدوالية
وذلك منذ إنشاء محطة ضخ خط أنابيب البترول الذي يصل حقول بترول
حسي مسعود بميناء أوزيو على البحر المتوسط . وامتدت رقعة المدينة
بعد أن قامت لجوء جديدة خروبي المدينة منتزعة من الطريق التي يسلكها
محطة ضخ البترول .

وتعبر ورقلة مثلا لمدينة التي ازدهرت بسبب تقدم الصناعة البترولية .
غير أن تقدم المدينة لا يمتد إلى البترول وحده . فقد ارتبطت أيضا
المدينة باديها في بدء بالزراعة في زراعة القمح والبنين وبازدياد أهميتها

كسوف كبيرة لمكان القوي واليدوي الرحل نتيجة لتعزيز وظيفتها الإدارية . ثم تلا ذلك مرحلة لتغيب عن البترول وحاصلات استخراجها . وفيها خُطت المدينة في عتدها خطوط واسعة . ذلك أنها لا تبعد بأكثر من ٧٠ كيلومتراً من آثار حبي مسعود مما جعلها ملاذاً ومدينة زلزالية يأتى إلى مروجها القصر وثلثه القليل من آن إلى أن المشتغون باستخراج البترول . والمدينة موقع عمال يتوسط طرق المواصلات مما عزز وظائفها الإدارية وأصبحت أهمية كبرى . فلا غرو أن أصبحت السلطات عام ١٩٥٩ عاصمة لمملكة الواحات بدلاً من الأغواط التي تشغل مركزاً متصرفاً في خريطة المواصلات .

هنا ويقع القصر القديم على تلى يتوسط الواحة . طرقاته ضيقة ملتوية ومغطاة جزئياً . على أن القصر لم يعد يتولى على استيعاب كل سكانها نظراً لزيادة المظفرة في أعدادهم ، ومن ثم بدأت تظهر المساكن خارج الأسوار . وفي نفس الوقت امتدت الأحياء البصرية إلى الجنوب الغربي بعيداً عن النخيل حتى لا تغطي مبانيها على الأرض الزراعية ، مكونة مدينة حديثة متطورة ، تتجمع فيها مختلف الباني الإدارية والمخاضق ودور السرا والمخيمات التجارية من كل نوع . وقد أدى ذلك إلى غياب الموي ومخاطبات الخوذية لسارات النقل إلى أن أصبحت ورقلة مركزاً رئيساً للمواصلات صوب الجنوب والجنوب الشرقي ونحو منطقة القنار والسران . وأخيراً إن سوس بزرع عبيد بالقرب من الحدود الميية .

بدى أن هذه المدن الثلاث - الأغواط وتوغرت ورقلة - لم تكن لخدمهم وبشكل فيها العمول على هذا النحو لو أن تساهلوا بحسد فقط على موارد وحتموا بها بعض هذه الموارد من مبدلات تجارية محدودة . على أنه لا بد من أن نقرر أيضاً أن زرع هذه المدن اقترن بظهور

بملازمة ولاسيما الاقتصادية . لاكتشاف البترول واستغلاله أدت إلى حالة
من حالات الاضطراب وظلّان التوازن نجحت عن الانقراض من نمط
اقتصادي تقليدي إلى اقتصاد يقوم على أسس حديثة حضرية .

ومع ذلك لا يمكن أن نتجاهل انظر في حالة تجدد (في البحر) . عند
سوق كين البحرية إلى أنها مدينة اندمجت بالاضمحلال نتيجة تنحدر تجارة
التواصل . على أن هناك برين أمل في إحياء المدينة بعد اكتشافات ساحل
واسعة من الصخور التي تتضمن مركبات الأورانيوم في منطقة آرنيب
التي لا يبعد عنها بأكثر من مائتي كيلومتر . والمفروض أن تقوم مدينة
معدنية تضم مئتين من الأوروبيين وبضع آلاف من الأفريقيين .
ونظراً إلى أن المحتوى المعدني لخلاصات الأورانيوم ضعيف فيصبح كميته
مهما كُثر ضرورة يحددها تقني تلك الكميات الضئيلة . مافات . ولا
أن يكون لوجود هذه المركب الاقتصادي أثر طيب على مستقبل مدينة
آرنيب .

السياسة :

من بين المواقف الرئيسية التي ظهرت في المدن - وكنت أيضاً
ملاحظة لبعضها - المظنة السياسية ، وهي مظهر حديث من مظاهر
مدننا المعاصرة سجل تقدماً كبيراً في السنوات الأخيرة ، علاوة على أن
السياسة تشكل قطاعاً اقتصادياً غير هين بالنسبة لكثير من الدول . وقد
تأثرت الحركة السياسية ، لها تأثرت من أنظار : الصحراء ، وليس
خريباً أن يدف فيها هذا النشاط . فالصحراء تأسس مرافقها بأفاقها الواسعة
العريضة ، وبفضل ما طام من روعة وروية ، ومن جمال وجلال ،
والمظنة السياسية ليست بالضرورة وظيفة حضرية . ولكن في الصحاري
يصعب تصور قيامها بخارج الماحات . ومن ثم كانت المدن الواحية حياة

لأن مشروع سياحة سياحة لا سيما وأنما تمتاز بوجود بعض المرافق الحضرية
الضرورية كشبكة المياه التي تؤمن حاجة سكان المدينة من مياه الشرب
وشبكة المجري التي تجمع مياه المدينة وتسحبها إلى منطقة بعيدة عن
المدينة وتحملها بطريقة صحية : وشبكة انابيب الكهرباء للتلقيح... وكل
ذلك جعل منة السائح في هذه المدن أقرب مثلاً وليس سبيلاً
من في جهة أخرى.

وقد أخذت بعض الحكومات التي لها نصيب في الصحراء في بلد
تتبر من بعدد واحد بنفوس سياحة : في المغرب مثلاً وضع تصميم
لثلاثي السنوات ١٩٦٥ و ١٩٦٦ و ١٩٦٧ سياحة بين أهداف الأربعة
الرئيسية : كذلك توجد الجزائر وتونس وليبيا مجال كبيرة من ميزاتها
لهذه المدن والمناطق السياحية المختلفة . ولكن قد منسجمة أن المصالح
الصحراوية في هذه المناطق لا تستثمر بكل هذه المبالغ إلا أن نسباً منها
لا يستهان به . على أن السؤال الذي يطرحه إلى الذهن في هذا الشأن
هو إلى أي حد يعتبر التوسع السياحي في الصحراء عملية مريحة للدولة
من الناحية الاقتصادية : فإما إذا هذا التوسع يقابله عدة صعوبات وعقبات
تجعل الأرباح الأخرى الضخمة منها . لكن من ذلك على أن النهضة
السياحية في الصحراء تعتمد على الاعازات التي تمنحها الدولة بسخاء
لتيسير أبواب الاستثمارات الحرة ومنها الطرق وممراتها وبنائها
وتزويد أعمالها دعائية أولية لا تعدى من القيام به توفير الجسر
الكهربائي إلى المنشآت السياحية وتزويدها بالمياه وذلك في جهات كثيرة
ما تكون عديمة من هذه المدعيات الأولية . ومن جهة أخرى فإن التمويل
السياسي في الصحراء يتميز بقصره ويكاد يقتصر في فترات البطولات
الشعوية والريادية . فإهداء من طابو حتى أولئك سيمر توضع درجة
الحرة وعند حثرتة الفيد . ولا يراجع الناس إلى تزيين الصحراء
آنذاك . ويرتب على ذلك أن ينطلق عامل استخدام المرافق الاسكانية

الغداق لي ان يقل عنه الأيام التي تصبح فيها الغداق عبارة
بالسياح .

ومع ذلك لا بد من التلميح بأن الجانب الإيجابي عند النشاط لا يمكن
تجاهله . وأية ذلك أن هناك الغداق في بحر مستمر في كل جهة بينا استركنا
السياحة تسجل نقداً مطرداً حيث لم تعد لشهر الصيف بخالية من ألواج
السياح .

وهناك خاصية من خواص الواحات متصلة بالسياحة تشير إليها إشارة
وحيدة وهي أن ذلك النشاط لا يقوم مستغلاً بداته وإنشائه ، ولكنه مرتبط
بمراكز السياحة الكبيرة التي تجمع على حدود الصحراء . ولعل
هذه المراكز دوراً مهماً كحلقة وصل بين العلم الخارجي وعلم الواحات .
ففي جنوب قطر الغربي مثلاً توجد هناك تجمع بشهرة سياحية عالمية
وتتوافر على ذاتها متنوع المرافق والخدمات ، ومن أبرزها مراكز
والحمير ، وادجر قطر الارتكاز لخدمة منها تبدأ الرحلة - وما أجهزها
إن احتمال الجو رقيق الهواء - إلى الرزازات وراجرة والرغوة
ولجئها من المدن الصحراوية التي أصبحت مقصد السياح وموطن الزوار
يشكو عليها من نقصي المجهزة .

وأخيراً يمكننا أن نصل من نتيجة الدراسة لسياحة كدامل من عوامل
النسبة الاقتصادية والنهوض بالواحات ومنها . إذا استثنينا المدن الواحية
التي عنها الاقتصاد البرولي أو التي أحبتها الوظائف الإدارية والتجارية
بما سبقت الإشارة إليه هذه العداية العظمى من مراكز تجمع السكان
لا تساهل اعتبارها عدداً ضئيلاً على الرغم من أن عدد سكانها قد يصل
إلى أكثر من عدة آلاف نسمة . وإذا ألقينا النظر في بعض هذه
المجمعات ذات المسحة الحضارية أدركنا أن هذه المسحة تولدت من أن
هذه المراكز في الواقع قد أصبحت لتعبر الممر الحلي في جسم العلاقة

التي دبت فيه التحول . ومن ثم كانت الأعمال المزدهرة بالتوسع السياحي من شن الطرق وبناء الفنادق مما يساعد - ولو بصفة مؤقتة - على امتصاص البطالين ، فضلاً عن أن السياحة يمكن أن تؤدي إلى استعادة الصناعات التقليدية المهددة بالانقراض - إذا لم يكن يمكن - تعطيلها بالهدم . ويتطلب ذلك ترداد موارد السكان . كذلك قد تكون السياحة حافزاً على أن يجد المنتجون الزراعية المحلية موطناً رائجة لا يرتكز فقط على التوسع الخارجي ونحو الماء في الواحات نفسها ولكن أيضاً على الأسواق البعيدة بفضل الجسم الذي طرأ على وسائل النقل .

لا مرأه إذن في أن السياحة تكون بارقة أمل لأزدهار الحياة في الصحراء . وبصرف النظر عما إذا كان التوسع السياحي فيها بشكل مصلح اقتصادية سرية تلك أمدت من ثمرات احراج الصحراء من عزائها وإشاعة الجسر فيها .

• • •

بسكرة :

لا كانت بسكرة أكبر مدن الواحات في الصحراء وأعظمها ذاتاً ، إنما أن ظروفاً فقرة خاصة في هذا البحث ، ذلك أن المدينة تكاد تكون كافة الوظائف التي نجدها مفردة في المدن الواحية الأخرى حتى أصبحت بسكرة ميزاناً توزن عليه الوظائف .

تحت المدينة موقفاً ممتازاً عند نهاية منخفض . يفتح بين جبال أدراس من ناحية وأحاس الصحراء من ناحية أخرى . وقد كان هذا المنخفض على غير العصور منطقة ارتباط مهمة جداً بين الأقاليم الصحراوية في الجنوب من جهة وبلاد البحر الأبيض مثلاً من جهة أخرى . ولعل

لم تكن حيدة أن نجد الوظيفة الحربية في أصول المدينة . فذلك كانت
حلقة من حلقات سطر الدفاع الكامي للامبراطورية الرومانية . وبعد أن
توارت هذه الوظيفة ودعا من الزمن عادت إلى الظهور أيام الغزوات
والاحتلال الفرنسي حين أصبحت مدينة توابل فيها حامية عسكرية
كبيرة .

أما وظائفها التجارية والاقتصادية فتستند إلى الموقع والموضع . فسكرة
هي السوق الكبيرة والمركز الأول في بلاد زيان ، وهو إقليم خشي
بواحاته ، يقع في حوض جبال الأطلس حيث يزداد منخفض عظيم
تنظم فيه مجموعات من التجمعات الكبيرة الآتية بالسكان ، الخربة بالبحر
وأشجار النخلة . وقد جذب موقع المدينة طرق المواصلات الرئيسية
فأصبحت سهلة الاتصال بالعاصمة الجزائر بواسطة كل من الطريق البري
وخط السكة الحديدية . كما أنها أصبحت تطلب جميع الطرق والممرات
الصحراوية التي تخرج منها لجميع الاتجاهات قديماً . وأخيراً فأن
المدينة اقم على خط السكة الحديدية الذي يربط بوغرت في الجنوب
بمسيلة في الشمال . هذا وتحتضن فسكرة بمركز التجارة في بلاد زيان .
وقد قامت بها مدينة جديدة تمتد جانبها إلى الشمال من الواحة وغربها ،
ويتركز فيها نشاط الإداري والتجاري .

وفي أواخر القرن التاسع عشر نشهد المدينة ظهور وظيفة جديدة تنضم
إلى وظائفها الأخرى ، ألا وهي الوظيفة السياحية . ولا يخفى وقت طويل
على ذلك حتى فزدهم هذه الوظيفة وتبين من أجلها فنادق فخمة يؤمها
الزوار من السياح ويوجه خاضع البريطانيون بحثاً عن الشمس وعن
الشفاء . وقد تضاعفت هذه عوامل كتي كحل فسكرة مكانة مرموقة في
عالم السياحة من أهمها سهولة المواصلات إليها ، وموقعها عند مدخل
الصحراء وبالتحديد من بديل أوراس ذات المناظر الخلابة ، ثم وفاء

مياهها وانخفاض حرارتها شتاء . ينبغي أن نذكر أنه أثر على هذه الوظيفة
 من قبل البحر حيث يجد جدارها . على أن المهمة الرئيسية لجلب
 الرغبة في الكشف عن آفاق جديدة غير مألوفة جعل الصحراء تجلب
 إليها الرياح من جديد . وأخيراً فإن المدينة تسهم بحصيب في النشاط
 البروني ولو أن ذلك بطريقة غير مباشرة . فبمسكنة تقع على بحر رنسي
 يربط إقليم البحر المتوسط بالصحراء الحديثة . وذلك الطريق البري
 وخط السكة الحديدية . ثم إن المدينة محطة رئيسية لخط الأنابيب الذي
 نقل البترول منذ عام ١٩٥٨ من حوض حبي مسعود إلى بحيرة .

٦ - خاتمة

تختلف بنا الدراسة الجغرافية لبلدان الواسية الكبيرة عن تلك جوهري
 طراً على حياة الحضارية في الدول الكبيرة . ويصل في هذه وظائفها
 والزيادة على مكانها واتساع رقعتها . فحتى عهد قريب كانت معظم
 المجتمعات في الواحات أقرب إلى القرى منها إلى المدن . ويرجع ذلك
 إلى أن أهم ما يميز هذه الواحات عن غيرها هو تداعيل الوظائف
 الحضرية والثروة فيها تدعولاً كبيراً . وضلت المدينة التقليدية الكبيرة
 خلال عصور مدينة مركزاً إقليمياً لسكان الواحات من المستقرين ولطفاً
 للبادية عبر الرحل .

وقد صاحبت الفترة الاستعمارية ظهوران قد تبلوان لأول مرة
 متقاربين ولو أنهم في الواقع متباينان . فخلال أولهما انزح من
 هذه المراكز أملاك الأخصخائل من أثر النظام تجارة القوافل والحرم
 الرقيق . وينتشر لبادلات التجارية تدعورت بعض الحرف والصناعات

التقليدية نظراً لضعف القوة الشرائية لدى سواد الجماهير في الواحات
على أن بعض المراكز ولاسيما الكبيرة أصبحت إلى وطاعتها لقروية وطاعت
جديدة حربية وإدارية وتجارية مما أدى إلى نموها وإزدهارها .

ولكن اللغة المصرية الكبرى شهدت في عصورها الحديثة تطوراً باستكشاف البترول
والغاز واستغلالهما . استطاع ذلك بظهور اقتصاد حديث قام فيه القدر مقام
التفاضل لزيادة الثروات وحسرت الأمور . ذلك أن تدفق البترول في
الصحراء ساعد على خلق مجالات للعمل في حقول البترول من جهة وفي
بناء المدينة الحديثة في هذا النشاط من جهة أخرى . وكان لا بد
للمدينة من أن تتحارب تجلواً فنياً مع الاقتصاد الجديد وحاجات السكان
ومطالبهم ووقتهم حتى السلع الاستهلاكية . فازداد عدد التجار وأصحاب
الحرف المختلفة ، كما نشأت مؤسسات الخدمات من بنوك ومكاتب بريد
وشركات نقل ... وكان لكل أبعد الأثر في أفراد نحو المدن بسرعة
غير مألوفة خلال حقبة قصيرة من الزمن . ونحن إذ نشير إلى هذا النشاط
الذي يستلزم الطلب المتزايد للأيدي العاملة ينشأ أولاً أن هناك
الحاجة الكبيرة إلى الأيدي العاملة من طبقة صغيات الإنتاج البترولي في
مراحله الأولى . فإذا ما وصلت آبار البترول إلى أوج إنتاجها قلت
الحاجة إلى الأيدي العاملة غير المتخصصة . هذا ومن أوجه التعداد
الاقتصادي الحديث في مدن الواحات الميامية ، وهي تكون مصلواً جديدة
لثروة .

ومن أهم المشكلات المرتبطة بالطلب المتزايد على الأيدي العاملة في
المصانع الاقتصادية الحديث هو من غير شك حرمان العمالة الواحية من
عناصرها العامة التي كانت تسمى بـ "مهم" ، وهم إنتاج البترول والحطب
منه أو حبوب المدن . فكل الواحات أصبحت أصبحت يفتقرون بواحاتهم
وبالمثل لنقصي الذي لا يؤمن العيش - بصرف النظر عن القليل

لكرم - لم ولهم ، حتى أن الأجور التي يتقاضونها في مراكز العمل الجديدة - مبعث كتاب صلبه - طهي بالنحاس إلى ما يجنيه المزارعون كبيرة . وقد نجم عن نزوح الكاري قبائل من الواحات أن اكتسبت الرقعة المترعة وعلى الأنهر في الجهات التي لا يمتد إليها الري على مياه الآبار الارتوازية . بقي واحات فزان تقلصت المساحات المترعة إلى ثلث ما كانت عليه منذ خمسة عشر عاماً تقريباً . بل إن من الواحات ما أصبح قاحاً مملوفاً بعد أن صيرها أمطارها وتغمرها عن جوانبها وبساتينها كرواحات وادي الشاطئ التي أصبحت تصاب بها المياه وقتها دون اعتدال لها .

ولم يجد الواحات مشكلات اقتصادية واجتماعية على درجة كبيرة من التعقيد ليس هنا هذه المرة مجال الحديث عنها . ومن رأينا أنه من الخطأ محاولة الإبقاء بكل الوسائل على اقتصادات الواحات في صورتها الراهنة . صحيح أن الواحات قدمت مكانها خلال عصور طويلة بمجموعة تكاد تكون كاملة من المواد : وذلك عن طريق إنتاج يعتمد على الاكتفاء الذاتي . ومن الواضح أن هذا الشكل من الاقتصاد عن صبه الزمن ، شجع بتغير الحضاري الذي طرأ على هذه الجهات ، ونتيجة لتغير مفهوم الرروة ومفهوم العمل فيها مما كان عليه منذ سنين نلية خلت . ولعل أفضل وسيلة لعلاج أزمة الواحات هو قبول التطور الحائز والعمل على توجيه اقتصادياتها ومنتجاتها بما يتجاوب مع الحاجيات الجديدة والاقتصاد الحديث .

جمال عروصي

قائمة بعض المراجع الرئيسية

- ARRON, G. 1966. La situation géographique de Tjaneet en 1966, *Trav. de l'Institut de Rech. Sci. Alger*, n. XVII, p. 222-227.
- BATAILLON, G. 1935. *Le Soud*, Etude de géographie humaine, Alger, 140 p. (Ouvr. de A. 1935, de Rech. Scientifiques).
- BENNETT, M. 1955. *La géographie de l'Algérie*, Paris, 80 p. (Service Central des Statistiques).
- CHATELAIN, 1952. *Le Sahara français*, Paris, P.U.F., 564 p.
- 1960 COMMISSION OF AGRICULTURE, 1960. *Report on the State of Agriculture in the Ministry of Agriculture*.
- DESPOND, J. 1962. Problèmes techniques, économiques et sociaux des oasis sahariennes. *Rev. Tunisienne de Sciences Sociales* N° 2, p. 5-21.
- DESPOND, J. & RAYNAL, R. 1967. *L'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, Payot, 320 p.
- FERDINAND, H.-P. 1963. *L'Humanité et le Sahara*, Paris, Gallimard, 207 p.
- GAUTHIER, E.-F. 1928. *Le Sahara*, Paris, Payot, 227 p.
- GEORGE, F. 1960. *The Lands of Barbary*, London, John Murray, 325 p.
- HARRISON, R. 1967. Migrants in the City of Tripoli, *Libya, Geogr. Rev.* Vol. LVII, N° 1, p. 89-128.

KERFAN, L. 1980. L'expansion économique, industrielle et Tourisme d'Outre-Mer N° 84, p. 781-783.

MARTINELLI, P. 1988. La révélation du pétrole dans un pays isolé, annuaire d'économie, la Libya, Les Cahiers d'Outre-Mer, N° 68, p. 5-11.

MEYER-KRON, A. 1963. Notes de voyage, Rev. de Géogr. du Maroc, N° 1, p. 37-71.

TRUEN, J.F. 1961. Aspects géographiques de l'exploitation du pétrole au Maroc, Rev. de Géogr. du Maroc, N° XI, p. 55-66.

محسن الدين صابر ولويس كامل مليكة ١٩٩٦ . اهدى واليدارة ،
مفاهيم ومناهج . مركز تنمية المجتمع العربي : تونس اليان : ١٧٠ ص .

« أحد المناظر التي تبدو للعبور سحراً وفناً » (هيرش بارت) - وهي
 مفرج اللال المنصر والأخوار الخبيطة : التي تخرج بالجزير من الرتم والأقم ،
 والأفاحي والداني : يشرح البحر في ملو ، منحدرأ إلى البحر الأزرق
 اللون ، ذلك البحر الذي غر عيابه في الأيام الخالية مهاجرون قدسوا
 من جزيرة أبراً من البلورين ومن جزر السبكلاوس - إلى هذه البقعة
 السطحية التي كانت صعبة الإشراف على الأقليم المحيط والقبائل
 البرية التي تقطن هناك - رعيانة اليونانيين في المئدة المائة والنشام الطرف
 أحرزت ما هنا تنصارات عقيمة - لكن طريق تشيد التروقات وانقطعت
 والأوصفة : تزل كل تقنيات التي تكونت الشكل الطبيعي للأرض - إلى
 عديد من الطرق المصنعة التي تخرجت على شكل حايا العوابة من حاطي ،
 البحر حتى المرافعات ، وبشق حلوك الصخر الدكية حتى جواني الطرقات
 فحدث أبداع في تزيينها بالماء والرسم - وهذه هي المداخل إلى خروفي
 قلبي الحديد - أجل ! إنها مدينة لموتى لا نظير لها على وجه الأرض ،
 ولكن نبع دني وجد قبل أن يتبدد على في شهرة الجري : واستطعت
 هذه القنوت المسودة من أجل دي الخول والجمائن - وعلى منحدرات
 أجل كانت ترعى قطعان الغنم التي كان عولها عالمي القيمة : وفي
 مروج العشب الغابة تشرح الميوت البنية التي اعتادت الظفر بجوار السباق
 في ألعاب الأعباء التي كانت تجري في لوطان الأم (في بلاد اليونان) ،
 كما تنق هذا الموقع الرابع القوي : كلون يوثل (تاريخ المنطقة
 القديمة ، ص ٩٢٦ وما يلوها) : ص ١٠٠ ، لانجه (تاريخ
 المادية وفقد معناها في العصر الحاضر : ص ١٠٠ ، ليشتك سنة ١٨٩٨ ط ٢
 ص ٣١) : ج. زوكاشه (القوي : ص ١٠٠ وما يلوها : ميلانو
 سنة ١٩١٦) - وهم في هذا قد استنوا أن ما يتواءم الصخر بتدل في
 اليونانية الرابعة ، وهيرودوتس (الكتاب الرابع ١٥٧ - ١٥٨ :
 واسترايون (X VII, 36)

ويبدو ان مؤرخي الفلسفة هؤلاء الذين تبسطوا في شرح مبادئ مختلفة
 قورينا الطبيعية : إنما قصصوا من وراء ذلك ان يفسروا ماذا كانت
 الفلسفة البدائية ان الفذة في هذا الاقليم بالذات ، وهو تفسير مبالغ فيه
 من غير شك ، ان لم يكن زائفاً كانه ، لأن المكان الوحيد كثيراً
 ما أثبت فلاسفة على طرفي نقيض في تصوراتهم الاخلاقية والكونية ، هذا
 من ناحية ، ومن ناحية اخرى لم تظهر قورينا بهذه المبادئ الطبيعية حتى
 تخرج وحدها فلسفة اللذة التي دعا اليها ارسطيفورس وابائيه ،
 على ان حياة ارسطيفورس ، ودينه به وبترجمه الشك في كل شيء ،
 تقريباً :

١ - فحقى مكان ميلاده ، وهو قورينا ، امر وإن حتى عابسه
 اصحاب المصادر الحديثة : اعني في العهد اليوناني المتأخر جداً ، لأن
 المصادر القديمة لم تذكر لنا شيئاً عن مكان ميلاده : كما لاحظ
 دوبريس^١ بحق .

٢ - واسم ابيه غير مؤكد : فهل اسم امه ديمالا أو Demira ؟ هذا
 امر اختلفت فيه رواية النصوص : وكون اسم ابيه ارتباد Demira هذا
 امر لم يذكره غير موريلاس في معجمه (تحت اسم : ارسطيفورس ج ١٩) .

٣ - ولاريخ ميلاده مجرد تخمين ، ولتوزيع المذكورة عن حياته
 تنحصر في :

(أ) قول دوبريس العفلي " ان ارسطيفورس كان لا يزال حياً في

[1] Dupont: La légende sarde et les sources de Platon, Bruxelles . . .

١٩٢٩ ج ١

[2] Diodore: Hist. Hist. X , ٧٩ .

١ - جميع Galina Gerasimova في موسوعة الفلسفة الحديثة ، القوقازين ونشرها مع
 ترجمة لحنالية ومريدة ، منطقة تشايفسكي ، كتابه "مصرات" A Dvinskaya
 ... Gail Artiste, Leningrad . عن مرجع في موسوعة الفلسفة الحديثة ، وقد ظهر منه
 اكثر في ١٩٦٥ في بولندا Kazan سنة ١٩٦٥ في ١٠٠ صفحة .

التي تلتها من الدورة الأولمبية وتم ١٠٣ (٢٩٦ ق.م.) .

(ب) وقد أورد فلوطرخس (Dio. 19.1) من أن أرسطيفورس
التقى مع اللاطرون أثناء إقامة اللاطرون لكافة في صقلية ، كما في
سنة ٢٩١ ق.م .

(ج) ولعل الخبر الوحيد البقي هو أن أرسطيفورس كان في إسبانيا
سنة ٢٩٩ ق.م . حين كان سقراط في أثينا يشجّر لسم ، كما ذكر
ذلك اللاطرون في محاورته : *Phaedon* 59c .

٤ - أما متى ارتحل إلى أثينا فستبحث عن سقراط فأغلب الاحتمال على
أن ذلك كان في سنة ١١٦ ق.م . ؛ ولكن ليس لدينا سند واحد
لإثبات صدق هذا التاريخ ، إنما هو مجرد افتراض ، كما افترضنا أيضاً
أن تاريخ ميلاده حوالي سنة ٤٣٥ ق.م . أو في سنة ٤٢٧ (كما هو
رأي أكثر : « فلسفة اليونانيين » ج ١ ص ٢٣٩ تعليق ١) .

كما بحثت في الداع إلى التلمذ عن سقراط : *فيلسيكس* ،
إلى أن أثينة محدثاً بشهرة سقراط (*فيلسيكس* اللازم ص ٩٥ ،
نشرة هكس) ، ويذكر فلوطرخس رواية أخرى وهي أن أرسطيفورس
التقى ، أثناء الألعاب الأولمبية ، *ألفيولاس* ، فسأله هناك يحيى فتياب
بأنه سقراط ، فذكر له بعض أقوال سقراط : مما أثار إعجابه فعانق
أن أتيه ليقتني سقراط ويأخذ عنه .

لكن الروايات القديمة لا تحدد له نوع العلاقة التي أشتت بين هذا
المسجد وبين سقراط ، وحده لا نستطيع أن نحدد ماذا كانت العلاقة عن
استاذة ، وإن أي مدى يمكن أن يعد تلميذاً حقاً .

٥ - ولقد ذكرنا انه كان مغنياً عن اليأس حين يخرج سقراط من
الشوكران في سنة ٣٩٩ ، اذ كان ، كسراً يذكر افلاطون ، في
مدينة ايجينا .

حال ان من المرجح ان ارمسطيغوس قد مارس التعليم ابان حياة سقراط ،
وته كان بنقاضي عن تصيحه اجراً كما كان يفعل اسوفستيون ؛ وهو
امر كان يتنافى مع بادئ سقراط ، حتى ليقال انه ارسل ذات مرة
نقوداً الى سقراط ؛ ولكن هذا رقتها لأنه عرف مصدرها وهو التعليم
يأجر وهو امر كان يستكره سقراط . وكان بنقاضي اجراً باعظاً ،
بلغ الف درهم من الطالب لوحد لدراسة التي تستغرق ثلاثة او اربعة
أعوام .

ماذا كان يعلم تلاميذه طوال هذه الفترة ؟ لقد كان يحلهم دروساً
في المشاكل التي تتعلق بالحياة العملية ، بينما لم تشغل دروس الاخلاق
المركز الرئيسي في هذا التعليم .

وبعد موت سقراط اخذ ارمسطيغوس في التفتل بين المدن اليونانية ،
وبدأ في التدريس من بينها : كورنثوس ، وميظرا ، وايجينا ، واسكيلونيه
وآسيا الصغرى ، ثم خصوصاً برلوسة في صقلية حيث التقى هناك
بافلاطون في بلاد فيرنندوس الكبير (العجوز) .

بهذا ان المصادر لا تصد لنا لتاريخ هذه الأمدور ؛ ولا كيف انتهت
حياة ارمسطيغوس ، ولا يذكر مصدر واحد منها انه عاد الى وطنه
الاصلي قورينا .

٦ - اما عن حياته فقد اخذت آراء المؤرخين منذ القدم حيزها .

وقد فسلم لنا فيوجانس اللاتسي (ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥ نظرة عكس)
شئ : ارجأ وأقدمها بشمل :

١ - تاريخ ليبيا : في ثلاث مقالات : وقد أهداه إلى ديونسيوس
في مرقومة .

٢ - كتاباً يشمل على ٢٦ محورة تعرف عنوان ٢٢ منها .

واليت الثاني التي ينقله فيوجانس عن سوتيون وبانثيوس يشمل على
١٢ عنواناً ، من بينها منه لا يمكن زدها إلى واحد من الكتب المذكورة
في التبت الأول وهو :

١ - في التربية ٢ - في النضيلة

٣ - بروتريشيكوس ٤ - في مفراط

٥ - في البخت ٦ - أهاجي : في ست مقالات

وفيوجانس نفسه يذكر أن بعض الرواة يؤكدون أن أرسطيفوس لم
يكتب غير هذا الأخير - كتاب الأهاجي في ست مقالات - ، كما
يذكر أن بعض الرواة الآخرين منهم سمرطراط الرومسي يؤكد أن
أرسطيفوس لم يكتب شيئاً ؛ وينكرون أن يكون قد كتب أحد من فلاسفة
سراط محورات فيها هذا اللاطرون واكسيفرون وأنتستانس واسخينوس ،
وربما يبدون واقفيس الفيلاني ، وهذا هؤلاء - ومنهم طبعاً أرسطيفوس -
لم يكتبوا أية محورة .

هل أنه لم يصار في كتاب من هذه الكتب كلها التي نسبت إلى
أرسطيفوس ، إن كان قد ألف شيئاً . وكل ما بقي لدينا هو بعض
مكانيات نسب إليه وبعض عبارات وافقرات التي اعتد بعض الباحثين
المحدثين أن من الممكن أن تكون صحيحة نسب إليه . من بين هذه

غير قليل من الأدب والحكم التي تسبث إليه في المصادر اليونانية واللاتينية
المتأخرة .

أرسطيفوس والثوريثيون في المصادر العربية

وحكنا تبادر شخصية أرسطيفوس : بصفة جدية : خاصة جداً ، يحيط
الشك بكل ما يتعلق بها من الأخبار : وحظ الاختراع والافتحاض
والاستفوزة في كل ما يمتشئ بأخباره الكثير بألف مرة من حظ أفلاطون
وأواقع الصحيح .

فإن حاولنا أن نجد في المصادر العربية ما يزيد علمنا في هذه الباب
لم نجد شيئاً . فلما أخذ في تحليل الأسماء والنصوص التي وردت عن
أرسطيفوس والثوريثيون في هذه المصادر العربية .

أ - أخبار الثوريثيون وطريقها

وأول ما نذكر عليه هو اتصال الثوريثيون في تصنيف المدارس
الفلسفية اليونانية إلى سبع مدارس أو فرق : سميت بأسماء اشتقت لها من
سبعة أشياء : سمها من اسم الرجل المعلم للفلسفة (أثنى : طرس
الفرقة) ، ولأثنى من اسم أبلك الذي كان فيه بدءاً ذلك العلم ،
والثالث من اسم الموضع الذي كان يعظم فيه ، والرابع من المصدر
الذي كان يصدر به : والخامس من الآراء التي كان يراها في علم
العلمة : والسادس من الآراء التي كان يراها في الفروض الذي كان
يصد إليه في تعلم الفلسفة ، والسابع من الأفعال التي كانت تظهر في
تعلم الفلسفة (راجع الحق رقم ١) . والفرقة السابعة من اسم أبلك
الذي كان فيه الفيلسوف من فرقة أرسطيفوس : من أهل ثوريثا .

وهذا التصنيف ذكره الفارابي في رسالة : عما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الصفة المتقدمة ، (راجع نشرة ديريسى لبعض رسائل الفارابي تحت عنوان : « البهجة المرضية من الرسائل الفارابية » ص ٥٠) ، كما يذكر القفطي أن حنين بن اسحق الأرجون وأبا نصير الفارابي وغيرهما من المعراء للعلماء قد ذكروا هذا التصنيف ، ولكن لم يبق لنا الموضع الذي ذكر فيه حنين بن اسحق هذا التصنيف .

من أين استقى حنين والفارابي هذا التصنيف ؟

إننا نجد هذا التصنيف بخروقه واسمه في المصادر اليونانية التالية :

١ - شرح الفيثاغورس على « مقولات » أرسطو : ص ٣ : ٨ ، نشرة بروكس Hude في « مجموعة » الشرح اليونانية على مؤلفات أرسطو ١ ، المجلد رقم ١٢ ، طبعة أكاديمية برلين .

٢ - شرح لياس على « مقولات » أرسطو (ص ١٠٨ من ١٤٥ الخ نشرة بروكس المذكورة ج ١٨) .

٣ شرح سينيقيوس على « مقولات » أرسطو (ص ٢ : ١ نشرة كاليفورنيا في المجموعة المذكورة للجامع رقم ٨) .

وإن السبع لا يذكر من هذه الشروح غير شرح سينيقيوس (ص ٢٦٨ من ١٩) : بينما يذكر شرح فيثاغورس واسطون واثمستيبوس . لكنه لا يذكر هذه الشروح كلها ترجمة إلى العربية . وهذا لا نستطيع أن نحكم يقيناً أن المصدر الذي نقل عنه تصنيف الفرق اليونانية السبع هذه هي الشروح اليونانية الثلاثة أو أن هناك مصدراً تاريخياً عربياً عنه نقل الفارابي وحنين وغيرهما هذا التصنيف ، ولعلهم على فكر حنان أن هذا التصنيف كان شائعاً لدى المؤلفين اليونانيين المتأخرين ، وعنهم أخذوا للإغريق العرب .

وإذا عرف العرب اسم المدرسة القورينية واسم مؤسسيها : علي
 بن خلف في كتابة اسم : ارستطس (الخرابي ، القفطي) ، ارستطس
 (القفطي ص ٧٠ ليرث) ، ارستطسوس (ترجمة الخطابة لأرسطوطاليس ،
 ص ١٦٠ من لشرقة) ثم ترجمة ما بعد الطبيعة مع تفسير ابن رشد ح ١
 ص ١٨٨ لشرقة بروج) : وكلها كتابة صحيحة بحسب القواعد التي
 اتت في تعريب الحروف اليونانية .

• • •

أما عن حياة ارستطسوس فتبين القصة التي كتب القفطي (ص ٧٠) :
 وفيه يقول انه من ابن قورينا ، وهذا مضاف مع المصادر الضعيفة ،
 لكن ما يثبت ان يحمله حين يقول ان قورينا في القسم هي رواية بالتمام
 عند بعض ، والله اعلم ! وقد رأيت مكتوباً في موضع : القرني .

من ابن وقع القفطي في هذا الخطأ ؟

من كلامه يبدو أن ما دعاه ابن هذا الافتراض هو انه رأى اسم
 ارستطسوس في موضع من الترتيب محروفاً بنسبة : القرني - ومن هنا
 ينبغي تفسير الافتراض .

حول اشتقاق اسم (التراجيح العربية عن اليونانية) : في المجال
 الخامس بدرخش ص ٣٤٩ - ٣٥٥) ان يفسر خطأ ، فقد (بعد أن
 قرأها : لرفني Zafani أي بالزاي المعجمة) ان هذا الخط تحريف لاسم
 بوليا Zafani بك ايرخس الذي نفاه القفطي عنه وبين ارستطسوس
 كما سيأتي بعد قليل .

وفي نظري ان رأي اشتقاق خطأ كما سبق : الا ان ان القفطي
 انما كان يحد ما هي « قورينا » في القديم وأين تقع ، وانما أن رسم

كلمة : ثوريين ، حيثُ جئنا من : رقيي ، - فلا يمكن ان تكون هذه تحريفاً لها .

ونرى نحن ان القبطي حين نقرأ النسخة : : الرقيي ، مشروطة باسم أرسطيفوس : حاول ان يفسرها وان يربطها بثوريين ما دام قد ذكر عنه انه : من أهل ثوريا ، ، فحق ان ثوريين هي رقية عند حص بالشام .

والذي أدعى بالنعضي الى هذا الخلط هو التحريف في قراءة : : الرقيي ، ، ونرى ان صوابها هو : البرقي ، ، نسبة الى برقة : حيث توجد مدينة ثوريين ، كما ان اقليم برقة هو ثوريين . وهذا يفرض ان المصدر الذي نقل عنه القبطي قد حاول ان يبين ما هي ثوريين في العهد الاسلامي : ووجدوها هي برقة ، ومن هنا نسب أرسطيفوس الى برقة ، فقال : : البرقي ، اي الثوريينالي .

وهذا نحل هذا الإشكال الذي لم يستطع تصديره احد من الباحثين حتى اليوم .

وبعد حل هذه المشكلة نحقق في تحليل مقال النعضي عن أرسطيفوس فنجد انه يقول عنه : : انه من فلاسفة ثوريين : انه ذكر ويصدد : وكانت له شجرة . . ثم يحدد هذه الشجرة بأنها من بين الفرق السبع التي ذكرها في ترجمته لأفلاطون (ص ٢٥) : ويقولون ان اصحابه يعرفون : بالثوريين ، نسبة الى الملك : اي الى ثوريين .

ثم قال من فلسفة هؤلاء الثوريين انها : جهلت . . في آخر الإحان لا تحققت الفلسفة المثالية : ويقصد ان فلسفة ارسطو المثالية قد غلبت وسيطرت ، افتراح العلم بفلسفة الثوريين .

بيد أنه لم يذكر شيئاً عن حقيقة هذه الفلسفة النوربالية ، وكل ما هناك أنه وصفها بوصف غامض جداً ، وشاطيء جداً في نفس الوقت وهو أنها : هي الفلسفة الأولى قبل أن تتحقق الفلسفة ، ، وإذا يقصد بكلمة : الأولى ، ؟

من الواضح أنه لا يقصد بالمعنى الاصطلاحي ، أي : ، ما بعد الطبيعة ، ، لأنه يجعل الأولية هنا أولية في الزمان إذ يقول : ، قبل أن تتحقق الفلسفة ، .

هذا لم يبق إلا أن تفسر بمعنى أنها فلسفة مابضة على الفلسفة الأفلاطونية وفلسفة أرسطو المثالية ، وهما الفلسفتان الحقيقتان ، وعلى هذا فإن فلسفة أرسطيفورس كانت قبل أن تتحقق الفلسفة بالمعنى الكامل لدى الأفلاطون ولدى أرسطو خصوصاً : وهذا الأمر حتى .

ب - الفلسفة النوربالية في المصادر العربية

والغريب أن المصادر العربية كلها لم تذكر المصاحصة المعيزة للعب أرسطيفورس ودرسته ، وهي أنها تقول باللغة : ذلك أن المصادر الأخرى التي ذكرت اسم أرسطيفورس في العربية هي ترجيات أرسطو إلى العربية ، وذلك في موضعين :

(أ) كتاب : الخطابة (ص ١٦٠ من فترتنا ، الطبعة سنة ١٩٥٩) .

(ب) : ما بعد الطبيعة (: التفسير ابن رشد ، ج ١ ص ١٥٨ ،
نشرة بوبج في بيروت سنة ١٩٣٨) .

وهما الموضوعان الوحيدان في كل مؤلفات أرسطو اللذين ذكر فوسف اسم أرسطيفورس صراحة . والموضع الأول (وبشابل ص ١٣٩٥ ب ٢٩ في نشرة بوبج) يورد قولاً لأرسطيفورس موجهاً إلى الأفلاطون حين رأى

هذه الأخيرة يتحدث بقرور وصفه واستعماله ، فقال له : إن : صاحبها
(أي مفراط) لم يكن يتحدث على هذا النحو ، من الاستعمال ، بل
كأنه يتناقض ويأخذ ويعطي ، ويحترم حق الغير في المناقشة وإبداء الرأي
وتبادل القول على سواء .

أما الموضع الثاني (ويقابل ص ٩٩٦ أ ٣٢ من نشرة بكر) فجاء
توضيح كلام أرسطو في مسألة : هل يتسبب أن هم واحد ، أو أن
علوم كثيرة : دراسة كل أنواع الأسباب ، فذكر أن أرسطوفوس ذكر
أن الرياضيات لا تبحث في الخير والشر .

• • •

تذكر الباحثين في تاريخ الفلسفة اليونانية أنه وجدوا مواضع أخرى في
كتب أرسطو تروي آراء المدرسة الفيثاغورية دون أن تذكر اسم أرسطوفوس.
وهذه المواضع هي :

(أ) : الأخلاق أن نيقوماخوس ، ، مقال الأيتا فصل ١١ ص
١١٥٢ ب ١٢ من نشرة بكر ، ثم مقالة الأيتا فصل ١٢ من ١١٥٣ أ ١٣ .

(ب) : ما بعد الطبيعة : :

١ - مقالة الجمال فصل ٥ من ١٠٠٩ ب ١

٢ - ١ ٥ ١ من ١٠١٠ ب ١

٣ - ١ للو ٣ من ١٠٧٨ أ ٣١

(ج) : بوليتيكوس ، نشرة ١٠ - ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

والمواقع في الأخلاق أن نيقوماخوس ، موجودة في الترجمة العربية
التي لا تزال مضمونة في مخطوط القرويين بغاس .

والموضحان الأول والثاني في « ما بعد الطبيعة » موجودان في الترجمة العربية الواردة ضمن تفسير ابن رشد (ج ١ ص ٤١٢ : ج ١ ص ٤٣٠ - ٤٤٠) . أما الموضع الثالث وهو الوارد في مقالة المؤلف فلا يوجد في تلك الترجمة لوقوعها عند مقالة اللام .

أما تعليقات « بروغرينيكوس » فلم تُرجم إلى العربية .
فإن صحَّ أن هذه المواضع تروي حقاً آراء المدرسة القورينائية لم يكن العرب قد عرفوا هذا القدر من الأقوال عن الفلاسفة القورينائية، دون أن يعلموا إنها تعبر عن آراء هذه المدرسة ، هذا أن صحَّ حقاً أنها خطأ ، وهو أمر لا يراك بمعزل عن التأييد اليقيني .

أما المواضع التي وردت في محاورات الفلاسفة ، ويرجح أنها تتعلق بالفلاسفة القورينائية ، فلم تُرجم كلها إلى العربية ، فيما نعرف من مصادرها (ابن التميمي ، القفطي ، السجستاني ، ابن أبي أصيبعة ، اليشكري بن فائق ، الخ) ، وعلى كل حال فلم يصلنا شيء منها في ترجمة عربية . وهذه المواضع توجد في محاورات الفلاسفة الثانية :

- ١ - « تراخيلوس » (٢٨٥ =) .
- ٢ - « جورجياس » : (ص ٤٩١ هـ : ٤٩٤ هـ : ٤٩٤ هـ) .
- ٣ - « حيباس الأكبر » : (٢٨٧ هـ : ٢٩٧ هـ) .
- ٤ - « فيلون » : (٥٩ = : ٦٨ هـ) .
- ٥ - « بلابروس » : (ص ١١ ب ، ١٢ ب : ١٣ ب : ٢٧ هـ : ٣١ د : ٣٢ هـ : ٤٢ ج : ٤٤ هـ : ٥٣ = : ٥٤ = : ٦٠ أ : ٦٥ هـ : ٦٦ د : ٦٧ أ) .
- ٦ - « برونافورس » : (ص ٣٥١ ب : ٣٥٣ هـ : ٣٥٦ أ : ٣٥٨ أ) .

٧ - : السبابة : الترجمة خطأ بعنوان الجمهورية (: من ٣٥٧ م
ب : ٥١٥ ب : ٥١٦ ج : ٥١٣ د : ٦٠٥ هـ) .

٨ - : المصطفي : (من ٢٤٥ هـ) .

٩ - : ثالثيوس : (من ١٥٢ هـ : ١٥٦ هـ : ١٨١ ب) .

ولم نلجأ في المصادر العربية ما يدل على ترجمة الحوادث الفلاطونية
إلا لما يتعلق بأربع منها هي :

(أ) : القويس : ترجمة حنين بن إسحق ويحيى بن عدي .

(ب) : المصطفي ، ترجمة إسحق مع شرح القيدروس .

(ج) : طيارس : ترجمة ابن بطريق ، ثم حنين بن إسحق
الذي أصلح ما ترجمه ابن بطريق أو قام بترجمة جديدة . كما أن يحيى
بن عدي صحح إحدى الترجمتين .

(د) : السبابة : كما يدل على ذلك عنوان ابن رشد على التفسير .

وعلى هذا فقد نقل ابن العربي على الأقل هذه المواضع المختلفة
بالقورينائيين في حدوثات أفلاطون التالية : « السبابة » : ر : المصطفي : .
لكن الأمر بالنسبة إلى هذه المواضع يشبه نفس ما حدث بالنسبة إلى
المواضع في كتب أرسطو : أي أنه لم ترد فيها المارة صريحة إلى اسم
أرسطيفانوس أو المدرسة القورينائية . وهكذا عرفت العرب هذه المواضع
دون أن يعرفوا أنها إنما تشير إلى أرسطيفانوس أو المذهب القورينائي .

ولم يدل ذلك نجد ابن رشد قد فسر المواضع الواردة في « د » بعد
الطبعة « لأرسطو » وهذا أنهم في بيان المذهب القورينائي وأرد تأييده
ولما كان لم يبقه أن هوية الذين يهاجمهم أرسطو في هذه المواضع . وهي

كل حال فقد اتهم ابن رشد بهذا القدر فيما يتعلق بالتوريثية ، ولهذا
لوردنا في الشرح اذائع للتوضيح تفسير ابن رشد لهذه المراجع .

• • •

وبغلاف ان هذه التصريحات والاحبار قليل جداً من الحكم والآداب
نسبت اليه في « صور الحكمة »^١ لمسلماني : وفي « مختار الحكم
ومحسن الكلم »^٢ للبشر بن فائق الآمري . لكن المهم في هذا كله
انه لا يوجد في هذه الاحبار ولا في علم الآداب اية إشارة الى مذهب
اللغة الذي وضعه ارسطو بفروس والدرسة التوريثية .

ولعل هنا يضر لنا خيار التصريح الحقيقة بنظرية اللغة لدى الفلاسفة
المسلمين من اسم ارسطو بفروس والمجموعة التوريثية . اذ لم يذكره محمد
بن زكريا الرازي في مقاله « في اللغة »^٣ ، ولا ابن مينا في السبط
الجامع من « الاشارات والتبديلات » ، وهو الذي استشهد بدراسة معنى
اللغة : « ولا الرازي والفطوس شرحاً لهذا الكتاب : ولا مسكويه في
« تهذيب الاخلاق » حين بحث في اللغة (من ١٠٠ - من ١١٢ :
نشرة زريق : بيروت سنة ١٩٦٦) ، وانما كانت هذه المجموعات كلها
مراجعة الى كتبه ارسطو عن اللغة في « الاصلاني الى تقيود بفروس »
(نقالة السابعة : الفصول ١١ - ١٤ ، والقامة العاشرة : الفصول

١ أبو طهريك محمد بن طاهر بن مرام السجزي « محسن صور الحكمة » ، مطبوع بدير آغا
برقم ١٨٥ ، بيروت ، لا برقم ١٠٠٠ ، « تقيود في برقم ١٠٠٠ » .
٢ البشر بن فائق : « مختار الحكم ومحسن الكلم » ، مطبوع في الراسين بدمشق ، دار المطبعة
٣ « وصف طبعه » ، لمحمد بن زكريا الرازي : « تقيود في برقم ١٠٠٠ » ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

١ - (٢) : ولم يرد فيها إشارة صريحة إلى اسم أرسطيفورس ، كما ذكرناه من قبل .

والخلاصة :

١ - ان العرب عرفوا اسم أرسطيفورس ، وأنه من كورنث ، وأن يقولوا بلعب حسن في اللعبة .

٢ - وعرفوا تسمية أرسطار والأطرون فتعلق بلعب أرسطيفورس ، دون أن يعرفوا أنها تتعلق به : فكانت لهم عرفوا تسمية أرسطيفورس والقورينثيين دون أن يدركوا أنها هؤلاء .

٣ - ولم يعرفوا أنه له صاحب مذهب في اللعبة ، ولهذا لم يسموا إليه في بحثهم في اللعبة على كثرتها وتفصيلاتها : بل ارتبطت أبحاثهم في اللعبة بهذه تسمية أرسطار ، وربما بما كتبه الفلاسفة .

٤ - ونسوا إليه قولاً حكيمياً عاماً ونحوه : وكلها متحركة ولا تكشف عن مذهب .

٥ - وأدركوا أن لعبة القرعة المشقة بولادة نسبت إلى قورينث دون أن يحدوا آراءهم .

٦ - وأن التعلق قد نسب إلى كورينثيين في القرون الوسطى ، الجبر ، ويعرف بالعبود ، ، ثم كتب : قصة الأعداد : وهذا خطأ وقع عليه لنفسه وهو يقل عن ابن النديم : فخطأ بين عبد أرسطيفورس وما لأبرخس أو لأبرفليس ، وهو عندنا بالأسباب مادية بحدثة : بأن أريج ما أثير غير أو خيوطيس في الحقارة المتعلق بأرسطيفورس .

الانصوص العربية المتعلقة بأرسطيفورس والطرسية القورينائية

١

فرق الفلسفة

انظمي : : اخبار الحياه بخبار اسكوا : ، نشره بيروت : ، نبتيج سنة ١٩٠٣
س ٢٥ س ٢٦ - س ٢٦

: وذكر حينئذ بن لحيث الترجمان وأبو نصر محمد بن محمد القارابي
انصقي وغيرهما من الحياه بالفلسفة أن فلاسفة اليونانيين صبح فرق :
سجيت بالحياه لثنتها من سبعة الهاء : احلها من اسم ارجل انظم
الفلسفة : والثاني من اسم الجند الذي كان فيه مبدأ ذلك العلم ، والثالث
من اسم الموضوع الذي كان يحتم فيه : والرابع من تدبير الذي كان
يتصور به : والخامس من الآراء التي كان يراها في علم الفلسفة ، والسادس
من الآراء التي كان يراها في الموضوع الذي كان يقصد فيه في تعلم
الفلسفة ، والسادس من الأحوال التي كانت تظهر عليه في تعلم الفلسفة .

لما افرقة الحياة من اسم اهل الذي كان فيه الفيلسوف : فثمة
ارسطي من اهل قورينا : ولما افرقة الحياة من اسم الموضوع الذي
كان يعلم فيه الفلاسفة فثمة كورستس وهم اصحاب انظمة : سجنوا
بذلك لأن تعلمهم كان في رواق مدينة لبيدة . - ولما افرقة الحياة من
تدبير اصحابهم واختلافهم فثمة فيوجانس : وهرطوت بالكلابية :
وسجنوا بذلك لأنهم كانوا يرون اضراج الهوائين انقروا في المدن هل
قواس ومحنة القاروم وبعض غيرهم من - اثار اناس : ولم يوجد هذا
العلم في الكلبي . - ولما افرقة الحياة من الآراء التي كان يراها

الفرق السبع التي ذكرناهم في ترجمة افلاطون . وكان أصحابه يعرفون
بالفوريثيين : نسبة الى اولاد . ووجدت فلسفتهم في آخر ازمان لما
تخشت فلسفة المشايخ .

وله من الكتب المصنفة : كتاب الجبر ، يعرف بالحدود ، نقل هذا
الكتاب وأصله ابو الولاد محمد بن محمد الحاسب . وله أيضاً شرحه
وعنه البراهين المتعلمية . وكتب : قصة الأعداد .

• • •

ونسخ من هذا النص أن القسطنطين بن ارمطافورس وبين ابرخس
الرفاعي ، ومردت هذا الخط الى النسبة : الرفاعي ، فقد جعله يعتقد أنه
هو ابرخس الرفاعي نسب اليه ما لا يبرخس الرفاعي من الكتب ، ومن ثم نقل ما
كتبه ابن كثير في : الفهرست (ج ١ ص ٢٦٩ نشرة دارجل) :
ص ٣٩٦ طبع مصر) عن ابرخس الرقي : ونصه :

• ابرخس الرقي . وله من الكتب : كتاب صناعة الجبر ، ويعرف
بالحدود . نقل هذا الكتاب ، واصلح ابو الوفا محمد الحاسب هذا
الكتاب ، وله أيضاً شرحه وعنه البراهين المتعلمية . كتاب قصة
الأعداد .

وهذا يعني هو النص الذي نقصد بحروفه القسطنطين في ترجمته
لأرمطافورس .

هذا وقد ذكر : الفهرست (ج ١ ص ٣٩١ طبع مصر سنة ١٣٤٨ هـ)
في ترجمته لأبي الولاد محمد بن محمد بن يحيى بن ابراهيم بن ابراهيم
المروزي في بوزجند من بلاد نيسابور سنة ٣٢٨ هـ وروى عن ابرخس الرقي
سنة ٣٤٨ هـ . نقول إنه ذكر له من بين كتبه : كتاب تفسير كتاب
ابرخس في الجبر . وهذا يؤيد ما قلناه من أن كتاب : الجبر ، هذا

الزرد في ترجمة أرسطيفس هو لأبرخس ، لأن ما قسره أبو الوفاء
محمد بن محمد صاحب دو كتيب الجبر لأبرخس .

ولكن من هو أبرخس هذا ؟

إن أبرخس Pappus المعروف ، هو من بقية في مقاطعة بيلونيا
Nicomachus in Bithynia في شرق بحر مرمرة ، ولزده سنة ١٤٩ -
١٢٧ ق. م. ، ورصد أرسطاً في بيلونيا ، ثم في رودس من سنة ١١٦
إلى ١٢٧ ق. م. ، وفي الإسكندرية من ١٦١ إلى ١١٦ على حسب
بعض الأولاد . وقد ضاعت كتبه فيما عدا شرحه على : طومار
ابدوكس الكتيبي وعلى تصديقه في الحساب : ولا يهم له مؤلف في
الجبر أو في قصة الأعداد . وهذا يتروح البعض أن يكون قد دخل في
مادة أبرخس ما هو خاص بليونطس بعده .

٢٣

الحفظة دأرسطوخاليس

الترجمة العربية الحديثة من ١٦٠ من نشر لنا : القاهرة سنة ١٩٤٩ - من ١٢٩٨
ب من نظرة بكر

(عواهد التماثل)

١١ - ثم من قبل انكم لي ذلك الأمر بعينه أو فيما يشهد ثوب
ضلع ، ولا سيما إن كان مما يحكم به الكل وكان ذلك دائراً ، فإن
يكن كذلك ، فما حكم به الكثير أو الحكيم : إما قتلهم ، وإما
أكثرهم : وإما غيرهم ، ذلك فيما يحكمون به أو الذين يظنون أنهم
لا يحكمون بالاعتادات ... كما قال أرسطيفس اللاتاني حيث كان

قد بالغ فيها بطامه أو يستغفره : « لكن صاحبة (يقيده سقراط)
قال أولاً لم يقل فيه شيئاً من هذا النوع » .

ما بعد الطبيعة لأرسطو هاليس

بتصوير ابن رشد

(أ)

« ثم قال (أي أرسطو) : « ولذلك لا يكون في العلوم الطبيعية
ايضاح شيء من الأشياء بهذه العلة » ولا يكون بها برهان الحق » .

يريد : « ولأن هذه العلة لا توجد في العالم ليس يلقي فيها إعطاء
سبب شيء من الأشياء المنسوبة في ذلك العلم » من أجل السبب الثاني ،
ولا يأتي فيها برهان يكون هذه الأوساط هذا السبب . « وقد قال في
المقالة التي يتكلم فيها في مبادئ العلوم أنه قد يوجد لسبب الجذب قوتها ،
وهو النظام الذي يكون في الأعداد والأصطام ، والترتيب ، وغيره موضع
فحص » .

ثم قال (أي أرسطو) : « ولذلك كان الأسس من المارسطائين
يرفضون هذه العلة مثل ما فعل أرسطافورس » .

يريد : « أنهم كانوا يحددون وجودها في جميع العلوم : « من
لكنهم لم ينفقوها في إحدى العلوم وهي الفعاليات » .

(ح) ص ١٨٤ نظرية بويج ، بيروت سنة ١٩٢٨ ، نفس أرسطو هو

١٢ ٨٩٦ B

(ب)

قال أرسطو :

وكذلك يرى بعض الناس حقيقة المعرفة في الأشياء الظاهرة من
الحسوسات . وليس يمكن أن يقتضى على الحق بالكثرة ولا بالقلة ،
فإن الشيء الواحد قد يحده بعض الناس بالكوني حلوياً ، ويحدد بعضهم
مراً ، ويظن أنه كذلك . فلو كان جميع الناس مرضى ، أو كانوا
تغيرت عقولهم ، وكان الأصحاء منهم الاثنين أو الثلاثة ، أو الذين لهم
عقول اثنين أو ثلاثة ، لظن هؤلاء أنهم مرضى وأنهم قد تغيرت عقولهم
وأن الباقين ليسوا كذلك . وأيضاً إن كثيراً من الحيوانات تظهر حم الأشياء
يضد ما هي فيه ، ولذا تظهر كذلك : ولكل واحد في ذاته تظهر
أشياء في حواسه على تضاد معي بخلاف ما يظن وليس على ما هي فيه .
وليس بينهم أي منه حق أو باطل ، لأن هذه ليس تؤدي إلى تضاد
أكثر مما تؤدي إليه تلك ، بل هي متشابهة لها تؤدي .

(جـ ص ١١٢ : نفس أرسطو هو ١٠١١ ب١٠١١ Gamma 1029) .

(ج)

قال أرسطو :

ولما قولهم في الحق ليس كان ما يظهر بحق أولاً أن الكلب ليس
بإنساناً بالحق : بل لفظاً ليس بالحق ليس هي بالحق شيئاً واحداً . ويرى
هذا فيمكن أن نتعجب من يتعجب في هذه الأشياء ويسأل : هل الأعظام
والأشياء هي على الحال التي تظهر من بعيد ، أو على الحال التي تظهر
من قريب ؟ وهل هي على ما يراه الأصحاء ، أو المرقى ؟ وهل هي

في الثقل على ما هي عند الضعفاء ، أو على ما هي عليه عند الأقوياء ؟
وهل هي في تصديق والكذب على ما هي عليه عند الناصحين ، أو عند
الساخرين ؟ - وهو يبين أن هذا ليس ما يمكن ، فإنه لا يقدر أحد
أن يظن : ' حينئذ هذا (... ... قصص من الرواية ...) ' مثل
اللاطون : كذلك ، وليس ولي الطبيب لظاهر في حقيقة الأمر شيئاً
يرأى الجاهل في الذي سيشفى من المرض والذي لا يشفى .

التفسير

قوله : ' وأما ما يظهر في الحس فليس كل ما يظهر بحق ' -
يريد : ' وأما قولهم إن كل ما يظهر ليس بحق فهو قول باطل ' .
ثم قال : ' أولاً فإن الكذب ليس خاصاً بالحس ' : بل لفتكاسيا
التي ليست هي والحس شيئاً واحداً : - يريد : وهذا يعطل من وجوده
أما ثانياً فإن الكذب ليس خاصاً بالحس وإنما يقع له الكذب بالعرضة
والذي الكذب به الخاص هو الخيال ، لأن هذا هو لقائل أن يقول فيه :
إن ما يكون منه ليس بحق ، وإنما لال هذا لأن هذه القوة تتدخل
أشياء يتطاع على امتناع وجوده .

ثم قال : ' فيحق أن نحجب عن بنحير في هذه الأشياء ويسأل :
هل الأحفام والأشواك .. إلى قوله : عند الساخرين : - يريد : ' ولما
كنت ما هنا أحوال يظن أن الحس فيها صادق : وأحوال يظن أن
الحس فيها كاذب كالأمر من الأشياء التي تظهر لمبصر عند الغرب والبعيد ،

والفلسفي اليوناني هو ما ترجمته : (لأنه لا بد من أن يكون الحق في الأشياء
وإنما هو في ليا ، يعود إلى الإلهيون ، وكذلك غير يتفق بالصدق ، كما يقول أيضاً الفلاسفة .

والتي تظهر للحس عند المسحة والمرض ، والقوة والضعف ، وأكثر من ذلك التي تظهر في النوم واليقظة ، فينبغي ان نتعجب من يشك فيقول : هل الحس هو ما يظهر من مقادير الاجسام كبراً عند القرب وصغيراً عند البعد ؟ وكذلك من يسأل : هل ما يظهر من الألوان عند القرب هو الصافي : او ما يظهر منها عند البعد ؟ او يسأل : هل الطعوم الحقيقية هي التي يدركها الاصحاء ، او التي يدركها المرضى ؟ ومن الغش الحقيقي هو ما يدركه من الهوى من الناس : او الذي يدركه من الضعفاء ؟ وأكثر من ذلك أن يشك : هل الحس هو الذي يراه الكتم : او الذي يراه البصائر ؟ فان الشيء قد يرى في النوم على خلافه في اليقظة .

وأوله : وهو بين ان هذا ليس بما يمكن : فانه لا يقدر احد ان يظن حيث هذا ... وانحرم القول .

ومعنى ما قصده هو ان هذا معرفة أول غرق بها بين ما يكلم به الحس ، وبين ما يصدق ، وذلك انه لا تعتقد ان ما يراه من الاشياء على ما هو بالحقيقة مثل ما يراه من قريب ، ولا ما يحس من الطعوم ونحن مرضى بالحقيقة مثل ما نحس منها ونحن اصحاء ، ولا ما نحس من الحقل ونحن ضعفاء مثل ما نحس ونحن الهوى ، وأكثر من ذلك ان نسوي بين ما نأركه من الاشياء في اليقظة وما نأركه في النوم يريد : ان كمن شك في الفاعل بين المحسوس الذي يعرف انه كاذب ، والمحسوس الذي يعرف انه صادق كمثل من شك في هذه الاشياء ، اي : هل نحن الآن نأكلون او ساهرون ، او نوبخون او معادون ؟ وكذلك لا شك احد في ان حقيقة الحادير للاجسام والألوان هو ما يظهر من قريب : لا ما يظهر منها من بعيد ، وان ما يظهر للاجسام من المحسوسات هو الحس الذي يرى في الضعف والمرض ، ولذلك يذهبون الى

ملاجه . ولو كان كل ما يظهر حفاً ، كما يقول اناسٌ أيضاً ، لم يكن فرق بين قول النبي في غيبة الجاهل والذي في غيبة العلم مثل الألمان ، فكان كما قال رأي الطبيب الماهر في حقيقة الأمر شيئاً يراي الجاهل في المرضى الذين يشغون والذين لا يشغون ، وفيها بشقيهم ولا بشقيهم . وهذا كله محال .

قال ابن سينا :

وأيضاً يقول هذا في الخواص حينئذ أنه لا يشاهد في الحقيقة الحسّ المحسّ شيء والذي هو لغيره ، ولا يشبه الحسّ لتقريب من الشيء الذي هو له متميزة المعبد الذي لغيره : فان حسّ البصر للألوان لا للعلوم ، وحسّ السمع للعلوم لا للألوان ، وكل واحد منها يحسّ شيئاً واحداً في زمان واحد . ولا يوجب ابتداء حسّ من الخواص أن الشيء في حالة وعلى ضد تلك الحالة مدّة ولا في زمان آخر ابتداءً وأما المشاهدة في الأمم فتقول كما يظهر أن الشيء من الشيء بعينه مثل الشراب في طعمه ، ويظهر أن الشيء من قبل الخلاف مزاج جسد اللسان : فيظن في الشراب أنه في وقت : حلو ، وفي وقت ليس بحار . وليس المشاهدة في الحلو نفسه أن كان حلواً ، ولا متى تغير ، بل إن كان يصدق القول فيه وكان باضطراباً حلواً الذي سيكون في هذه الحال . وإن كانت هذه الأقويل كلها تنفي في هذه الحال جميع الأشياء ، وكذلك تنفي إلا يكون جوهر أيضاً شيء من الأشياء : ولا يكون شيء باضطراب البقاء لأن ما كان باضطراباً لا يمكن أن يكون على نوع آخر ، فإن كان شيئاً باضطراباً فلا يمكن أن يكون على هذه الحال وهي خلافها . ويترى آخر أن كان المحسوس من المضاف ، لأن المحسوس وحده ليس هو لشيء إذا لم يكن المتضمنة لأنه لا يكون محسوساً ، وهو من بنوع ما

لا تكون الاشياء المجموعة أيضاً ، لأنها آلام الشيء الذي يحسها : ولا يمكن الا تكون الموضوعة الفاعلة بحس ان لم تكن الحواس : لان الحس بعينه ليس هو قابلاً لما من شيء ، فهو غير احس ، وهو قبل الحس باضطرار : فان التحرك هو لبل التحرك ، والطبيعة : وان كانت هذه الاشياء تتل بتوقع الامة فيس شيء ، منها موجوداً دون شيء .

التلخيص

انه يصدق في هذا القول ان يخل لهم الشبهة التي عرضت فم من قبل الحواس . فتوله : « وايضاً نقول هنا في الحواس بعينها انه لا يتطابق في الحقيقة الحس الخاص بشيء ، والذي لم يرد : - يريد : وايضاً نقول لذين يشكون في الحواس ويجهلون كل ما يظن منها حتى لو ان في الصدق انه لا يشبه حكم الحس الواحد على المحسوس الخاص الذي له حكمه على المحسوس الذي لم يرد : وهو المشترك ، في صدقه في المحسوس الخاص به اكثر من صدقه في المحسوس المشترك له ولغيره .

ثم قل : « ولا يقبل احس القريب من الشيء ، الذي هو له البعد الذي لم يرد : يريد : واكثر من ذلك لا يؤولي تحريك احس لمحموسه الخاص به اذا كان بالقرب يدركه لمشارك اذا كان عن بعد . واما قال هذا لان الغلط انما يعرض في المشترك ، وخاصة اذا كان عن بعد .

ثم نط بذكر المحسوسات العامة بحس حصر ، فقال : « ان كان احس البصر لا يؤولي لا للطعم ، وحس الذوق للطعم لا لا يؤولي لا يريد : وحس البصر الخاص به الذي يصدق فيه ايضاً هو اللون : لا اعلم : وحس الذوق الذي يصدق فيه ايضاً هو الطعم لا اللون : وكذلك الصوت للسمع : والشم للشم : واللمس للشم .

ثم قال : : وكل واحد منها يحس شيئاً واحداً في زمان واحد . -
يريد : وكل واحد من الحواس الخمس يحس بمحسوس واحد يدركه
في زمان واحد ، أي دفعة .

ثم قال : : ولا يوجب ابتداء حس من الحواس أن الشيء ، في حالة
وعلى ضد تلك الحالة معاً ولا في زمان آخر أيضاً ، - يريد : ولا نجد
في وقت من الأوقات حساً من الحواس يحكم على مجموع الحواس به
بأحوال مختلفة في وقت واحد ولا في وقتين مختلفين .

وبأن قد يعرض في هذا القول شك من قول ما يظهر في حس الملوقة
في وقت نارض ووقت الصحة : ذكر خطأ فقال : : وأما المشاهدة
في الأكم فتقولي أنه بطل أن تغير من الشيء بعينه مثل الشراب في
طعمه : وبطل أن تغير من قبل اختلاف مزاج جسد الدائق : ويريد :
وأما الشك الذي يعرض في الأكم الذي هو الدقيق مثل أن يقول قائل إن
الشراب الواحد بعينه قد يجده الانسان الواحد في وقت ما : حلواً ،
وفي وقت آخر : مرراً ، طعمنا قد يشك فيه : لأنه يحتمل أن يكون
ذلك من قبل تغير الملوقة في نفسه ، ويحتمل أن يكون من قبل مزاج
الدائق - فلا سبيل لنا إلى القطع على أن هذا الشيء حلواً في طعمه ،
لا في وقت دون وقت ، ولا أن هذا مرراً في طعمه .

ولا ذكر لك ذلك أنه بالجواب عنه فقال : : وليس المشاهدة في
الحلو نفسه إذا كان حلواً ولا متى تغير ، بل أن كان يصنعه القول
فيه كان واضطراب حاراً الذي سيكون على طعم الحار ، - يريد :
وليس هذا اشك مما ينبغي أن يكون لاضطراب طبعاً ، لأنه إن وجد مرراً
من قبل تغيره أبين أن جميع الحلو قد تنقل وأنه له طبع مخصوص ولا
يوجد لغيره ، وأنه سيكون حلواً إذا عاد إليه ذلك الطبع . وأما إن كان
من قبل تغير المزاج الدائق فهو أبين ، أعني أن لاضطراب طبعاً مخصوصاً .

وليست هذه المشاجرة هي المشاجرة التي كنا بسبيلها : وإنما هذه المشاجرة : هي كون الحلو حاد برأ من قبل تغيره في نفسه ، أو من قبل تغير مزاج الفاعل ؟ وهو الذي دللنا عليه بقوة : فلو كانت المشاجرة في الحق نفسه إذا كان حلوياً ولا معنى لتغيره : - يريد : وليست المشاجرة في الحق ذات الفصل إلى الزيادة : هل ذلك من قبل تغيره في نفسه ، أو تغير مزاج الفاعل . وإن كان من قبل تغيره في نفسه فليغير : لأنه باضطراب يجب أن يكون حلوياً ما كانت طبيعته هذه الطبيعة قبل أن يتغير ، وهو الذي دللنا عليه بقوة : - بل إن كان يصدق القول في أن كان باضطراب حلوياً الذي سيكون على هذه الحال : - يريد : بل إن كان يصدق القول فيه أنه حلو في وقت ما : كان باضطراب حلوياً كل ما كان على هذه الحال أو سيكون .

ثم قال : - وإن كانت هذه الأقوال كلها تنفي عن هذه الحال جميع الأشياء : كذلك تنفي أن يكون جوهر أيضاً شيئاً من الأشياء ، ولا يكون شيء باضطراب البقاء . يريد : وهذه الأقوال كلها تنفي جميع الموجودات ، كذلك تنفي أن يكون شيء من الأشياء جوهر . ونفي أن يكون ما هنا شيء ضروري أصلاً .

ثم قال : - لأن ما كان باضطراب لا يمكن أن يكون على نوع كثر . - يريد : لأن هذه الأقوال توجب أن يكون كل شيء بنوع آخر غير النوع الذي هو فيه ، وباضطراب لا يمكن أن يكون بنوع غير النوع الذي هو عليه .

ثم قال : - لأن تلك كل شيء باضطراب فلا يمكن أن يكون على هذه الحال وهل خبرها . - يريد : وذلك أنه إن كان بها من شيء باضطراب فليس يمكن أن يكون على النوع الذي هو عليه وهل نوع آخر .

ثم قال : « وإن كان المحسوس من المضاف فإن المحسوس وحده ليس هو شيء ، إذا لم يكن المتضاف له لا يكون محسوساً » - يريد : وذلك لأن المحسوس من المضاف ، أي ليس له طبيعة في نفسه إلا طبيعة الانضمام ، فإنه يلزم أن تكون المحسوسات ليس لها وجود إذا لم تكن الحركات الحسية موجودة : لأن المحسوس ليس مضافاً لشيء آخر غير الحس ، وإذا لم تكن الحواس لم يكن محسوس أصلاً .

وقوله : « وهو حق » يتوخى ما لا يكون الأشياء المحسوسة أيضاً لأنها آلام الأشياء التي تحسها أيضاً : - يريد : وهذا يلزم حتى أيضاً بجهة أخرى : أي إذا فرضنا المحسوسات من المضاف ، لأنه يلزم أن يكون المحسوس هو الحس ، والحس لم في الحواس : أي عرضي ، فيجب ألا يوجد المحسوس أن لم يوجد الحواس ، إذ لا يمكن وجود العرض دون موضوعه .

ثم قال : « ولا يمكن ألا تكون الموضوعات المعقدة للحس إن لم تكن الحواس » - يريد : ويلزم هذا القول ألا تكون المحسوسات موجودة إن لم توجد الحواس .

ثم أتى بقوله ذلك فقال : « لأن الحس بحيث ليس هو قبلاً » : بل شيء آخر غير الحس » - يريد : لأن الحس ليس يكون للحواس بل شيء آخر غير الحواس .

وقوله : « وهو قبل الحس باضطراب » - يريد : بل الحس شيء آخر هو قبل الحس باضطراب ، أي متخلف عنه بالطبع .

ثم أتى بقوله ذلك فقال : « فإن التحرك هو ليس التحرك بالطبيعة » يريد : والمعاقبة في ذلك أن المحسوسات هي الحركات الحواس : والتحريك متخلف يخلج حل التحريك .

ثم قال : « وان كانت هذه الاشياء تتخلل بذر الخ انضمامه فليس شيء
منها مبرجواً دون شيء : - يريد : ولو كانت الحواس والمحسوسات
من الصفات لا وجدت المحسوسات دون الحواس ، كما لا توجد الحواس
دون المحسوسات .

(تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ، جزء ١ من ٤٣٠ - ٤٤٠ :
نص مطبوع ١٠٦١ و ١٠٦١ b ١٠٦١ - Cuneo 1010)

ایچ احمد زروق ذہین مضبوط

للأستاذ عبد الله كورن
مفتي - المغرب

لحمه ونسبه :

هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرقي الفاسي
عرف بزروق ، أحد كبار الفقهاء والصوفية المشهورين في العالم الإسلامي.
نسبه في صدار قبيلة البرانس المغربية ، وهو بفتح الباء وسكون الراء
وخم القون ؛ وأما لقبه زروق فهو بفتح الزاي وراء مشدودة مضمومة ؛
ذلك ليه الله رحم نفسه على ما نقل من كتابته : [نما جاءني من جهة
الجد ؛ كان زروق العين والنصب من الله ، قد وكنت شريفة الكني
لم الحفل لبرها بلوت أبي وشرف المرء إنما هو سلامة دينه وخلقه وبره
ولا شرف أكبر من شرفي الله (أن أكرمكم عند الله التحكم) ...

ولادته ونشأته :

ولد زروق يوم الخميس ١٨ محرم ٨٤٦ هـ عند طلوع الشمس ، وتوفي
 أنه يوم السبت بعده ، وأبوه يوم الثلاثاء الموالي ، قبل ، وكان والده
 مهنا محمداً قبل توفي قبل سبعة من أحمد باسم والده .

وكانت جدته الغنية الصالحة أم البنين هي التي كلفتته بتربية
 والديه ورثت تربية حسنة فحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، ثم تعلم
 صناعة الخرز على العادة في أثناء الفطراء فانهم يحضنون على تعلم صناعة
 ما ليسعوا بها على كسب معيشتهم ، ويظن أن والده لم يخالع لدمالاً
 كما أنه لم يكن من أهل العلم ، وربما استفادنا مهارة من قول ابنه في
 طالعته نظمه لمصول أسلمي :

يقول راجي راحة الفقار لعبد نجل أحمد الخضار
 البرنسي الأصل لم الفاسي المشهور زروق بين الناس

هكذا لبث رصف الخضار في ضفة صحيفية جيدة عندنا من هذا
 النظم ينقط الماء والخياد وهو وصف يعلق على «نجم» أشهر فتكون تلك
 هي مهنته ، ولي نسخة أخرى ذكرت نسخة وجودة (الخضار) «نجم»
 المهنة وكذا نطقها مصحفة حتى أقامنا مدينتنا الدائمة السيد أحمد السمار
 الشفيلوني التي ألام بقبيلة البرانس منذ طويلاً ويعرفها جيداً أن الخضار
 بالتخفيف اسم وادي يجري بالقرب من قرية «ليون» بكستر أوله وثانيه
 وهي «تويد» للزجيم ومدفن والده في القبيلة المذكورة وعلمه فقد نكون
 النسخة الثانية هي الصحيحة . والخضار بالشداد صيغة لاسم الوادي المذكور ،
 وزاد الفقيه السمار أن على قبر والده «نجم» أنيقة تشتمل على مسجد جامع
 ويمكن لسكنى الإنسان وتعرف بزاوية ميسني أحمد زروق ولا أولاد وأن

صريح والد، يحض بعظم واحترام من أهل القبة بما يدل على أنه كان من أهل الرأية والصلاح .

ومع ذلك فمن نظر أن هذه الزاوية إنما بنيت بعد اختصار أسرار الشرحم وإن والده لو كان من أهل العلم لولدت الإشارة إلى ذلك في ترجمة ابنه .

طلبه العلم ومشيخته :

وعلى كل حال لو لم يرجع لم يترك في حصة المذاكرة بله أراد الله به خيراً حين أمسه لطلب العلم وهو في سن العاشرة عشرة كما قال : « ثم قضي الله بعد بلوغه سادس عشر إلى القراءة فترأى والرسالة على الشيخين عبي السفي وهداه المصالح قراءة بحث وتفتي ، - وأقرآن حتى جاعة منهم القوري والمزعموني : وكان رجلاً صالحاً وناجياً والأستاذ الصغير بحرف نافع : واشتغلت بالتصوف والوحيد فأخذت الرسالة الناجية وعقائد القسومي عبي الشيخ عبد الرحمن المجدوبي وهو من تلاميذ الأبي بعض تصوير على القوري سمعت عليه البخاري كثيراً وتفقيت عليه في كل أحكام عبد الحق البخاري وجامع القسومي وصحبت جاعة من المزارعين لا تحصى كثرة بين نقيه وقبير . »

هذه نشأة زروق الأولى وتربيته البشيرة والحسنة التي تشبه أن بعد ما تربية صديقه وقرينه ابن غازي ، فإن كلاً منهما نشأ في حضن امرأة صالحة عملت على توجيهه توجيهاً نافذاً ظهر أثره في سيرته المثابة وحياته العلمية النجدة ، ولقد كانت ولادة ابن غازي تكمن ولادة من الناحية الزروية فقط ، أما الناحية المادية فوالده كان كفيفاً بها : في حين أن جلة زروق كانت تكفل حفيظها من الناحيتين الزروية والمادية معاً : لأن والده لم يترك له ثروة يعيش بها وتلك حلة حتى تعلم الحسنة بعد

حفظ القرآن الكريم ، ثم ما لبث ان عاد سيرة جده من طلب العلم
وانقذه في السنين . وكانت جده كما علمت قتيبة صالحة وبذلك تعلم ما
للمروءة الصالحة من الأثر القوي في اصلاح المجتمع وتقوم خلق البشر
حتى قيل : الأم هي المدرسة الأولى .

رحلته الى المشرق والهرب فيها :

ثم ان دولة الاصلام الذين ذكروهم المنوجم هم مشيخته الذين أخذ
عنهم بغلس في أول أمره وقد أخذ عن غيرهم بعد ذلك بها وبغيرها من
مدن المشرق والمغرب لأنه كان كثير التجول في البلاد الإسلامية وحج
وجاور بالندية الشوزة وأهم عصر زمان الخلافة والاستفساد فأخذ عن
أهلها الكبار وأخذ عن كثير من يشار اليه من أهلها ، ومن حتى من
شيوخه بن مطرية وأفارقة ومصريين غير من ذكر : العلامة السراج
الصغير وأحمد بن سعيد الجليل وأبو مهدي عيسى الخواصم وحمد الرحمن
الغساني وإبراهيم النازي والمذائي وحاولو الرضاخ والسقومي وابن زكري
السبائي والنسي ونور الدين السهري والمظفر السخاوي والديلمي
وأبو العباس ابن حنيفة سقزومي وشهاب الدين الألبطاني وعماد من مشايخ
الصوفية وأول هو عمدة في طريق السلوك .

وله ذكر ابن غازي في سيرته ان المترجم استجوز له بعض الحافظين
السخاوي والديلمي فأجازاه وحظك سنة ٥٨٥ هـ .

ومن فعل ان رحلته كانت علمية والله كان على صلة بأصدقائه وزملائه
في المغرب أثناء إكاتبهم وبمكتب العلاقات الأدبية بينهم وبين عالم
المشرق : وقد شملت الإجازة التي طلبها لابن غازي من حافظي مصر
والكويت ، غير ابن غازي من مشايخه وأقرانه كالأبي مهدي الخواصم
والأبي العباس البوسري وعمضي المروءة محمد بن محمد بن عيسى بن حلال

المصوحى : طأنا تبقي من نشاط محلي أكثر من هذا ؟

ولكن القوم الذين اصبتم بهم في عيانه وأنكسر عليهم كثيراً من
الأحجار التي لا يقرها المخرج أبوا إلا أن يصيروا رجلاه بصورة قائمة
ويخرجوه من المغرب في صفة طريد لا يقر له قرار إلى أن يتراجع عن
انكاره ويسلم قياده إلى رجل من أهل المنصرف في الغيب فيدخل في
جواره ويؤمن حينئذ على نفسه وذلك نص الحكاية على ما عند ابن صكر
في الدوحة قال :

« حدثني شيخنا أبو الحاج يوسف بن عيسى وغيره أن الشيخ
أبا العباس (يعني صاحب الترجمة) صاحب الشيخ أبا عبد الله محمد
الزيتوني ، وكان رجلاً أعشى ، وكان من رجال المنصرف فتدخل صاحب
الترجمة في غيبه وادعى فيها قسب لسيوف فكان من استجابه في ذلك أن
جاء : الرأى أنه فدى لباب عليه فسمع صوتاً يلاذن فتدخل امدار فلم يجد
أحدًا فصرخ إلى غرفة في أهل الدار فوجد الشيخ جالساً في وسط الغرفة
وهن يمينه امرأة متزوجة وعن يساره أخرى وهو يلتفت إلى هذه ويخبطها
ويقبل عليها ويرجع إلى الأخرى كذلك فذكر أبو العباس أن هذا الرجل
من الزنادقة وول واحدًا فناداه الشيخ الزيتوني : يا أحمد الكذاب ،
ارجع ، مرجع مسرعاً فلم يجد أحداً ، قسم أنه استجابه . فقال له الشيخ
الزيتوني : أما لي رأيت عن يميني لشيء لا أخشاه وأما لي عن يساري
فهي الدنيا ، وأنت كاذب في دعواك وكذلك لا تبقي في المغرب ساعة
واحدة ، فخرج الشيخ أبو العباس من حيزه وتوجه إلى المشرق مشفقاً
على نفسه لما اتفق له حتى انتهى إلى الديار المصرية فرجده أصحاب الشيخ
أحمد بن حقة الخضر في عظمونه على ضفة النيل لأن شيخهم المذكور
أمرهم بذلك وأخبرهم بقصوده فلما رأوا عليه ورجعوا به رجوه معهم ،
فما دخل على الشيخ ابن حقة وسلم عليه قال له : يا أحمد ، يا زنديق ،
ما جراك على الأنبياء العباد ؟ ربي لما خلق عليك من هذا ، فجعله

أن بيت منه وأمره يزوم المذكور فيعد الالة أيام جمع الشيخ ابن عقبة
 رجة عطلة وهو مع السجدة ، فساح لا الله ، ورفع يده ثم قال :
 قوما بنا إلى صاحبكم فقاموا إليه فوجدوا البيت الذي كان فيه أبو العباس
 قد صار ذكاً فقال ابن عقبة : احضروا على صاحبكم فحضروا عليه إلى
 أن وجدوه في زكن البيت وقد طاحت الخشب فطبت حبه فرفع عنه
 الزوم وقد أخطأ الله منه : فما أبصره الشيخ ابن عقبة قال له : الخيل
 قد الذي يصعدك منه ، يا أحمد : هذه آخر خطوبة الزينوني وقد غريبك
 غربة من أقصى المغرب فبلغها منك بيدي : وما هي مكسورة من
 غربة : وأخرجها من الحمة مكسورة ، ثم لزمه إلى أن انفصل عنه
 فقال له : يا أرحمني يا سيدي ، فقال له منشداً :

سلم الحسني ومر حيث عارت
 وانبع رباح القضا ومر حيث عارت

والد حكى هذه القصة غير ابن عسكروان فيها بعضهم أنه لما خرج
 من عند شيخ الزينوني الذي صبه شيعة اليهود فصار الناس يمشون ولا
 يرون طيلاً إلا يهرقوا حتى شلج له بعض أصحابه عند الشرج فطفا عنه بشرط
 أن يخرج من المغرب .

رد لقولاته :

ولم نرى في هذه الحكاية إلا تطهراً من قدر زروق لوصف
 لركان التلجيل الذي كان يحلوه ، ومن ثم كانت نهايتها (سلم الحسني)
 ولا قال رجل رجل نطلب قصم ولا نأخذ عن الشرح كما رجل ويرحل
 كثير غيره من علماء المغرب وطبقة واد استجاز الأمازيغ لفضله ولقبه

من مثاليته وأقرائه حتى ما سبقت الإشارة إليه : وقال ابن الجوزي : إن
 أناساً يصبر مدة واشتغل فيها بالعربية والحصول حتى الجوعى وقهره
 وأخذ الحديث عن البخاري ثم غلب عليه التصوف : فبأنه إلى التصوف
 متأخر من اشتغاله بالعلم حتى في عصر بعد رحلته ، ولو كان جاء إليها
 طريداً بالصفة التي ذكروها لما بقي له في الاشتغال بالعربية والحصول
 مؤرب ، ولا في استجادة مشايخ الحديث له والغيره من علماء المغرب
 مطلب ، وعلى كل حال قلنا لتزيد في هذه الحكاية فاعلم وهي أن
 كان لما أصل فهو ما يتوافق مع روح ذروق التسمية من الإنكار على
 أهل الدنيا والى الإطالة وتحكيم الأصول لها يعرض من أصول أهل الطريق ،
 وليس ذروقاً وقص له مع شيخه أزيد في خلاف من هذا القيل لفتح
 خيان الشطر من حوله هذه الفصحة .

وان مما يريتها بعضنا أن ذروقاً لم يراجع قسط عن إنكاره على
 المتبعين ولم يزد ولا حجة في محاجة البطلان ، ولقد عاد من رحلته
 هذه إلى فلس فكان أوز ما يثأر به مشايخه من أهل العلم الإنكار عليهم
 فيما يتناولونه من أسباب العيش ، ولو كان خرج من فلس بسبب الإنكار
 تلك الخرجة الشكرة وأرماء شيوخه مخضرمي في آخر ما لوصاه به ،
 بالتعليم لملي لكان حرياً أن يستكت وأن يفضي الصرف على القلي منها
 كان الأكر ، ولكن الأمر بالعكس فإن أرجح خرج ليمتلئ بالعلم والفقري
 في الذين لم ينكص على حقيقه في علم ولا على وجهه حكايته مع علماء
 فلس على ما عند ابن حنبل أيضاً وعنه رواها غيره قال : : حدثني
 النقيب القاضي أبو عبد الله الكراسي الأنصاري قال : : لما قدم الشيخ
 ذروق قانداً من بلاد الشرقية خرج لفتنهم إلى لقاءه قال : : كنت في
 جملة من خرج معهم للإسلامنا عليه وجامعت في خباته يسأل الفقهاء
 عن أسباب لغواتهم فقال بعضهم معظم لغوات من الأوقاف بالحجة حتى
 قبور الموتى : فقال الشيخ : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،

يعيشون من لحوم الموتي ؟ فأجبه فقفيه ابن الحبان بأن قال : يا سيدي
الحمد لله الذي جعلنا نقتلهم من لحوم الموتي وهي مسروقة عند الضرورة
لأن الشريعة ولم يجعلنا تقتص من لحوم الأحياء الممنوعة من كل وجه .
فصاح الشيخ مغضباً عليه . فخرجنا عنه وتركناه ككلك .

فكنت تراء كيف سألهم عن أسباب حبسهم أحياناً بالأصل الأصيل
في ملة الدين وهو أكل الحلال وما أُجبروا بإخراجهم بالإلحاح على ما
رضوا به من يعيش على الضعفات ثم ما أُجبروا وكان للجواب رجسه
من الشرع لم يترك أن أعلمته حال من الخطبة الهامة لنفسه على عادة
أهل الواحد من شقفي الصوفية ، وشكنا يكون زروق في كلا حالتيه ؟
حال الإنكار وحال التسليم . نوافها للشرح عادلاً يتشقى العم الذي جملته
الله به .

غضب العلماء والأولياء :

ومن ثم أطلع عليه علاناً رحمهم الله . غضب العلماء والأولياء ،
وهي صفة جليلة ضلعة لم يطغرها غيره من علماء الإسلام لا إيا قبله
ولا إيا بعده . وإثر المحسوب القاسم بالحسبة فذلك الوطائف الشرعي المعتر
للي يوم الحصد فيه وشمل كل الوطائف الشرعية حتى الخلافة العظمى
والنصوة : أليست مهمته هي الأمور بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ يقول
علاناً رحمهم الله إن المحسوب إذا مر بباب أكبر أو القاضى ووجد
الناس مجتمعين حولك يتظفرون بخروجه ، لأن حبه أن يدخل إليه ويخرجه
لأنه إن تركهم يتظفرون من المنكر ويخروجه عنهم من المعروف ، فيد
المحسوب أفن بسوطة على كل ذي منصب شرعي كبير شأنه أو صغير
علم أو حق ، ولا يد أعظم منها بهذا الاعتبار إلا بسد زروق في
بسطها علاناً هي سفرة الصفوة من أهل الإسلام باطلاقيهم حبه .

العلم والاكولياء ، وذلك لما رأوه متبعاً لأقوالهم ، وطماعهم وازناً لها بميزان
الشرع ليصبح منها ما صح ويصل ما بطل : ولما تحققوا من ربح
قدمه في النقد وجعلوا مقامه في التصوف من غير أن يخوف نفسه على
تصوفه ، فينكر المقامات والأحوال أو يطغى تصوفه على طقوسه فيعمل
الشعار والرموز .

رأي ابن عجيبة ومناقشته :

عل أن هذه التحلية لم ترق فيها يظهر بعض أئمة الصوفية ، فهذا
الشيخ أحمد بن عجيبة يقول في أول شرحه لفتاوى المصنف المشتهري :
« وقد سبق لي شرحه الشيخ العلامة الصوفي أبو العباس سيدي أحمد
زروق رضي الله عنه ، أقصر فيه على حل ألفاظها وبيان ما يدعاه ببعض
معانيها خير له لم يفتش في تيار بحر أسرارها على خواص أسرارها ولا
فحص مخامير أسرارها ولا دخل بعرائس ابتكارها ، وأمله شرحها قبل أن
يفتح عليه في أسرار الحقيقة ، قال شيخ صبرخا سيدي علي العمرواني
 رضي الله عنه يقول ما فتح عن الشيخ زروق إلا في التمر حمود
 حيث لم يؤلف شيئاً بعد الفتح والله أعلم ، وكعبه شاهدة بذلك إذ الكلام
وصف الشك من تكلم حرف من مباحته فهو في عموم الطريقة إمام ،
وأما في عموم الحقيقة وأسرار الأذواق فلم يش منها شيئاً لا في البحر
عمود كاد أن يخرج منها صقر الدين ، ولذلك كثر اختراجه على أهل
النسبة وظهر في كلامه التشديد والتضييق عليهم : ونفسه رأيه في نوم
كالبقعة نقلت له قد شددت على أهل النسبة في سقطة المريد ، قال : وما
قلت فيها أنقلت له قلت كنا ركنا وذكرنا لك بعض ما انتقد به عليهم
وما شدد . فيه فقال ذلك الذي يناسب مذهب مالك فقلت له الصوفي
الحقيقي لا يقلد بالكأ ولا لمجرد بل يأخذ الشريعة من أصلها والحقيقة من

معدنها يقال من بلغ هذا أو صاحب من بلغ هذا لا ينكلم معه، فقلت له
 والله لقد باغضه أصحابنا من بلغه فغضب علي : وكان بعض مشايخنا من
 الفقهاء يقول الشيخ زروق محض المروية. قلت الله يكون عجب مروية
 أهل الظاهر أهل لعبادة الظاهرة والشمس الظاهر أما أهل المروية وهم
 الذين فلا حجة له عليهم إذا لم يحط علما بما عندهم. ولقد سمعت شيخ
 مشايخ المروية في زمانه مولاي العربي المروقي الخليلي رضي الله عنه
 يقول الشيخ زروق عند أهل الظاهر شيء كبير وعند أهل المروية شيء
 صغير :

لا يعرف الشوق إلا من يكابد ولا العبادة إلا من يعانيها

درجات الأولياء كصفات الجنان الأعلى يعرف الأسفل دون العكس
 والله أعلم .

هذا كلام ابن عجيبة في زروق وزايد بخصوصي المذهب الذي أطلقه
 عليه العلماء : ونحن لا نخوض في الرد عليه ولا في إبطال ما ذهب إليه
 ونحط الكلمة لزروق فيه أولى بالتدليس عن نفسه . واليت ما قاله في
 هذا الصدد بكسر شرجه لحزب البحر في التبريد الرابع :

وقد أولع كثير من طغساء قوت علوم الأسرار ودقائق الأخلاق
 ورقائق كلام النجوم دون اعتناء بأحكام اليهودية وأخبار الربوبية فانصرفوا
 عن المراءاة ، وقرأوا موجبات أوداد وحاصل لهم التعريف في حين إهداء
 السلام ، ومنهم من أسرى فيه لهذا طهم الكلام فبطلت ذوقاً ودرعاً إهداء
 حالاً لنفسه فكان طموحاً ، فعن الصادق أن يشتم بمسا به كماله من
 انتظام والخلق مع الإعراض عن الأعراض ، قال ابن حنبل الله في الحكم
 (تشوقت إلى ما يعلن فيك من العيوب يحير من تشبهك إلى ما حجب
 حاك من العيوب) ، وقد قالوا: إذا نكلم المروية في مقام لم يباغض حاله حرم

مثله إذ صار فيه صاحب علم ثم لا يأنّ ضلاله به أو أن يشبه في بعض
ومرّده أن كان يأخذه من كلام الناس ، الخ .

حتى أن ابن عجيبة بكثرة ما يقل من كلام زروق في شرح التوبة
وضيعة ، يبرهن على أنه لا ينبغي له من الاختلاف من بحره : وإن ما
قله فيه إنما هو شطحة من شطحات اصدقية صدرت منه لما رأى شدة
انكار زروق على أهل الطريقة أو هو مدح لشرحه على مساجرت به
عادة المؤلفين من تنكيت المتأخر على المتقدم كما أن مالك في الفيتة :

فائدة الفية ابن مسط

لجاء أسير ملي بعده فقال :

فائدة الفية ابن مالك

والواقع أنه لم يكن لكلام ابن عجيبة أثر في الأوساط العقلية بالنسبة
لأحلاف هذا المذهب حتى زروق ، فإزاله حلالاتهم الله ، وجلهم
أن لم يقل كتبهم عن لهم بجروح إلى التصوف وتعلق بسبب منه ، يحلونه
بذلك التحلية ويصفونه بذلك الصفة ، وإنما قلنا أن جلهم أو كلهم ممن
ينسب إلى التصوف لأن المعروف من أهل القرن العاشر فن بعده أنهم
مالوا بكتبهم إلى سلوك الطريق ، ومن لم يقل منهم أن ذلك بالغالب
والغالب فلا بد من أن يظهر ههنا قليل : مشاركة عن نفسه ما صار
للطريق من الصوة والجد وعظم الغرور ، وهذا قل أن قام في العصور
المتأخرة نقلة صوري من طراز زروق حتى أنشج فجر النهضة الحديثة .
والمقصود أن هؤلاء العلماء المتصوفيين هم الذين لقبوا زروقا بمحسب
العلماء الأولياء - فلا يندرج في ذلك من شدّ عنهم .

وله تورك ابن عجيبة على زروق في شرح التوبة مرة أخرى عند
نقله مساحة من موائمه فقال : وإنما تصال التبع على الشيخ زروق نقلة
صحيحة لشيخ المتصوفين فقد قال عن نفسه أنه صاحب أولاد مائة أشهر

أو نجرد ثم انفصل عنه ثم رجع لزيارته فيضي منه نحو ثمانية أشهر فكان
المجموع من صحبته خمسة عشر شهراً أو نحوها ، قال وانقضت بها
انقضاء لا يخفى له . قلت هذه المدة لا تبلغ المريد عن طبعه بالكلية ولا
تخرجه عن علمه وعقله لا سيما وقد كان متغافلاً في العلوم الغريبة
والغنية فلا يسلخه عنها إلا طول الصحبة بالصدق والتخلة والتجرد التام
كما هو مجرب في شأن أشاهة وقد كان شيخه يكاتبه بشيء من الخلق
لم يفتأ أبداً لا تؤخذ بمجرد العلم وإنما تؤخذ بالمرادية مع نخبة
الصدق والمصدق ، وأعلم أن كثيراً من العلماء صحبوا الشيخ العارفين
ولم يأتوا من حقائقهم شيئاً لأنهم كانوا يصحبونهم على نظر نفوسهم لا
على نظر الشيخ فإذا أروهم بشيء أو أروهم حسن شيء وزوه بميزان
(طريقتهم) قد وافق نظرهم قبلوه وما خالفه ردوه فصاروا مع أنفسهم
ولم يفرقوا في بحر السرورهم والله أعلم .

انتهى كلام ابن عجيبة ، وبه تعامل كثير على ذروق وحمل علماء
الاسلام بسلة وهو كلام لم يحتم بسلة والله أعلم بكون فيه ذلك عظيم
على قتله ، وبهذا منه الآن ما يتفق بذروق فقد زعم أنه حصل عليه
الفتح أخذاً من السحرة التي أروها له وهي كما نأثروا في أعقاب زرجته
أما تلك على اليهود التي سلط ذروق في الوصول إلى المعرفة ولا خلافة
ما مطلقاً على ما قبعة منها ابن عجيبة ، وتعليله لتأخر الفتح بقلعة مدة
الصحبة ليس بحاجة منهم : ففسد جهلناهم يقرأون أن كلاماً من من
فلان بمجرد لذة لصبر أو بطيرة واحدة ، وكثيراً ما يمشون خلف من
جاء بفيلة ممددة دعماً لآفتيس من المصباح وأشرف نوره في الخلال وكثيراً
المتغافل في العلوم الغريبة والغريبة عظمة في عارفين الفصح هو مما يخفى فيه
نظرنا مع ابن عجيبة وأشاهة من يقولون بهذا القول : طعن لا نرى
فتحاً حقيقياً حصل أو يحصل لأحد إلا مع هذا التغافل في العلوم، وإليك
المثال في أعقاب التصوفية أنفسهم كاذبيلاني والحافني وابن الفارسي وابن سبكي

وغيرهم ممن لم يشتهر أمرهم في هذا الشأن حتى رشح قدامهم في العلوم ،
وإن حجية نفسه لو لم يكن ذا باع ملتبس في العلوم ما أدرك ما أدرك
من هذا المقام .

وقد كان إزدوق ذا حماسة مرعقة ولذوق لكلام القوم يشهد به
تزيده بالصوم والعبادة ما فيها من مأخول ومتركة ملحوظ واعتداله بالجواهر
دون الأعراض فضلاً عن ورثه للخواطر بميزان الشرع وأخذها بالخطبة
في بيان القول والعمل وإثبات أحواله حتى ذلك تمككه من الصوم والعبادة والفضيلة
ومساوكة الطريق سلوك الحذر اليقظ الذي أخذ الأمانة أكل طريقه واستعد
لكل ما يحتاجه ، فلم يكن وحيداً لمحنة من ظن وتخير : بل عن
طريق المعرفة واليقين والعصري أن هذا هو الفتح المبين .

لئن يكن المهدي من بان عليه أئمة وإلا فاضى ذاهباً المهدي

عن أخذ عنه من الشايخ وتلقاه العلماء عليه :

ويعد هذا لا يرى داعياً للتكرار ما كان لزوق ومسا لا يزال له من
مقام كبير بين طوائف الصوفية وخاصة الكاذبة منهم فقد أقامه الجميع
مقام الحكم الذي ترضى حكمته وأقروا له بالإمامة وأئروا عليه التسمية
العالم وتداولوا جهده وتفقوا كلامه بالقبول ورووا وطبقته وبما كلفها
الذكر لزوق كبير عن كبير ، وهذا فضلاً عن مشايخ العلماء وكبار
الطهارة الذين أخذوا عنه بالشرق والغرب .

فمنهم الإمام الغضالائي والخطاب الكبير والحارثي الصغير وخمس الدين
ومناصر الدين الشافعيان ودين الدين القسطنطيني تريس مكة والشيخ جد
الوهاب الشمراني والعارف أبو الحسن البكري وهما من عهد أهل التصوف
وغيرهم ، وذكره وارد في سند الطريق في مرآة المحسن وغيره .

وذكر صاحب طبقات الشاذلية المعية بجامع الكرامات انه لما قدم مصر وصحت بقدره العناء والفضلاء من أهلها رفقوا به ، وحملوا بين يديه ، وكان يحضر درسه في الأزهر الشريف زهاء مئة آلاف نفس من مصر والقاهرة وأحوازها وتولى إمامة المالكية وصار استاذ رفاقهم ونصبوا له كرسيًا على الأركان بنوع الاتقان صار يجلس عليه ثلاثة : قال : وهذا الكرسي موجود الى وقتنا هذا يروى السادة المغاربة بالأزهر الشريف ، وكانت له صولة ودولة عند علماء المصريين والقبول الثام عند الخاص منهم وأمام .

ولعل هذا في غير القصة الأولى التي تسبقها الى مصر وكان فيها لا يزال بعدد الأعداء من أهلها : يترك عليه قول السخاوي في القصة الأولى بعد ان ذكر نشأته وقراءته بقصر ، (وارتحل الى الشينار المصرية فبيع وجاور بالمدينة وأقام بالقاهرة نحو سنة مدعى بالاشتغال ، وقرأ على بارخ المرام وبحث على في الاصطلاح بقراءته ولأزماني في التباء وأفاضني جماعة من أهل بلاده والغالب عليه التصوف ، وقد تهرء ومناج وورد له دعوة بتكليفه المأمور ثم تكسر دخوله اليها ولفظي بمكة في سنة أربع وتسعين وصال له اتباع وشيوخ وكتب على حكم ابن حزم الله (الخ .

وفي شذرات الذهب قال المازني في طبقاته وهو يعني زروقاً : (عابده من بحر البحر بطرف وعلم بالولاية متصف التحلي بفرد القناعة واعفاف : يرجع في معرفة نفسه والتصرف والأصول والمخالف : خطبة الدنيا فخطب مواها ، وعرضت عليه المناصب فردتها وأباحتها) : وهذا مما يروى ما قاله صاحب طبقات الشاذلية كما كان له في مصر من توفد رجاء عند نجاحها وحاميتها .

استقراره أخيراً في طرابلس لغرب ووفاته بها :

ثم أنه زهد في ذلك كله ورحل إلى قطر طرابلس واستقر منه بمصراته
بجهة تبركان منها حتى مات : قال ابن خليون في تاريخه : وكان استوطنها
والخوط في ملك أهلها وتزوج بها من أولاد الشيخ الجعافرة وولد له
منها ريتا بعد موته ثم خلفوا به ، وليس له بها نسل ومقامه مشهور :
وكان يخدمه وأوقفه قوم من أهل سرت كانوا في سالف الزمن ضم
نسله بالملاحين ونشأ من بعدهم خاف أفعالهم الصلاة والعبادة
الشهوات .. الخ .

وقد زار الشيخ أبو سالم العوالي مقام المرحوم في طريقه إلى الحج
وتحدث عن ذلك في رحته بقوله : ومن الغد ارتحلنا ولزنا بزاوية
الشيخ المحقق العالم العلامة المرفق بالله إقبال علي الله صاحب العلمين
وعقبت الطريق ومحمل المذهبين ومرغبي الفريقين فقلبي أهل العلم الهائلين
بمتبوع أهل الظاهر وبتبوع الأسرار في سائر الظاهر قطب مغربنا وإمام
المعتمد سيدي أبي العباس أحمد بن أحمد زروق البرنسي القاسمي حفي الله
عليه نسبتنا ومخلص في عينه سريتنا آمين ، وكان نزولنا بإحدى مسجده
يوم الجمعة وزرنا قبر الشيخ بمسا اقتضاه الوقت من أدب ورفار وذلك
والكسار وحسين الجمعة بالمسجد الجليل وهو الذي كان يصلي فيه الشيخ
وخطب أمام المسجد من ورقة وفيه أحسن القراءة منها فإنه كان يقف
حتى في آيات من القرآن العظيم وأصغرت لذلك المكان مع شرفه بجوار
الشيخ وكونه واسطة البلد كيف يستد الأمر فيه إلى غير أهله : ويوضع
في غير محله وقد الأمر من قبل ومن بعد .

ثم ذكر البياضي بعد ذلك ما يفيد أن الشيخ رحمه الله لم يكن عرو
باني الزاوية علي ما أخبره به فيسألها أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن
عبد الشيخ قال :

(لطيفة) وقد أخبرني سيدي أبو العباس المذكور أن جده الأعلى سيدي أحمد الذي كان خديم الشيخ قال للشيخ في حياته : ألا نبي عننا زوية وننخذها أوقفاً ؟ فقال له يا أحمد نحن لا نخرج راحة عنكم إلا بعنا نفوس تحت التراب ، ثم بعد موته وكثرة الواردين والزوارين وانتشار عيشته في مشارق الأرض ومغاربها إلى تلميذته المذكور أصبحت ببناء قبره وسكن عيشته بعد موته بعشرين سنة .

قلت وهذا هو اللحن يعلم الشيخ رحمة ونعمته بالسنة قولاً وفعلًا وانتقاداً لرحمة الله ورضي عنه وجزاه عن ابنته والخليل الخيال الأولي .

وكانت وفاته سنة ٨٩٩ في صفر .

تراثه المادي والأدبي :

وذكر أعياني أيضاً أنه وقف على ورقة فيها زمام تركته الشيخ وعدد ورثته فذاقها باللفظ قال : لما اشعلت عليه من القوائد ، منها المتفادى عدد أولاده وأبن استوطنوا بعده فبقي ثم أبجد ذلك بعد الفحص الشديد عنه : ومنها الثأني به في قلة ما خلفه من الدنيا مع كون ذاك أولاد ونساء في بلد يشرق فيها البشر ولا يعوزهم طمس أو شدة لانتشار عيشته وخلعة الدنيا وأهلها له ربح ذلك لم يخلف إلا ما سقوا : . وخلاصة ما في هذه الورقة أنه توفي عن زوجتين وأربعة أولاد كل منهم يسمى أحد ويتميز بكتابة ريش وأحمد سمها عائشة وخلف نصف فارس وكانت شركة مع البحر وبنساً أبيض وجبنة صوف وثوباً آخر ومبحة كانت تشبه الخضري وأربعة عشر سفرًا وكفاشة الخ فنظروا أن شئت لي الراحة العباسية .

حاشا هو تراث زروني المادي فليخجل عند ذكره كل شيخ يزعم
 التصوف وهو أفتى من قاريون ، أما لرائه الأدبي فجموعة من الكتب
 في اللغة والتصوف مؤسسة الفوائد حمزة المقاصد يميل فيها إلى الاختصار
 لكن من ألفي فصول القول ، ويأتي فيها بالباب من العلم الذي يتناوله
 لأنه كان أنصح من أن يشغل قارئه بالتشويق وليس بقوله إلا حديثاً متصفاً
 في الدين أو موبداً متوقفاً في مقامات الشوق ولا تحقق بالصحيح منها ،
 وأما حقائق هذه السلسلة الدمية قيل أن تأتي بطلونات منها تفر عين
 الناظرين وليس الشيخ أحمد بابا في نيل الأبراج كان أحسن لوقاته من
 غيره فلننشد قوله في هذا الصدد ونص : « وأما تأليفه فكثيرة يمين
 عليها أن الاختصار مع التحرير ولا يتخو شي ، منها عن فوائد غريبة
 وتحقيقات مفيدة لا سيما في التصوف فقد انفرد بمعرفة وجوده لطيف
 فيه ، فيها شرحان على الرمالة وشرح إلهاد ابن حنكر وشرح مختصر
 خطيبيل وشرح الرغيبية وشرح القرطبية وشرح الملاحية وشرح العقيدة
 القدمية للغزالي وليف وحشرون شرحاً على الحكم وشرحان عمل حزب
 البحر وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشافعي وشرح مشكلاته وشرح
 الحقائق المحفري وشرح قطع المشتري وشرح الأسماء الحسنى وشرح المراميد
 في التصوف لشيخ ابن عطاء والنصيحة الكافية لمن حصده الله بالعافية
 ومختصره وإعانة المتوجه للمسكين على طريق الفتح والتمكين وكتاب القواعد
 في التصوف وهذه الثلاثة في غاية النيل والحسن ، لا سيما الأخير منها
 لا نظير له : وكتاب النصيح الأتبع والجنة : للمصنف من البدع بالمتة
 وكتاب عدة المريد لصاحب من أبواب الفتى : في بيان الطريق وذكر
 حوادث الوقت ، كتاب جليل فيه مائة فصل بين فيه البدع التي يخطئها
 لقراء الصوفية ، وله تعليق على البحاري فهو عشرين كراسة يقتصر فيه
 على نهج الألفاظ وتفسيرها : وجزء صغير في علم الحديث : وله
 رسائل كثيرة لأصحابه مشتملة على حكم وبراهن وآداب ونفائذ التصوف

مع الاختصار في أن توجد غيره ، وباجملة فقلده فوق ما يذكر ومن
تخرج لذكر حجة وفوائده وحكمه ومبادئه جميع منها مجملة .. وهو آخر
أداة لفظة الحق في الجاهل العلمي الحقيقة والخبرية .

وبما أن ما ذكره كذا في شيء من أحفل كتبه بالخوائد التاريخية
وتحقيق ما ينقل عبد الشرح أحد بابا نفسه وغيره وتقدم ذكرها في زمان
تركته . وله فهرست ذكرها ابن الخاضي في ترجمته من فرة المجال
وله أيضا ما وثقت عليه ولم يذكره رسالة الأصول الشيعية والخواص
أولها ، ورسالة في أصول الفروع نظمها الشيخ أبو عبد الله العياشي وشرحها
محمد الخروسي ، ونظم فصول العلمي في غيوب النفس ، وشرح للباحث
الأصالة ، وكتب له بسم في علاج أدواء القلب . إن غير ذلك .

كتبه عدة المرید والهيئة العظيمة :

وكتبه وإن كانت كلها عمرة مفيدة إلا أن عيونها هي الثلاثة التي
ذكرها صاحب زين الانتهاج ويزاد عليها كتب عدة لمرید الذي لا نظير
له في انتفاع من التصوف والقطع في وجود ادعيائه بالحق والبرهان ،
وهو في نظرها عبد الحساب وليس وليس ذين الجزوي وربما فاقه
لاستقامته هذا العلم والكتابة صاحبه صفة الخصومة أنفسهم فلا يمكن أن
يتحوا فيه بما يشعرون به في فليس وليس وانظر ما قاله لبيبي في
المحاضرات بهذه الذكر عن أهل الوقت فانه لم يبرز إلا التوسع في
العلم والعمل والانصاف كغيرهما وهذا نص كتابه مختصراً :

و لما استفاض أهل الزمان على ما مر ولا شك انه لا يحرم في
لا يفعل في التوبة للحرمة حيث لا يكون لبيبي ... نعم ذكر ما يقع
منهم من الماكر والتعويض بقصد الاشتراك مع الانصاف كما فعل

أبو العباس زودني رضي الله عنه في النسخ الأتبع وفي عدة الحرية فالحق
مفيد غير أنه يجب منتظر إلى تحقيق المدارك والاضلع في العلوم وتجربة
تامة ، الحج . وتاميك بها من مثل اليومي .

وذا نحن أولاً نعرض من كتبه المذكور بعض الفصول التعريف
بقيته ولتتم التعريف بآلافه أسبأ ، وقد صنوه بكلمته لبيان لغرض
من تأليف هذا نصها :

« ليتم النظر في هذا الكتاب ، انماثل ما فيه من حق ووصواب ،
انما لم قصد به الطعن على الناس ولا القدح فيهم : ولا الاشغال بسايرهم
ولا اظهار عيوبهم ، ولا ارضا الاستظهار بالثبوت عليهم ، وإنما قصدنا به
المجالد من الوقوع فيها حذراً منه ، والتحرير ما فيها عليه ، ليكون
حدة لصادق في دينه : وامانة لمحقق في يقينه : ورحمة للمسكين في
حاله ، فمن قصده لشيء مما قصدناه به فانه المسؤول في اعائه ونفعه ،
ومن قصده لغير ذلك فانه المستعان على تلافه ومنعه : وان يصي عنه
من يريد به هلك استار الناس ويريد به اظهار المص والافتقار ، ومن
قصده لذلك فانه حسيبه وسائمه ويحوي الانتقام منه لأن من تتبع عورة
أخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه ويؤ في جوف بيته ، ولو آمن بالنفس
المخاف والمناق يتبع العيوب واقع في عرن العهد ما دام العبد في حزن
لنفسه . ويعلم الله لولا الشفقة على الاخوان الصادقين ما كتبت من حرق مع
ما اخذ على من علم شيئاً أن يبين ولا يمكنه ، وما ورد من الرعيد في
مكوت اعلم عند ظهور البدع مع ما انضم إلى ذلك من أعصاب خاصة
وعامة ، وحصل الله المتعت في عموم النفع به وان يجعله رحمة وبركة
حيث ما حل .

ثم أرغب لمن يحبه أن يكتب هذه القصة في حسن نسخه كبرا من
جهل الجاهلین وعلى الله نوابه .

وإنما بحاجة إلى التنبه على ما يفيض به هذا المصدر من روح
الإنصاف والنصيحة والأخلاص ، فثلك شبهة زروق التي عرفت بها في
كتبه وأبحاثه وآرائه بدمية ، وذلك الآن انحصر الأول من الكتب وهو في
تحقيق معنى البدعة وتقسيمها لأن :

حقيقة البدعة :

« (فصل) في حقيقة البدعة وخوارصها وأحكامها : أما حقيقة
البدعة فشرعاً أحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه سواء كان
بالصورة أو بالحقيقة اقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحدث في
أمرنا هذا ما ليس منه فهو رده وقواه عليه السلام دكل محدثة بدعة كما
تقدم ، وقد بنى العلماء رضي الله عنهم أن المعنى في الحديثين المذكورين
راجع لتغيير الحكم باعتقاده ما ليس بقربة قريبة لا مطلق الأحداث إذ قد
تشابه الشرعة بأحدها فيكون راجعاً لها أو بفروعها فيكون مقيماً
عليها قالوا : ويجب هذا فلا تكون البدعة إلا محرمة أو مكروهة لأنها
إن حوت شبهتها لا يصح أن يبلغ بها التحريم وإن تسبقت شبهتها جداً
كانت محرمة لا مباحة إن كانت في مقابلة منصوص عن الشارع أو مخالفة
لأصل الملة أو خارجة عن قواعد الأحكام الشرعية ، قالوا المحققون :
ولما قسمها بعضهم لأقسام الشريعة اعتباراً بمطلق الأحداث ومن حيث
الغنة ومنه قول عمر رضي الله عنه في شأن الترويع : نعمت البدعة هذه
فماها بدعة من حيث ضرورة البتة وإلا فهي سنة يفعل النبي صلى الله
عليه وسلم في ثلاث ليل من رمضان في حياته : ثابت أقامتها بقوله
عليه السلام : إني خشيت أن يفرض عليكم : فيه حين الغنة ليظهر
بشيت الحكم عند ارتضاعها كما أئنه عمر رضي الله عنه بإجماع من استجابة
في قبوله فإن قات كيف تكون البسنة المكروهة لعلالة مع أن المكروه

من قيل الجائر الذي صلى لله عليه وسلم قد حكم على كل بدعة بأنها ضلالة + قلت الكراهة مصروفة للعمل بها : واحداً لها حرام لكنه انقياس على الشارح وتقدم بين يديه وتغير الأحكامه مع وجود شبهة منه .
ثم من خواص البدعة ثلاثة :

أولها أنها لا توجد غالباً إلا مقررة بحرم صريح أو آية إليه :
أو يكون تبعاً لها . ومن ثمل ذلك وجهه في كل ما قيل فإنه لا ينحرم بحال كذا فيه عليه ان شاء الله تعالى .

الثاني أنها لا توجد غالباً إلا في الأمور المستغربة غير المألوفة في الدين وهي في الكيفيات من السنوات وتوايح الأحوال وما قبل اليه النفس وتشمسه كذلك كسر الصلاة والصوم بما يخلون عليها من الكيفيات ونحوها والمذكور ونحو ذلك - فإما

الثالث أنها لا توجد غالباً إلا مستندة لوجه من التشريعية أو معنى من الحقيقة يلتبس على قليل العلم فيتجهز أو يسلم ويدرج على الجاهل فيظنه شيئاً قبيحاً من حيث لا يعلم . وما غره في ذلك ولا شبهة الأصل وتسليم من يحقق فيه العلم والفصل . ولكن لكل شيء ميزان يظهر به الحق من الباطل يعرفه العلم ويغيب الجاهل فيكون ضلالاً بفعله مضالاً بدهوى الخلق إليه غير معلوم في أمره لعدم تبصره إذ الدين مبني على التبصر . وبالله التوفيق .

ولا يخفى تحوير هذا الفصل وأنه على اختصاره جميع بين تحقيق النظر في معنى البدعة وتقسيمها الصحيح إلى قسميها الطبيعيين الحرام والكراهة ولم يجر اصطلاح الفقهاء في عصره على تقسيمها إلى أقسام الحكم الشرعي الخمسة . وإن بين وجهة نظرهم في ذلك التقسيم ودلله ثم عرض لما يفرهم من أن البدعة المأثورة لا يخرج فيها بين أن الكراهة إنما تتعلق بالعمل

بها وما أصل لحياتها لحرام وبذلك حسم المادة في أمر الابتذال وأغلق الباب في وجه المبتدئين ومن ثم نخلص إلى الكلام على خواص البدهة بما لم يدع في أمرها اشتباهاً. وهكذا حرر هذا الفصل تحرير الجوهري وتركزه تركيزاً موجهاً بحيث جميع لأرضي .

وهناك فصلاً آخر بين فيه الأسباب التي تنحو إلى الابتذال وخاصة في الطريق وهو نظير سابقه تحريراً وتركيزاً : قال :

الابتذال وأعباءه :

(: أصل) في أصل ظهور مدعي التصوف في هذا الزمن بالبدع والابتذال ليس لهم عليها ، لأنما ظهورهم بالبدع فله أصول ثلاثة :

أولها نقص الإيمان لعدم العلم بحقيقة الشريعة وقد نور الإيمان الخادي إلى اتباع الرسول عليه السلام قال الله تعالى : « وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وقال أحمد بن حنبل رحمه الله عن أبيه الدليل لأبي والطريق واضح والظاهر قد أجمع فما فتنهم بعد هذا إلا من أعياهم وقال ابن حنبل رحمه الله رضي الله عنه في حكاية لا يخاف عليك إن علبس لطريق عليك وإنما يخاف عليك من غلبت أخرى عليك وقال أيضاً : « يمكن حلاوة أخرى من القاب هو الماء العليل قال بعضهم تحت الجبال بالأنظار أسير من زوال الهوى إذا تمكن قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلله الله عسل علم الآيات ونوره تعالى فمن يهده من بعد الله يعني أن الحيل والأسباب لا تفيد في هدايته يمكن الباطل من نفسه ولقد كان نور الإيمان من قلبه لو من لم يحسن الله نور فانه من نور » .

الثاني الخلق بأصول الطريقة واعتقاد أن الشريعة خلاف الحقيقة وهذا

هو الأصل فكبير في ذلك وهو من مبادئ الزندقة ومنه خرجت الطوائف كلها وصار الفروع والجماد لا يتوافق في سب الصوفية ، والمتصرف لا يتوافق في انفراد من العلم وأمله ويخالف ظاهر الشريعة في أمره ويرى ذلك كمالاً في علمه حتى لقد سمعت من بعض من تقفر من طلبه الوقت انه سمع حكاية من حكايات الخارجين أوجبت أثراً في الوجود فتعلق فاصم زندقته وجهله بأن قال ظاهر الشريعة حرمان ، وهذا والعياذ بالله كفر والبلال انجر له من جهاه بالطريقة واعتقاده الفرق بين الشريعة والحقيقة وهذا هو الأصل الذي ينبغي عليه المارتون أصولهم واستطاعت الطوائف بأعمال خارجة عن الدين وأحوال موافقة للواقع لحمل الصانع على الكاذب والمصيب على الخائب ، ووقع الكل في جهالات لا يمكن تفصيلها ولا ينضبط تأصيلها. ودلح ذلك لا يكون الا بتقرير أصول العلوم ومنفرد له فصلاً بعد ان شاء الله .

الثالث حب الرئاسة والظهور مع الضعف عن أسبابها وانقصور فيضطرم ذلك لأحداث أمور تستعمل القلوب لكونها مجهولة على استحصان الغريب مع جهلها بما يشين ويريب وحرضها على الخير وظهور هذا الشخص بصورة ذلك وحقائق منه مع ما يجري على يديه من خوارق شيطانية أو يلعو لأبيد من لغة قسابة أو يدركه من أخواق طبيعة يظنها فتوحات وأسباب وحسن لينتد لها الفروع والأصول مع ما يعينه على ذلك من احتراز الأمور للأثولة واعتقاده ان المقام العجيب لا يدرك الا بالأسر الغريب، وان العجدة في صورها ووجوهها لا تحيد التقصود الا بإضافة أمر فيها فتقار ذلك عند ظهوره ويصل به فيجتهد الأمر له بذلك وينشئ عليه بما ظهر له من ذلك وما هو الا الجهل والانقياد لوجه وعلم القبت والفهم نال الله السلامة منه وكرمه .

وأيه في الهندي المستظر :

وقله جبل من فصول بينه^١ بين نظره في أشياء مما ضلت فيه أروء
النوم ، فمن ذلك لونه في الهندي المستظر :

و هذا مع أن كثيراً من النجباء يقولون بأن الفاضلي قد انقضى زمانه
وانه عمر بن عبد العزيز أو غيره على اختلافهم في ذلك ، ولكن إن
الأمر فيه مبهم وإن الاشتغال به مما لا ينبغي لأشباه الأمر واضطرابه مع
عدم الاضطراب فيه ، وهب أنه نزل بباب المدينة التي أنت فيها ليس
في عنقك بعة أبهرها فلا يعل لك المخرج إليه لما في رقبته من حق
شريك ، هذا إن تحقق لنا ذلك ولأمر متروك أصحته في أنه غير
متحقق التأخير في وقوعه .

الفقيه والصوفي :

ومن لونه فيه ، في عهده الفقه من التصوف : وقالوا وما مثل الفقيه
إلا كجواب الملك والصوفي الملقى صاحب سر إذا حدث الصوفي عن
عباد بيت الله فاحي فيه الفقيه أنه كنت سارق أو كذاب أو متجاسر
لأن أنى بأمره من الملك والأفحجة أبواب عليه قائمة وانكاره بسعيه
فإن لم يصح انكسار الفقيه على الصوفي ولم يصح انكار الصوفي عليه
فأعترف ذلك .

وأيه في كتب الخافي ومشاكلها :

ومن قوله في كتب الخافي ومن عن مشاكله في أعداد الفصول من

« فاما كتب اخواني وابن مبرين وابن الخزفي وأبي العباس البوني ومن جرى مجراهم قضا رجال ، لهم في الخزان مجال ، وعندهم في التعبير مقال : فلا يلتفت بها في البداية الا غوي ولا في النهاية الا غلي ولا في الوسط الا ذكي يأخذ بما يك رشده يعلم ما وراء ذلك ليس من آفاته وما هو الا كما قيل :

من تحلى بحيلة ليس فيه فتبطلت شواهد الاستدلال

أخذنا الله من البلاء بمنه : .

أحزاب ابن سبعين ودعوات البوني :

ويشهد قوله في أحزاب ابن سبعين ودعوات البوني في أحد فصول الكتب ونصه :

« (وهو) في أمر أوقع بها بعض الناس وفيها مضمحل ما، منها أحزاب الشيخ أبي محمد عبد الحق بن سبعين وهي شتوية أصل حقائق وعقائق وأمر عالية بمباراة لائقة وشفائق عظيمة بعضها في الأفعال وبعضها خارج عنه ، فذلك وجب على مقدمه اتفاقها وكان التصام فيها أولى من العمل بها الا حزب اسلامه ربه ما فيه لعدول عن الأخلاق الشرعية الى حركات أخرى لا تؤدي ما قصد بها ان لم يكن الايقاع في النفس ، وباجتماع ذلك وقع له بحسب حاله ومقامه . ونحن لا نأخذ إلا ما جمع التعريفية والأدب والتأثير لا غير ذلك طافهم . ومنها دعوات البوني وأقسامه المروية على السماعات وغيرها ، وقد نهي العلماء على ان ذلك بدعة مكروهة ويعتدون بعدم بد لأنها غير من الجهال فلا حديث عليه وهو ممنوع منه بكل حال . »

كتب الصلوات المداونة :

ومن هذه القليل قوله في كتب الصلوات المعروفة من طهال التمر :
 • ومن ذلك لصنف بعض الناس في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
 بكيفيات يعتمدونها رأيت فيها بالفاظ مستطربة وأنواع متخيلة تألفها نفوس
 العوام وتتحرك بها نفوس الخلق لتصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في
 الجملة : والأولى بأهل التوجه الاقتصاص على الألفاظ الواردة عنه صلى
 الله عليه وسلم فإن التغير كله في الألفاظ والمفرد الكامل في التثنية بالتحافه
 عليه الصلاة والسلام فلا تعديل بها شيئاً ولو نكثنا فقليلها كبر وسعد
 كبير .

لصيحة لأبياته :

وأخيراً استمع إليه فيه وهو يحلر التماسه من الاقتداء به في أمور دينها
 صدرت منه عن غير تعدد ولا أسرار ، ولكن التبعه التي جعلها
 هجرته وعظم النفس التي هو دينه أمياً عليه هذه الجملة :

• وما زلت أحمز الأصحاب من الاقتداء بي في غنى أمور :

أحدها - العمل بالمواع والتبحة في حيوتهم .

الثاني - التوسع في الأكل حقة ومقدراً فإن ذلك إساءة أدب .

الثالث - مخالطة كل أحد ومهبطه وذلك هينة وقتة مريضة .

الرابع - كثرة المزاج والأنساض والتوسع في الكلام لأنه يجر إلى
 الشر والنفس .

الخامس - النظر في كتب الرقائق والعمل عليها دون غيرها .

لاني لا لعل ذلك واقع عن روي ولا اختيار وما كتبت المحذرات
ها هذا إلا لكيلا أجهل حجة فيه ويبلغ القوفين .

هذه الأصول والنقول من كتاب عدة المريد تخفك على فهمه وتعرف
منها آراء زروق في المسائل الصوفية الحقيقية ، وهي آراء موزونة بميزان
الشرع ترد على المنصوف الاسلامي اختياره وتعود به مبركة الأول التي
كان عليها في عهد اجناد وعلقت من اصوله الأختيار .

آرايه وأكواله في السلوك والطريق من كتابه القواعد :

وقد استوفى كتابه قواعد التصوف التي بعد حجة في هذا الباب على
كثير من هذه الآراء التي نطن انه مجرد من كتابه الأول وأوردني في
القواعد كما استوفى على حقائق أخرى لها أهمية كبيرة في الموضوع :
وتحسب لفائدة تورد بعضها هنا في ذلك قوله :

لا يصح الكلو الصوفي على الفقيه :

« فاعلم » قلت حكم عام في العدم لأن مقصوده إمامه رسم فسين
وربط منه واضلار كالمته ، وحكم التصوف خاص في الخصوص لأن
معاملة بين العبد وربه من غير زائل عن ذلك . فمن لم يصح انكار الفقه
على الصوفي ولا يصح انكار الصوفي عن الفقيه ولم الرجوع من التصوف
إلى الفقه والاكتفاء به دونه ، ولم يكف التصوف عن الفقه بل لا يصح
دونه ولا يجوز الرجوع منه إليه إلا به وإن كان أحمل منه رتبة فهو
أهم وأعم منه مصلحة ولذلك قيل كن لها صوفياً ولا تكن صوفياً
فهيلاً - وصوفي الفقهاء أكمل من فقيه الصوفية وأسلم لأن صوفي الفقه
قد نكس التصوف حالاً وعملاً وفوقاً بخلاف فقيه الصوفية المتكبر من

عمله وحاله ولا يتم له ذلك إلا بفعله صحيح وفوق صريح لا يصح له
 أحدهما دون الآخر كالسب الذي لا يكفي حله عن التعزيرة ولا
 العكس فانهم : .

تحديد ما لم يرد في الشرع بدعة :

ومنه قوله : « قاعدة » تحديد ما لم يرد في الشرع تحديده ابتداء في
 الدين لا سيما ان عرض أصلاً شرحاً كتصيام يوم لفوات ورد ليسه
 الذي لم يجعل له الشارع كفارة إلا الايمان به قبل صلاة الصبح أو زوال
 اليوم وكذا قراءة الفاتحة قبل الصلاة ونوحيات ورد الصلاة ونحوه مما لم
 يرد من الشرع نص فيه لا ما ورد فيه نص أو إشارة لصلاة الرواتب
 واذكار ما بعد الصلاة وقراءة القرآن وصيام النفل ونحوه - فانهم : .

الشفاعة والوسيلة :

رث قوله : « وسيله » لا يتضح منه انه أحد ولا يردنه وتسه أمر
 بإهداء الوسيلة إليه قيل هي لا إله إلا الله وقيل اتباع رسول الله وجيل
 اتباع في المصوم ليتوسل بالأعمال كأصحاب الغر الذين دعا أحدهم بالفضل
 عمله وبالأشخاص كتوسل صبر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه
 في استشفائه وجاء الترغيب في دعاء المراء لأخيه مطلقاً وقال عليه السلام
 لصبر رضي الله عنه حين ذهب لعمرة له شركنا في دعائك يا أخي
 وذلك لتعليم وإلا فهو حبه السلام ومهابة الوسائل وأساس الخيرات والفضائل .
 وقد روي عن مالك لا يتوسل بمخلوق أصلاً وقيل إلا برسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهذا كما قال أبو بكر بن العربي في زيارة القابر : لا يزال
 يتوسل به إلا قبره عليه السلام .

انما تعلم بالعلم :

وقوله منه : « (قاعدة) لا علم الا بفهم عن الشارح أو من فاه
منابه لما أتى به فقال عليه السلام انما تعلم بالعلم وانما العلم بالتعلم ومن
طلب الخير إله ومن يتق الشر يرفقه ، وما تفهده الشورى انما هو فهم
يرافق الأصول ويشرح المنصور ويوسع العقول ثم هو مقسم لما يدخل
تحت دائرة الأحكام وما لا يدخل تحت دائرة العبارة وان كان مما
تناوله الإشارة ومنه ما لا يفهمه الضمائر وان أشارت إليه الخطائق مع
وضوحه عند مشاهدته وتكليفه عند متلقفه وقولنا فيه فهم لا يثبت أصله
لا غير لما عرفت ما أشرنا إليه رباعه التوفيق . »

شذرات من شرحه للمباحث الأصلية :

ومن شذرات القيمة قوله في شرح المباحث الأصلية تعليلاً على قولهم :
من تعارف ولم يفتضه فقد تزدادى : ومن تفقه ولم يتصوف فقد نفسى . ومن
جميع بينها فقد تحقق : قلت : تزدادى الأول لرفعه الحكمة والأحكام
ونفسى الثاني لخوضه من صدق النية فيما هو به والعمل به وتحقيق الثالث
لقيامه بكل في علمه فراجع كلام الأصولية في كل باب لأحوالهم رالا فلا
تناهى بين أحوالهم لمن تأملها وذلك خلافاً لمذاهب غيرهم لمذاهب الغير
يطلق عليها الإبهال ومذهب أقوم يرجع الى وثاق الحلال فإن لم يقبل
ذلك طاب من مذاهبهم .

منع لیس الحرقه :

ومنها فيه أيضاً : « (تنبيه) الذى ينبغي أن يحزم به في هذا الزمن

مع الخير في والدعوى عليها مما عليه الناس من الشج والاعتلال في الغالب
وإذا كان الغدر في النفوس طبعاً فالنقطة بكل أحد عجز .

وله العالم لا يلج عنه الأحكام :

ومنها فيه أيضاً وقد أورد في عدة الزيد مختصراً : « سئل شيخنا
القوي رحمه الله عن ابن العربي الحنفي فقال أصرقت بكلمة من من
أهل كل فن . قيل له ما شأنك عن هذا ، قال الخشيت فيه من الحكم
أن القضية قيل له فما ترجع قال اتسلم (قلت) وذلك لأن المعرض
للتكفير يحظر وإظهار المزية ربما أفضى إلى الاعتداء به في الواقع أو
لإعتقاد ماهره والله أعلم . ومن هذا النوع ما تضمن ذكره من جواب
الإمام شمس الدين النووي رحمه الله إذ قال الكلام كلام عوني (وذلك
أما قد خلت لما ما كتبت) الآية وطول بعض المغاربة المجاورين بمكة
في ضيق معتقد في ابن العربي الحنفي ليصل بعض القضية إلى حقوبته
وأذنيه لكونه منكراً له ومنكراً فقال اشهدوا أنني مؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وما كان من كلام طلائع موافقاً بظاهره
لكنك وبلسة طائفة أقول به وما كان على خلاف ذلك وأنا الحق صلبه
أن أريه . فلم يجد له ميلاً . ووقفت لأبي زينة العراقي على جواب
في شأنه وكذا ابن القلزم ذكر فيه كلام الناس من المنكرين وغيرهم
ومال إلى أنه يعرض على الكلام ويؤكد لقال لا احتمال فيه ونحو ما
وهذا وجه من السلامة أيضاً .

والحقيق في ذلك أن وجه الطريقة براهي ومعنى الحقيقة منحوتة
وحرية العلم لا يرادها غلط ولا سهو ولا إغتراف وربت من العلم
والدين لا ترفع عنه الأحكام فتعتبر خبراتهم من حيث حقائقها بآثار

بالجدة منها ما دلت عليه من المعاني الصحيحة السائلة من الاعتراض ويظهر في الإلتفات من حيث ما يقتضيه موجب الحكم في عدم دلائل يهمل حتى أنه له وحيدة الشريعة بالعمل به ولا يتدخل عن صاحبه بأن هذا مذموم لأن دلائل انتصافه عنه أكثر من دلائل ثبوته وحسن الظن في محله مقدم على سوء الظن والزم من ينسب التعديل والمثلث يتبع الميوب. وهذا الوجه الذي قلنا أعلم الوجوه وأحسنها شرعاً وحقيقة ربانية التوفيق .

وهو كلام نفيس ومحدود من علم صوفي يزيد ثقافة ولعل غير زروق من المتصوفة الذين أتوا بعده لا يمكن أن يحكي هذا الكلام، وإن حكاة فربما لبطلان به في زروق ... أما أن يكون له رأي من هذا التقبل في الشيخ الأكبر فهذا هو الكفر أو أكبر . وبذلك تعرف مقام زروق في العلم والعمل ورسوم قلعه في التحقيق والشرح .

وعنها في شرح الحزب الكبير للإمام القشيري عند قوله (يا من هو هو يا هو) فتح مبيناً حكم إطلاق هذا التفسير على الله تعالى ما نصه : « معناه الذي لا يمكن أن يشار بجلاله وحكمته فهو هو » ، ولذا في هذه الألفاظ بحث والكار على الصورية ، والتحقيق أن إطلاقه في مثل الآيات المطلق أصح أدب وفي مقام التفسير بأشعره واستشعره وشواهد وقراءته لا بأس به لأهله .

الحجج بالخطوة :

وتعرض في شرح الوصلية للحجج بالخطوة : الشيخ ذكره بن أصل هذا الشأن : فنسأل هذا السؤال : « وتظار هل يجب على أصل الخطوة (يعني إذا عدت الاستطاعة) وإذا قيل هل يجوز أن لا يد من اعتبار قلعه حيد السلام » .

قوله في كتب الحرم :

ثم إلى جانب هذا الاحتياط المشروع نجد له إرشاداً عظيم الفائدة في تمييز كتب القوم لمن يريد أن يتناولها وهو ما أشار إليه في أحد شروحه للبيكنس بقوله : « كتب الحرم تحتوي على أربعة أنواع (التذكير والوعظ) وهو حظ الأعرام والخواص منه نصيب ومواده من كتب ابن الجوزي وبعض تعاليق المحاسبي وشيء من كتب الإحياء والنفوس وتحرير القشيري وما جرى مجراها (والكلام والأحكام) أي أحكام تسمية الأهل وتصحيح الأحوال من واجب ومنه ومنسوب وآداب خائراً وبائناً وهو حق المعوجهين من كل فريق وكل طريق ومواده من كتب العراقي والسهورودي ونحوهما (والكلام على الأصول) التي تحققها وتحقق القدمات والأذواق والمنازلات وحسب نصيب المرادين وربما كان تنبيهاً أو تشريفاً لغيرهم ومواده من كتب الحاشي في المعاملات والبيوت في المنازلات ونحوهما وفي رسالة القشيري مواضع من ذلك : وفي الجمع مهناوي فأخذوا بصعوبة فهمها (والكلام على الحقائق) أي المعارف والمعارم الإلهامية وهو نصيب العارفين المحققين ، وكتب الحكم بحر على الأضراف الأربعة لا سيما الأخيرين منها فهو جامع لما في كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار الألفاظ .

ونظر في القواعد إلى هذه الكتب نظرة فنية طعنها تعنيفاً أصر بحسب الأذواق واليول التي تكون لكل فريق فمن يملك الطريق فقال :

(فائدة) تعدد وجوه الحسن بقضي بتعدد الاستقصاء وحصول الخبر لكل مستحسن فمن ثم كان لكل فريق طريق فلعامي تصوف حرمه كتب المحاسبي ومن لم يحرمه والفقهاء تصوف رأيه ابن الحاج في مدخله والمحدث

نصوف حاتم حوله ابن العربي في مراجعته ولما به تصوف دار عليه
القراني في متابعه والمتمري في تصوف به عليه لفتنري في رسالته ونسب
نصوف حواء القدرت والاحياء والحكيم تصوف ادخله الحانفي في كتبه
والمنطقي تصوف لهما اليه ابن سبعين في تأليفه ونطليحي تصوف حواء
به لبرلي في اسراءه وللأصولي تصوف غلام الشاذلي بتحقيقه ، لطيعير
كل بأصله من محله وبينه الترقيق .

وتظن ان هذا الاسعراض لسريع لأرائه في التصوف والصورية والحكام
عن اهل القوم ومازلاتهم يكفي للدلالة على صدق من لقبه بمحسب
العلم والأولياء واصابه في هذا لقب .

وكان يودنا أن نضرب كل ما تخبره من كتبه واسواق نظرتنا
من أبحاثه وما استحدثه من رساله الجامعة بل اخراته ومريده ، ونعقد
بعضاً للكلام على طريقته الفقهية وتأليفه في هذا العلم فانه كان حلياً من
أعلامه ومقامه فيه كغايه في التصوف يأخذ ويعطي ويقبل ويرد ،
ويستشهد بأقوال غير المالكية من علماء المذاهب الأخرى مما يدل على صحة
ألفه وكثرة اطلاعه ، ولكن عوف الاثبات والمزج عن المعتاد في هذه
الترجمة جعلنا نكتفي بما تقدم ونقف عند هذا الحد في التعريف ببغرية
الرجل والدلالة على مكانته العلمية المتقدمة .

١ الابن العربي مراجعته : مراجع المصنف وموسم من شهر ربيع الثاني ، ومراجع
الربيعين ومعه انوار هذا .

٢ يعني والطائفي صاحب علم اسرار الخروف وطائفتها المصنف في عالم الطيف بها برعا
تركها منها من الامجاد على حسب ما عهد في ذلك .

مباحثة من مباحثه :

تم نختم بهذه المباحثة الصوفية الجسيمة من مباحثه : التي كانت تشمل انتقاد من الشيخ ابن عجيبة هي ما سقت لإثارة قلبه وهي قوله : «علقت مشارق الأرض ومغاربها في طلب الحق واستعملت جميع الأسباب المذكورة في معالجة نفسي بقدر الإمكان في مرضاة الحق لما طلبت لرب الحق شيء إلا كان مهبطي ، ولا حصلت في معالجتها شيء إلا كان مهبطاً لما ، ولا توجهت لأرضاء الخلق إلا كان غير موفق بالتقصير فخرجت إلى النجاة به عز وجل في الجمع فخرجت بفضل ذلك غلة ورؤية الأسباب فخرجت إلى الاستسلام فخرج لي منه رؤية وجوتي : وهو رأس الملل فخرجت نفسي بين يدي الحق مبحاة طرحة لا يصحبه حول ولا قود . فصبح عندي أن السلامة من كل شيء بالشورى من كل شيء والخبرة من كل شيء بالرجوع إلى الله في كل شيء اعتدلاً بالحكمة والقدرة وقياداً مع قطيع بشواته الانطباع : وما يرد من فعل أمراً ونهياً وخبراً وظهراً وعبودية لا تصحبها رؤية : ورؤية لا يصحبها اعتدال وانساعاً لا يصحبه ضيق وضيقاً لا يصحبه انفعال فتشلت في ذلك قول القائل :

فلم كنت لحجب أن وصلك يضاري	بنفاس الأيون والأرباب
وخلت بهلاً أن جلك هيئ	تكنى عليه كرام الأرواح
حتى رأيتك تعجب وتخص من	تخصاره بظلاله الأضاح
فعلت لك لا تذاك بجملة	فلو كنت رأيت نعت علي جدي
وجئت في عيش الغرام إقامتي	له خدري دائماً ورواحي

وليس ما نقلناه من أقواله في الإنكار على أصل الدعوى العريضة

ورفعه لا يصدر عن القوم في شطحاتهم من الكلمات المأثورة من سراج
 الورع هو وحده كانت في رده هذه القصيدة الثانية التي ذكر الشيخ
 أحمد بابا جملة منها في تكميله للديباج وذكرها كلوبا ابن مريم في
 بيانه، لأنها مما يخالف طريقته واحتضاده وخصمه لنفسه وإعداده للعداوى
 بالكلية ، ونفى أن أحد أتباعه المزمعين هو صاحبها وضعها على لسان
 الشيخ تنقياً لما وتديساً على الخصماء ، وكم لك من نصير .

عبدالله كنون

المخالف بين التقليد والسرعة والخيال

للأستاذ عثمان السكحات
شولس

ما هي الثقافة ؟، الثقافة هي مجموعة المثلومات والآداب والفنون
العلمية والفنية التي اكتسبها شعب من الشعوب : أو دولة الشعوب
خلال فترة معينة ، أو طول حياة الفترات .

فالآداب اليوناني في عهد آل بهوس الميعن بمسبة قمرني (المثلحات)
هو قسم من الثقافة الأدبية التي هي من العصور التي تشمل أيضاً الآداب
الغربية والآداب العربية وهي المخصوص الآداب العربية .

وإذا نظرنا إلى بعض جمل والأمثال الشعبية سواء بهجات عراقية
أو برقة أو لوز ، وإلى الأحاديث والشعر العامي (العام بركة مثلاً)
والعربية التي هي مثال ونقطة عظيمة لغزالي أو حكيمة الجانية وجدنا أدباً
شعبياً عربياً غنياً نوي التعبير هو مصدر للثقافة وأدب في حد ذاته
وهو من قديم بقاء ، وإلى جانب ذلك ظهر معاصر متجدين

الشعب ونبوع استحاء نكتاب الروايع والمرحبين والمرحبين والشعائين
والنوميقين الخفيين .

هذا الأدب الشعبي العربي الطريف الذي عاش به الشعب قرناً
وعازال يهمل به ، والذي عبر به عن أحاسيسه للرأية كما عبر به
عن حيلته الوعني ، هذا الأدب الشعبي هو جزء من الثقافة الشعبية
التي تشمل أيضاً علم الأثوار ولسطرد والفلاسة والعلوم والفن
والسحر والشعوذة الشعبية .

ومواء العرب هذه الثقافة الأدبية بالوقت الكلاسيكية التي برزت بالبلاد
كالبديرية والبيوتية واليونانية واللاتينية ، أو التي استقرت بها نهجاً
ككوايت الفكر - وهي العربية - أو تلتزم هذه الثقافة باللهجات ولكن
بلسان عربي لصيح فإن هذه العناصر كلها هي مجموع الحضارة الأدبية
التي تجمع في الروايع منسجم بين الحكم والمكيف .

ومواء دوحنا الأدب العربي الأول المتلوش على منحور القبيبي
والفكار والصور والمنش نصويراً وإلياً مبرراً حالياً فاطكاً فصوله
في صمت : أو الأدب العربي الثاني الموجود عند النوحيين والأوجيين
والقنيين والقداصيين والمطوريين .

ومواء دوحنا الأدب اليوناني بالكلمات الشيق من تلك الحامدة الحية
الافريقية الكبرى التي بتها امراء آل هودس الرومانيه فانهجت أمثال
قالبغس Callimachus أول من وضع علم دوا الكتب ومن القيدرس
وعمر لييلوغرافيا (النصائر) والفقد الأدبي وثنية وضع للموسوعات
(دوائر المعارف) وبني أربعين سنة مديراً مكتبة الاسكندرية ، أو
الستيلس الأدب المسرحي الليبي : أو البرطوسينس أكبر الرياضيين
في عصره ...

... سواء أدرست ذلك أو درست الأدب اليوناني والعاظمي بهرابلس
في عهد آن سافروس .

أو سواء درست هذا الأدب اللاطيني اليوناني المستر بركة وطرابلس
بعده من سنة ١٤٦ ق.م .

فإن كل هذه الآداب هي جزء لا يتجزأ من الثقافة الأدبية لليبيا .

الثقافة اللاتينية في ليبيا :

عندت الثقافة اللاتينية في ليبيا من سنة ١٤٦ ق.م . إلى سنة ٦٣٢ ب.م .
أي إلى سنة ٨٢٣ حينما فتح عمرو بن العاص ليبيا والمنظمت الثقافة العربية
فيها إلى أن يوثق الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

واللغة اللاتينية هي لغة هندية لأوروبية أصلها من السنسكريتية لغة
الهند المنتشرة الأولى . جاءت هذه اللغة في صورة بداية إلى أوروبا مع
الأنوم المنوم الأوربيين ، ولما جاءت جيوش شيوك وانصرفت على
البحرطين في لغة جديدة ومظهر حكم الرومان بعد انصرفت على آخر
ملك من ملوك البربر : طلائت ليبيا تابعة لهم . ونشر هذا عند لغة
لاطينية درجة بين طبقات الناس في القطر الليبي المنطق والمنطقت
بعضهم لغوية يونانية ، ورومية وسردانية وبونيقية هي الخصوص وتأسست
جامعة قرطاجنة ، إلى جانب معاهد الشحات والمعاهد الثانوية بصراحة
روبه (طرابلس) ولبنيس ماخذ (الحس - ليل) وبرنين (بخاري)
وشوكرة والمرج (بركة) والشحات (طرقي) ودونة (دانيس) .

وتكونت أدب لاتيني أو يوناني النثر بين الناس في القطر الليبي ، ونفع
به نطاء الكتاب والشعراء والمترجمين والمعلماء ورجال الطب والحقوق .
وتكاثرت المعاهد والمدارس والمعارض والتوازي الأدبية والفنية وعجائس

العلوم والفنون : سداسع التوسيع .

ومن أشهر هؤلاء المؤلفين المسيحيين الذين نبغوا في عهد الاحتلال الروماني :

١ - كورنيليوس التلميذ (التيسبي) .

لم يكنه بمضي ثوب ونصف على الاحتلال الروماني فبلغ القرن الأول بعد الميلاد حتى تكاثرت الآداب وازدهرت دولة البلاغة والديع وارتفعت شأنهم الخطابة باليونانية والملاطينية والبروتية ، لاسيما على غرار لستن الغربية الساحية من طنجة إلى لاسكندرية . فذهبك ان الشاعر الروماني جوفينال كان يصيح أبناء رومته يقول : اذهب يا ربي ان ابريقية ... اذهب ليها فانه تعذي انصعب بياني للحرارة ، تنقل ان تلك الأرض القلبية قد شئت ان تسجل مواهبك في الخطابات ...

على اننا لا نعلم - مع الأسف - ان لا نعلم إلا قليلاً من الخطب الأولين الذين نشأوا ببلاد الأطلس من الغرب إلى الجبل الأخضر . وقد ضاعت معظم تصانيفهم ولم يبق منها إلا كتاب واحد في فن البلاغة ألف باللغة اليونانية . فذلك ان يعظم أسرار هؤلاء الخطباء قد فُتحت من الوجود ، ولم يبق في التاريخ الصحيح إلا بلمس : هذه خطبك ولا شك ، لخدمك كورنيليوس التلميذ والثاني مافاروس الجدي بلان . ولقد كورنيليوس بمسنة ليتيس دانتا أي ليتيس الكبري . المدينة الأثرية المشهورة التي قامت عليها عظمة الأفرقة البربرية عظمت الرومان أنفسهم وفي نفس ميدانهم .

من وث ٢ لا تنوي على وجه التحقيق - ودرس بمصاحف الأولاد والناثرية فخرج في الآداب اليونانية والإغريقية والفلسفة وأحقوق : ثم انتقل إلى جامعة برنجة فأكمل بها دروسه وحالف الأوساط القانية

لعمري حتى مهر في الخطابة والفلسفة ، ثم انتقل إلى رومة . ولا نعلم متى انتقل إلى رومة لكننا نجده هناك على عهد الإمبراطور نيسارون والإمبراطور قلوذيوس^١ .

وكان بغير يومئذ كأحد أكابر مملكة العاصمة الرومانية التي كانت عاصمة الحكم والآداب والفنون في العالم القديم في ذلك العهد .

وكان أحد أعمدة المدرسة الفلسفية الاسطورية أو الرومانية التي تقول بالملك والحقر وتجاهل العالم وتطلب انصاف البشر عنها .

قال في الشاعر برسيوس Persius أحد طلبة ومريديه :

« أنت يا كورنوتوس بعلب لك أن تفني لبيك ماضياً نطالع
الكتب إلى أن يصغر وجهك من الأرقى والنعيب ، كل ذلك لتقي أن
التعلم على طه الشباب الضعيف فتدفع في عشرة السيم بغير المدي
السياسة التي جاء بها الفيلسوف كيراتوس . »

تعالوا أيها الناس من شباب وشيب : تعالوا طعنوا لئلا تحكم بغير
الغضب وجواهر معانيه . تعالوا وانصتوا لعلوا يا هي لعمري من الحجة
وكونوا زائدكم من هذه التعاليم كورنوتوس غربة فتوصحكم في راحة الشبهوخة
الجزيرة . »

لا شك أن هذا المحدث شاعر : اعني به الشاعر اللاتيني
برسيوس^٢ .

١ فلورنس ليس أبراسور روماني ولد سنة ٢٠٠ بعد الميلاد . وولي العرش بعد قلوذيوس ليس
تكم من ٢١٠ م . بعد ٢٠٠ م .

٢ برسيوس شاعر فاني روماني ولد ببلدية (٢٠٠ - ١٠٠) ، القيد كورنوتوس والشعب
بناط .

المصدر : كتاب الفيلسوف ج. ه. الأندلسي ، ١٩٠٠ م . وخصوصاً ما ورد في كتاب « حياة
برسيوس » : G. Zeyl — Jan O. Jahn — Berlin 1888 .

صدر برسيوس تعليقاً لكورنوليوس في السابعة عشرة من عمره :
تعلق به منذ ذلك الحين وإك آخر نفس من حياته . فالتحق بغيره وحسب
بها وانسب أفكاره الفلسفية بزياد اهتمامه وطبقها في سلوكه وسيرته
وصرفه في التفكير . واتخذ منه زاداً ومرشداً ومدير حسيرو في الحياة .
فما كان يذوقه قط .

وفي بيت أستاذة التي برسيوس يشترى وروائي آخر يسمى لوفانيوس :
لكن برسيوس تأثر بشيخه أكثر من لوفانيوس أو أي مرشد آخر .
فكان يعد أفكاره وشاخصاته الفلسفية حياً . فكان يولد إعجابات الخلفاء
المخلصين واحترامه الصادق وثقتهم له .

ثم ما لبث أن اعتاد بعض آيات قصيدته المقدية ليحرب له عن مشار
عجده به واحترافه بحيله حلب . قال :

« يا أستاذي الجليل فخرج لك نفسي بأكمه لكني أريد يا أستاذي
بخليل وصديقي أحبيم أي مكانة لك عندي ؟ أي ساهون لك على نفسي .
فالتجبرني وجريني أنت الذي اعتدت بالخبير الأسياء وقد ألتهم ومعرفه
الصادق من الجهرج والحق من الباطل وما هو ملياً حساً وأدباً وأخلاقاً
طليعه وما هو فرغ من فؤاد أم يوسى .

أنت تعرف الفرق ولا مشاحة بين بين الذهب والفضة الموهبة بذهب »
ثم قال :

« كنت في أول عهدي ومغترق طريقي الحياة حياً تملأني النفس

• لوفانيوس شاعر لاطيني ولا يدين لرواية (١٠٠ ب . م . ١٠٠ ب . م .) كما حاشيه حيث
يخلصون الامم والامم بالامر هو أيضاً . فافهم في رواية بيتا توماس والاف
ملحة نبرة آخر « فلهذا » .

مربعة مضطربة أي مسك تسك . وجعلت دليلي ، واعتدت بهدك .
فكملت ونكتت ، يقود خطاي والسير من نحو سواء السبيل . فقلت شدي
إلى ساحل السلامة وأردتني راحة القلبنة الشعة . كنت أغلدى من
باللة طعائل كما كنت أهل من ساحل صعلك وكلامك وكنا نضمي اليدي
نوب نجرم ونمحص العلوم ونشعل القهوم .

وتوفي برميوس صغيراً لبكاه أعماذه ونفع تآليفه ونشر اصباح عبداً
ونكتت بقية عمره .

لم يقد الامبراطور الثاني قارون . فلم نعم عنه شيئاً .

ترك لنا كورنوثوس عدة تآليف تتعلق بمواضيع مختلفة جداً . فقد
كان يهتم بشقطة موسوعية وفكراً فيصح الأبعد . كان فيلسوفاً وشاعراً
وعظيماً ونحوباً وكاتباً في شعر المنويات سواء باللاتينية أو بالاغريقية من
ناب لألوتي .

من حيث انه فيلسوف ألف رسالة رت فيها عن استحداث أرسطو من
كتاب كاتخورياس .

ووضع كتاباً في اللاهوت اليوناني الميتولوجي القائم على الأساطير
بين مذهب الامطوثيين في ناول وموز هذه الأساطير والخرافات الدينية .

ومن حيث انه شاعر ألف عدة مسرحيات فاجعة .

ومن حيث انه بلاغي ألف كتاباً في العلوم البلاغية عند ايونك القمامي .

ومن حيث انه نحوي (اختصاصي في اللغتين اليونانية واللاتينية) ألف
عدة تآليف باللاتينية منها شرح مختصر للمحنة فوجين (الإنباقة .
الحاربات الرقيقات الخ) . ووضع تأليفاً آخر في الصور الفكرية ؛
وتألف في علم الرسم (رسم الكلمات) في اللغة اللاتينية بلغنا منه ملخص

فه كتب في عهد الامبراطرة الاطليانية .

ولم يبق لنا من كل تلك الكتب إلا تأليفه عن الالهوت اليوناني ، وهو كتاب ليس غريب ولا مبتكر من حيث الاصل ولكنه نافع لمعيد المطالعة .

ولم يلبث من ذلك الوقت القيسي القديم أي تأليف آخر في صورته الأولى على الأصل . وبذلك صار يصغر علينا أن نحكم حكماً باتاً فيما يخص فضل هذا الكتاب ومزاياه وإن تقدر مواهبه الكفية حتى قدره وإن تقم ليوطه اقلبي .

إنما نعلم أنه كان عظيم نصيب في قديم حياته ؛ وإن هذه المسعة الطيبة الدائمة عاشت بعد ذلك . طبعه ماضي قرون على قصده نجه كان لا يزال معروفاً في الاوساط الثقافية عذراً أيا تقدير . حتى كان الكتاب انماشون يولعون كتبهم وينسبونها اليه ما له من نصيب أعني عظيم .

لا شك أن لسانه الشاعر لوقانيوس ومرشد برسيوس وصديقه الحميم كان طليعاً مقدراً وعزاً غانماً وشخصية نبيلة وفكرًا متفتحاً نرجاً مستغياً مستطعاً مستقياً مستجياً .

فهو بموسوعة علومه وبشاع مواهبه ومطام فوقه كان طليعة الكتاب الأتارقة الذين سينشون في المصور كالتة .

سيميوس سافلوروس الجلد . في السنة التي تلى فيها الامبراطور الجاهل كوزنوفوس كان مواجته الشاب سيميوس سافلوروس قد انتج عبده بالحاماة الذي يحكم رومة . وسرعان ما اكتسب صيتاً فاضلاً وانتبه بالشعبي لشدة الخطيب الضيق .

ولك سيميوس بحيرة لينس ماذا التي سيصوره حفيده الامبراطور تضاهي رومة الكبرى نجلها وكولها ورجالها رسامها بمشاهداً ومعالجاً .

أريد متحدثاً من عائلة برجوازية يونانية مشهورة بتلك المدينة ذات
 الأجر قبايرة إلى الآن . وهي من تلك العائلات اليونانية العربية التي
 أتت : في لباسها وعلومها وسوارها وآدابها وفنونها وعلومها منذ القرن
 الرابع قبل الميلاد . لكن حافظت إلى جانب ذلك على يونانيتها التي لم
 ترض بها بدلاً . ثم لما طرخت رومة الرومانية سلطانها على هذه
 الأصناف تروست تلك العائلات في لغتها وعاداتها وفنونها وآدابها . فكانت
 سبقة إلى احتضان الحضارة الرومانية . وليس عليها في ذلك كثير مكفة
 هذه الحضارة الرومانية إلا مزيجاً عكس نسبة العناصر مركباً من الحضارة
 اليونانية ومن الحضارة اليونانية التي أخذها الرومان من صقلية وسردينيا .
 وما كانت هذه العائلات البرجوازية اليونانية الأصل يونانية الثقافة فلم يكن
 جميعاً حبيداً احتضان الحضارة الرومانية : حضارة هذا القادم الجديد .
 درس سافاروس بسقط رأته أولاً : ثم سرعان ما انتقل إلى رومة
 في سن مبكرة .

كتب له في ذلك الشهر ستامبوس^١ أحد أصدقائه : « أنت عظيم الحظ
 يا صابقي حيث انتقلت منذ نعومة أظفارك إلى رومة فلم تعرف العنبر
 الأفريقي . نزلت بأحد لغور لوسونيا ورضعت لبنان الآداب والفنون
 اللاتينية من ثديها الصميم . وقد أحسن الذي تبتك فقد جعلك تعوم ثابت
 أنواراً في بحر العلوم والفنون بولاية نوسكافة التي هي بلادها الطبيعية .
 كبرت بين أبناء أعضاء مجلس الشيوخ الروماني ونعمت برقية سافروس
 السيف وأقسم . واجتهدت كل الاجتهاد وواصلت ليأت بتهارك في العمل
 المحسن . »

١) ستامبوس أحد الشعراء الرومانين المشتهرين في عهد الإمبراطور ي . ملك بابل (١٠٠ ب . م .)
 (١٩) كتب : « حنة شعيرة عذرتها » « ملهقلية » « وانيك غنية يصعب نسبها للعراق » .
 يمتاز أسلوبها بالبريد ولكن فيه تسليح . وترجم عنها السريدي .

وأتم سافاروس درسه برومة ، وحاضراً ذلك الشاب الهادئ الروماني
المحضر الخشب الصوح : وقف على عهدهم فيما تلا من الأيام وبنوا على
عهد ، فزومين كثر الرومن ، وخرج أحسن تخرج في اللغة وللاحة
والخطابة والفتون والحنوف ، حتى ظنك قيل له : « أريهم أن تكون
وذلك هكذا بعيداً في أعماق بلاد العرب عسيرة لينين ؟ : احتفاهم
انكاري : لي لا يجوز ولا يكاد يصنف به .

فمن سمع ذلك لغة اللاتينية الغنية وتلك الخطابة التي فاضت خطابة
شيشرون وذلك المحضر الروماني الذي يحكي قصة الحرب (أبناء رومة
السيبيين) لا يشك في أنه ولد حتى قصة أخيل الذي بنى عليه رومولوس
رومة : وأنه ما أدرك عهد القضاء حتى شرب من بنايح اليونان
فرومن الحسن زومين .

كان سستيريوس غنياً : فصيحا : جيد الملاحظة جميل المادرة حلوا
الذكاة عيباً لجميع حسن المعاشرة يرغب الكل في صداقته والاجتماع
أبيه : حاشى هذا الخطيب لثلاثي المي في لوساطة رجالات الأدب حتى
المعصرين : تلك الأوطان التي كان يختلف إليها توكيليانوس إسماع
للأمة اللاتينية . والتي كانت لا يفرقها العالم الطبيعي فليبيوس الصغير
ولا الجوارح منسوبة .

نحن نعرف سافاروس الجاد من خلال ما حدث به الشعره «عاصروا»
الذين كانوا يعيشون معه برومة . فمن ذلك أن الشاعر «أوسيان» صديق
أعداء أربعة مدافع ، يقول في أحدنا : لقد دعوتك للعداء على عاتقي .
ونعلك تنجب أبا العلم القاص من أن أهدمت هذه الأبيات . فأن
شغل منها فكيف تتأثر بغيرها ؟ يوما علمت أن جوية الإلاد الأعظم
قد شيع من الفخر الامعية وشرب أطيب الرحيق ونحن مع ذلك لا نترن
تقرب إليها القرائين والمحررين التي لا يجوز التي لم نلني ؟

كنت حباك لأفك بكل المزايا وأفرغوا حبيك حتى الكمال فون لم تحبل
هداياك للتواضع صعد بقي لك أن تقبل ؟

ذلك لأن سافروس كان شخصية من فوات الوزن في هذه أية
الرومان المتهذبة ، وكان يقبل في بيته مجتمعاً متنحياً بحسب الحكد تلك
صديق . عندك مثلاً أن الشاعر مارسيل أهدى إليه أحد كتبه : واضر
عند التخدم بأنه يقدم شيئاً ذاتها لرجل عظيم ، فهو يضيع عليه رفاً ثميناً
في مطالعة سطره لا معنى له .

وفي يوم آخر نائب الشاعر مارسيل صديقه البلاغي الخطيب حتى أنه
أبداً في مطالعة كتابه الجديد وتقدم بالاحتفاء منه . فقال : أعلم بما
الآن واستحني في نشر كتاباتي الجديدة . ما بالك يا صديقي ؟ لا أراك
نطاع منها مفرح حتى تسترخصها بأثمنك حتى جعل طالباً منها انهم .
وسرعان ما يادر إليك تكموب السات والخلق ، ومع ذلك فهي هي عينها
انفصال التي كنت تطلب مني اعادتها على مسعك ولي كنت تندر إلى
نحيلها في الوقت : وهي التي كنت تحفظها من شهر قلب من سراج
ونقلها إلى الأدب والمخرج .

...

أنت ضاربت كتب سافروس التي ألفتها ، فلم يسغا منها شيء ،
لكن تلمع شخصه المرمدة بوضوح في مدائح مناسيوم ومارسيل ،
كان خطيباً مصقلاً ممتازاً محترماً موفور الكرامة في نيوجه وفي سيرة
حياه .

قال له ميسوس : يا سافروس اغارس الخوار والخطيب المصنع
والبلوغ ، تصعدت تصبح ، وشرائح الناس على لسانه الشعبية للاسراع

الذي : كذلك لا نبيع ألافك ومبتك لا تحتاج إلى مداومة غملا .

لقد كانت ثروته ومربته الاجتماعية السامية يسعدان له بأن يعمل مستغلاً . فلم يكن يتهافت على التصايا ولا يبتلى في الشاكر . بل كان يوزن لقبه فرائضاً يتفق موبحاه في بضاعته الفكر واداء الذكاء والمهنة . فكان مع أصدقائه يتجاذب أطراف الحديث في شؤون لأدب ، ذلك حينه دائماً في رومة وتكلموا منحت له الفرصة حاجر إلى لبادية المروعة . فينقل إلى حقول إيتروريا أو صاينا ، وهناك بين الهلال والخيار والبحرات والمروج والقيات ، على خفيف الأوزان وحريز لياه وتغريد الطيور ودخدخة ألحمة الشمس التي ترمل لها الذهبية إلى الأرض . . . ينقل سفلاروس على الدراسة . ويرجع لظلم الخائف الكتب الكثيرة التي صديها . منها كتب « ملاحظات عن فن البلاغة » الذي لم يعلن والملي احمد عليه كراشيبيانوس البلاغي الروماني الكبير ، مظهرا احمد ابن رضى في كتاب اعمدة على تصانيف شيخه عبد الكريم النهشلي .

وتراه أحياناً يفرض الشعر ، حتى قال فيه الشاعر ماسيوس احب ما يطلب لك أن تعيش بالأرياف ، وأن تستجم بالبدية ، وهناك قالت كيكك الثرية . لكنك أحياناً تنزل إلى شعرك . فهذا في عزلك القابعة توقع على غرد اشعر ابداع البزات : فخرج الصورة اعمدة من صحتها .

قال ذلك أصدقه سفلاروس : « انك أطلت لاقامة برومة منذ نعومة اظفارك حتى لم يبق منك من الالفقة شيء . طمست لوطاحيا ولا يوبينيا ولا ليا . فلا ترى في نفسك ولا في ملائكتك شيء من القوطالجنيب » . قالت يوعاني أصل من طلب ابطالها . ويوجد برومة من ضمن ارمومانيين أبناء ليا يشرفون بحضارتهم وبلاغتهم وآدابهم وسلوكهم مستط زعيمهم .

إذا كان الغاية بارصين في نقصر الجهاديات فالطبيعة غلابة على شرمها . وأضرتك سفلاروس الشبخوخة ، فرجع إلى مستط رأسه ليس

مدلاً بالأخوام والمجد والعلوم والآداب . واسترجعت القريفة الدائمة
مناحتها وتلك بضاعتها ردت إليها . وهناك حضر سافاروس الشيوخ المصطفى
افارس ولادة حفيده الحفوفى الخطيب الأميراضور .

ومضت شجرة سافاروس القريفة من جديد منذ الله في أرضه . حتى
أن حفيده الأميراطور الشيخ لم تكن تعرف حرفاً واحداً من اللاتينية .
وأن حفيده الأميراضور الكبير حافظ إلى آخر أيامه على حرش رومة على
الهيئة القريفة .

ستيموس سافاروس الخطيب :

من فضل القدرة القريفة وحسن القرب بها أجيال رجال سياسة ناجحين
من صميم القريفة القريفة جلسوا على حرش رومة .

ومن هؤلاء البنوس السوسي . ولد بمدينة مومة بنوس . وكانت
نفسه خضروهموم : ومنهم آل غوربانوس الناصرة الملاح الذين كانوا
أدباء يمدون ما كانوا يحرقون . وكانوا معارفين بقوم ما كانوا رجال
دولة . فاهبهم أنهم بنوا قصر الحزم بن مومة وصفاتس الذي بضاهي
لكوليزيوم رومة العظمى .

ومن هؤلاء الإباطرة اعطاه ستيموس سافاروس الخطيب وأخوه
الامسكندر كلاهما من أبناء ليس وحفيد سافاروس الشيخ الفارس
الخطيب .

ولد بمدينة أبتيس التي لحياها وجد حياها ووريح رابها وشبه معانها
وأذاع صيتها : ودرس بها ملك الهداية والرفع في سلم الطالب درجة
خارجة من المذرك الأسفل إلى القمة . وأخبر في ملك العلية كافر سيطر

واكتسب نرجسته درجة درجة إلى أعلى النوب .

ولد عليه ابنس سنة ١١٦ ب. م. وقضى فيها طفولته وشبابه .
ولم يزل إلى آخر أيامه كما تأثرت به إلى آخر أيامها .

قلت إن عائلة بونسية برجوازية عريقة ، وأنها نهلت ثم ثرومت
وبقيت مع ذلك على بونيقيتها وأغريقتها . لكنها كانت تحب محمد السيف
وعبد القلم . فاهتمت بترية سافاروس الصغير بكل الاهتمام وسبرت على
أن يطلع على مراحل التعليم .

فكأن العائلة لا تزال مسرعة ونقالدها تقايد علميها وشبابها
ليعلموا كغير العلم . رأي عوي في ذلك ؟ فلا صبر عليه ولا حصار .

ومع أن عائلة ما زالت تتكلم اليونانية وتكتبها وتحرص على نفسها
والحفاظ عليها منذ نزلت فيهم اليونانية واللاتينية ذلك لأن العائلة
طريقة فارس وقد تكتب كثير من لغاتها في وظيفته فقامت نصارت
اليونانية لغة الوطن ، واليونانية لغة التجارة ، واللاتينية لغة المهنة .

ولما بلغ لفتي سافاروس المهمة عشرة كان يشرب من الاتقاء حسب
التقاليد المأرية يومئذ . فكان يلقي الخطب المترجلة في الساعات العاسية
معدة لبس ليخرج في الخطابة ليس يخرج بالثوب عليها في كل يوم
حتى نزول من الخسعة ومنه المسموع ولذلك ضعف الاستعداد .
كان حقيق المسان باليونانية ولكنه لا يزال يومئذ قليل المعرفة باللاتينية .

ثم لا بعد ماركوس أوريليوس (صاحب غزون لرحم) الآخر
الروماني الحليل جنينة حواليس) عرش رومة انتقل سافاروس إليها
وهناك تعاضد دراسة الحقوق على حدة أساتذتها في قوانين مثل مكينولا
Macculloch . لم يأتى حواليت هناك أبدا إلى تكية ، عاصمة
اليونان والحقبة اليونانية ، فأكمل هناك بضاعته الأدبية والفلسفية والطبية .

وكان يتدرب في الآن الواحد على خطابة الاساطير والميتولوجيا عند
الأغريق .

ثم نقل راجعاً إلى رومية الكبرى : وتعلم بها عدة مهني . باشر
أولاً مهنة استاذ بلاغة وخطابة في المختبر اليونانية واللاتينية : ثم سجل
ميد ضمن قائمة المحامين لدى المحاكم الرومانية ورعى المفتح من القضايا
الحزبية . ثم سرعان ما تبين له ان هذه المهنة قليلة الربح فنزل إلى
ميدان الحياة .

وفي سنة ١٧٢ م. دخل محسن الشيوخ كرتيب : وكان يوشك
في السادسة والعشرين من عمره : وسعد براتب اعظم السياسي . فصدر
خطيباً عسكرياً وزجيراً حربياً ومعيناً لدى بروتقنيل (لمقيم اعدام)
بأفريقيا : واد على معارك في كثير من الحملات العسكرية واضطلع
بأعمال عدة وظالت : ونجح في كل واحدة منها .

وبعد ذلك لم يمس عليه إلا سكان حتى بويج ابراطوراً على عرش
رومة سنة ١٩٣ وفي بصرى إلى سنة ٢١١ . وكان دينه طول الحياة
احمداً : فلما أخذ يختصر كان آخر لفظة تليق به *Laboremus* : لنعمل :
فدأبت شعاراً .

كان بعض كل أيام حياته : فاذا صرف عطية أولاً وبالذات لتوتون
لدولة فانه لم يسجل ثمر الآداب والعلوم . فكان إلى آخر أيامه يذكر
انه ابتدأ عمله كخطيب وخدم .

كان خطيباً مصنفه إحصائياً أعاداً لأفكاراً دينية البيرات في خطبه
الموجهة إلى الجنود . أما خطبه التي اقامها محسن الشيوخ فقد أفرغ عليها
ثوباً من الخيالات الكسروانية نسياً : فبلاغته بلاغة رجس واد ليهم ويريد
ان يطلع .

وكان إلى جانب ذلك شياً ندرس الطب وحده ، فكان يهتج شخصاً ما
ويحذر منه زاد المسافر من الأثرية ولحقه إلى وعشها جالينوس
وقد نعت في حراسة السمعة وحقوق رليانة والمصحة والآداب
ولف حدة زائف ، منها ، مذكرته ، التي كتبها باليونانية ولورد فيها
حياته الخاصة والعامة بنية صداقة إلا أن كان يحاول أن يحذر عن
قصوره لأنها مقتل مزاحمة لهرس الذي كان يرأسه على عرش رومة .

قال عنه المؤرخ جون كاسيوس الذي كان يعرفه عن شخص : « كان
شغراً بمعرفة الآداب أكثر مما كان ينبغي فيها فكتب نجد لديه كثيراً
من الأفكار وتللاً من عبارات الجملة » .

وقد رد بعضهم عن ذلك بأن جالينوس لم يكن يعرف حقيقة جون
كاسيوس ، فإذا حكمه عليه من خلال خطبه التي كتبها بمجلس الشيوخ
فجده مسافر الأسلوب قليل لرجعة عدم الصنعة ، ليس هناك إلا قوة
وعزيمة وإقدام وإيجاز ويرد ويرد .

كان جالينوس يحب أن يحيط به رجال الآداب ، لكنه لا يحب بحراً
أهل رومة ولا يثق بهم ، فهو يصر القريبي إليه ليس ، قد تزوج
ابنة سورية من حمص ، لك وآدابها يونانية ، وهو هو الذي يعرف أهل
ليونانية ولم يحاذق اللاتينية إلا قليلاً ، فكان في قصر جالينوس
يعيش في عدد أدبي يخطف فيه لأفارقة والبربان ، قرى فيه كثيراً من
الكتب والعلماء المشهورين ، مثل الشاعر أوفيدوس الذي تخطى في معرفته
بملات السيد فهو مثل الشاعر لوطوط العربي في طرائده ثم أبي نواس
في طرداته : والملات سامونيكوس : والمحرفين أوبيانوس وبيثانوس
وبد كان حبيباً في القراءة وكلاهما من أهل صوري : والجيلوف
ديوجينيس لأفيسوس والمصيب القريبي أبلوس والشاعر القوسي فوريانوس
الذي كان في ذلك شاعراً ردياً يصنع عرش رومة وبينهم مسرح الجمل

اشتهر ، والفصاحس ايلياكوس المثقب بلسان فصل اعلمية قصص رجال
حكايته وموسيقية الخاطلة .

في هذا البلاط الأثيني والعصري والمجسني والسياسي كان الناس
يتكلمون اليونانية لغة الإمبراطورية السورية الحمصية ، وهي أيضاً لغة
لمحببة لقلب مينسيوس . وذلك لأنه نشأ على معرفة اليونانية لغة أبائه
وأجداده وكانت دراسته يونانية وما جاء للاصينية إلا مؤخرأ .

فهو يوناني أساساً . ومنذ صغره تظفاره كان يتعلم هذه اللغة في
جهازه وجملة العسكرية واخلاصه لأترياقيا والغرب . وما جلس على
عرش رومة أولى أوطانه الأفريقية اهتمامه وحديثه ، فيني وشيد ومستر
وأخيرا وعصره القانون الواحد على الجميع وأيد الأمن وأتمسك شرطة قوية
الفعالية ورفع الجير المصري وأضع الأرضين لابناء جلده ربي الطرف
والجور .

وأكثر بيومته للموظفين الأفارقة فكان وزيره يوليوس من أبناء
مدينته .

وكان بلاطه عامراً برجال العلم والأدب من الأفارقة .

هنا هو الرجل العظيم والسياسي الماهر والكاتب المشهور : الخطيب
المصفي والرجل الثاني الذي قال عنه مرنجمود : « كان الأفارقة يعبدونه
عبادة الآلهة » .

الامكندر سالاروس :

هو أيضاً من هذه العنقة من لياصرة الافارقة وخاصة من آل
سالفاروس ، جلس على عرش رومة وأكمل مهمة مينسيوس . كان

عظيماً مصنفاً وشاعراً" وثاقداً الذي نضاه حجة القباصرة .

وأنهم عن الخصوصي بلهجات وتأسيده وتنظيم اتصم لها ، فليبري
منح للنراية الوفيرة على لعدد العديد من الطلبة الأفاضلة الفقهاء وأسس
برومة والولايات والأعراف حداً وفيراً من الكرامى الجمعية للشورى
للإخاء والمحو والطب والعرفه والتفهم والرياضات وجر الإنزال .

• • •

الأدب العربي

إذا أطلقنا في الحديث عن الأدب المسمى قبل الإسلام وبلغت غير العربية
فلأن مجهول ندين في الغالب وهو أكثر مدون لا نستطيع به ولا نعتد به .
أما الأدب العربي فمع احتياجه التأكيد معرفة معناه هذا انظر إليها
العزير ومع حدة شوقه إلى توضيح ملامحه فهو مصوم بالحيلة .

بدأ هذا الأدب سنة ٦٣ حين فتح عمرو بن العاص ليبيا . واستمر
بهذه الصوف إلى يوم الناس هذا والمستقبل له ، من مستقبله أعظم
وأخضر . وقد أحسب هذا الأدب على وجه التحمل فوجدنا أن رحلات
هذا الأدب بالمراسل المتصحيح لا يغفل عن مسألة ربح . وليس عند
النبي ، القليل في خطر الليل المكن بالاضافة إلى مساهمة : ولكن هذه
معقول بالنسبة إلى الدرر الثقال الذي قامت به ليبيا بين الشرق والغرب
خلال العصور الإسلامية الزاهرة .

وبداسة هذا الموضوع الطويل العربي على أي منهم بها لولا
وبالذات .

لنقول :

أولاً - المسح الثقافي في ليبيا :

كل دولة تطمح إلى النهوض وتزوي بسهم مصيب في ميدان الحضارة تبدأ بالمسح الثقافي : أي بإحصاء تراثها الثقافي الذي هو تراث لم يصبح تراث شعبي . وإذا كانت هذه الدولة قد بقيت حيلة ما تحت الاستعمار اليغبي : فمن مصادر البحث عن ثقافتها وعلمونها وآدابها ولغزاتها تكون موال تلك الحقيبة بلغة الأجنبي المختل ، أو بلغات أجنبية مختلفة .

وهذا عام في الانتظار العربية ولا يزال قائماً إلى الآن فمصادر البحث عن شجون المغرب الأقصى الشبلي المسى قديماً ياريف الذي كان تحت البحر الأميني وقد كتبت كلها أو بعضها باللغة الأمينية . واكثرية مصادر البحث عن الجزائر والمغرب الأقصى (المنطقة التي كانت فرنسية) ولونس وسوية ولبنان هي بالفرنسية . وأغلبية المصادر المتعلقة بالجمهورية العربية المتحدة أو الأردن أو السودان أو فلسطين أو العراق أو الكويت هي بالانكليزية . وغالب المصادر المتعلقة بتاريخ ليبيا وجغرافيتها وجيولوجيتها وحيويتها ونباتها وأحوالها الصحية وحياتها وغازها وطبقات سكانها وحياتهم وفلكلورهم ولباسهم وأقلامهم قد كتبت باللغة الإيطالية .

يبحث أن العلم العربي الآن يعاني أزمة جيولوجرافية ولا يشعر بها لأن غالب العارفين والباحثين يعرفون لغة الأجنبية التي بها المصادر والتي كانت لغة المحلل فلا يرون غضاخة عليهم أن يجهدوا فيها مباشرة . وقد تريد أن ينصروا غير هذا ؟

إذا لم تكن إلا الأسماء مركباً في حيلة للتضليل ولا تتحجب

إلا أنه حدثت لزمان ثلاث جديدة .

اللزامة الأولى للشعور بكرامة اللغة الوطنية التي هي لغة العربية لغة القرآن الكريم ولشريعة الطهارة والخصاصة الإسلامية والمغرب العربي ولغة الوحدة والمجاهدين الذين استشهدوا في سبيلها .

فأخذ الناس يشعرون كل يوم أزيد فأزيد بأن لا يجدوا عن العربية مع معرفة لغة أو لغات أخرى وجوباً .

تكن معرفة العربية تقتضي تحويها من جديد إلى لغة مصادر تكفي بنفسها ولا تستند إلى غيرها .

وهذا يذكرنا بالازمة التي وقعت في تونس أمام الأمرين وثوابل العباسيين : فإن المسلمين بعد ظهور الإسلام وجهود الفزاة المحدثين وجدوا أنفسهم في رأس امبراطورية عظمى استوعبت أنصارهم الوطنية ووحدها وأضافت اليها معظم الامبراطوريتين السابقتين : الامبراطورية الآشورية (بنو سامان) والامبراطورية البيزنطية والرومانية . دولة وجيوش ودولتين حكومة وولاية وحيدتين كسوراني كامل ، ولكن لكل يعتمد على كتاب من السريان أو من اليونان يكتبون بالسريانية أو باليونانية . وما ثمة إلا انصبب اقليل . فكانت لغة المراسلات السياسية والعسكرية والادارية . ولم تكن لغة الخرافة والرياضيات والحساب والطب والنبات والحيوان . إذ ذلك أمور المسلمين بخضة هذا المراع فاقبلوا على عمليات من مثالبه :

العملية الأولى : السج الثقافي : أي احصار حالة الثقافة . لانبرى روافد لغة بجمعوك اللغة : ورواة الحديث بجمعون الحديث ، ورواة الأخبار بجمعون الخبر والمغربي والمغربي .

العملية الثانية : انشاء العلوم الإسلامية الضرورية للإسلام كعلوم

العقيدة والمبادئ والمعاملات . المحتاجون إلى إيجاد علوم آية تفهم العلوم
الإسلامية . فلا تفهم القرآن الكريم أو الحديث الشريف إلا بمعرفة اللغة .
ولا تعرف اللغة إلا بجمع مفرداتها وتفسير معانيها ، ولا يفهم معانيها
إلا من جمع الشعر وفقه مدلوله وضبط موازينه ، ولا انتهى إلى ضبط
الحركة الأخيرة ومعرفة صلة الكلمة بالكلمة من معاني الأعراب إلا بالبحر
ولا يصلح الانطلاق والمعاني إلا بالبلاغة . فأمس المسلمون وبلغوا امتداد
من الخارج كتب اللغة والمعجم والبلاغة والعروض والنحو والفرائض والنحو
والصرف وعلم المعاني وعلم الشعر واشتد الأدهي .

ثم أسوا علوم الحديث من علم رجال وطبقات ومصطلح حديث
وقد سبوا بالتجريح والتعليق وغنى الخط . ووضعوا علوم القرآن إلى
غير ذلك . ثم استخرجوا من الكل العلوم الإسلامية من فقه وفرائض
وحسبة وعقيدة وميثاق .

المصيبة الثالثة : وجد المسلمون الشعوب التي احتلها بن يوقان وهنود
وإيرانيين ورومان وفيرة العلوم كثيرة الكتب فكانوا ألقى منها مسألة
وأعظم منها دولة وأقل منها علماً . وهذا توازن على تعبى في الدولة
الإسلامية في خطر عظيم . فترجعت كل تلك الكتب في عملة المواضع .
لما مضى قرن إلا واللغة العربية التي لم تكن لغة مصطلبة بل هي لغة
بالإضافة حتى إلى نفسها قد صارت لغة مصدرة عالية بل هي اللغة
المصطلبة للعامة الوحيدة . وذلك أن كل لغة كانت مصدرة بالنسبة
إلى نفسها : فبما ترجم العرب من كل اللغات صارت العربية مصدر
المصدر ولغة العلم والأدب والفن والسياسة والبرلمان .
وأضاد العرب إلى فتوحات العقيدة فتوحات السيف ، ولعل فتوحات العقيدة
والسيف فتوحات القلم ، وأتموا دولة السياسة بدولة العلم .

والعملية الثالثة : هي تهذيب الترجمات والمعربات وتحسين اللغة والتركيب .

العملية الرابعة : شرح هذه المؤلفات .

العملية الخامسة : الاقبال على المؤلف الاصيل بالوسائل العربية . وتقدم العلوم واختراع الاختراعات والآلات والمآلف في المستحدثات التي احلها المسلمون في علم الهند والأدب والفن والملاحة والعسكرة والزراعة والصناعة وغيرها .

العملية السادسة : جميع ما تفرق من العلوم في موسوعات . أيضا رسائل اخوان الصفاء ، وذلك لتبسط ما وصل فيه العلم وتحرير مسائله وتقرير أصوله وتقريب مطالبه .

ثم جمع ابن خلدون التاريخ وقدم له مقدمة في العلوم التاريخية والسياسة والاجتماعية والاقتصادية : وجمع ابن فضل الله العمري العلوم الجغرافية وجمع ابن منظور العلوم اللغوية وجمع التويرقي العلوم الأدبية في كتابه نهاية الأرب في علوم الأدب . وجمع القفطندي العلوم الانسانية وهلم جرا .

لقد هو المسح المقتال الذي تم في الدولة الإسلامية والتي نحب اننا نأمله الآن في جميع الدول الإسلامية .

صحة العلم الإسلامي اليوم هذا الاعتبار هي حادثة في عهد الأمويين : دولة سياسة عظيمة تحتاج إلى استغلال علمي ومهني وإن أن تكون دولة علم إلى جانب دولة سياسة . فالعملية الوحيدة هي إعادة التعليم التي ذكرناها والتي تم بها المسلمين في بحر قرن الجمع بين دولة السيف ودولة القلم : والسيادة السياسية والزيادة الثقافية في العلم .

إن قراحت المهي بحد نقد أدب لغات مصيرية ثلاث قد درست

مواقع بلاد - التركية ثم الإيطالية ثم الانكليزية هي حسب فوائ
لغات الترجمة التي تعاقبت على البلاد . وقد ظل العارلون بالتركية . ونضال
عدد الذين يعرفون الإيطالية . ودار لغوية مكرمة المرموق في التعليم
فانخص نسب الانكليزية .

إذا كان الباحث قدّم يستطيع أن يقرأ المصدر في لغة الاصلية من
تركية أو إيطالية أو انكليزية فإن يصاحبه في لغات الأجنبية في انشئي
أن تسمح به بالبحر في المصادر وتناول مباشرة . فلا هو يستطيع قراءتها
بالله الاصلية الأجنبية ولا هو يجدها بالعربية مترجمة . بحيث أصبحوا
في لغة وعلى بوابة لغة . وعلى هذه الازمات بالنظر ليس لا يكون
إلا بذلك المسح الفقد الذي لم بالنظم الإسلامي في صدر اللغة . وعملات
لحج الثقافي هي الآتية :

العملية الأولى : عملية ترجمة . والترجمة تكون حسب الأصوات الثلاثة :

الأصل الأول - ترجمة المعوم والأقارب والمترجمين والتواريخ اللية
أي باللغات اللية القديمة من يونانية ويونانية ولاصينية . ولا ضرورة
لمعرفة هذه اللغات لتقل متبا فتوجد مترجمات لها بالانكليزية والإيطالية
والفرنسية يمكن الاستناء منها مباشرة . غالب هذه الكتب موجود في
المكتبة لأثرية متحف الشحات .

الأصل الثاني - ترجمة المصادر اللية التي كتبت بالإيطالية أو الانكليزية
والتي تسمى في الغالب بالمعوم الآتية :

١ - الحيوان اللبي .

٢ - النبات .

٣ - الزراعة .

٤ - طبقات الأرض .

٥ - الري .

٦ - الأكراد .

وكل هذه الكتب أو الرسائل أو المقالات مجسدة في شبكة العلوم
الطبيعية الـحيية الموجودة نسيج منها بمكتبة الجامعة ببغداد ومكتبة الآثار
بغداد . وقد أنامت هذه الشبكة بمزيد تقوية بالمقالات في هذه
العلوم .

ثم :

٧ - الموجات .

٨ - الفولكلور .

٩ - طبقات الأجسام الـحيية .

١٠ - تاريخ ليبيا

١١ - الفنون الـحيية .

١٢ - النباتات الـحيية .

هذه المواضيع قد درستها كتب الايطالية الصالحة بالنص الـحيية
ولا سيما كتب الدكتور استير دانيلا Ettore Danello ودكتور المعارف
الايطالية Zec.Hel. في مواد المدن الـحيية : طرابلس - مغازي
غات الخ ... وكلها معقبة ومثيلة بالنص .

الأصل الثالث - التعريب القصصي والأصيص والروايات والمسرحيات
والرحلات وكتب التاريخ التي كتبت باللغات الأجنبية الحديثة والتي عرضت
مواضيع الـحيية . وهي كثيرة وتغطي صورة أدب ليبي أصيل بطريقة أبناء
ليبيا من هذا الشباب الناهض .

العملية الثانية : وهي عملية مسح للثقافة اليبية وتشمل الأصول الآتية :
الأصل الأول - وضع معجم مختصر للشؤون اليبية فيه دراسة قصيرة لكل فصل وتلخيص الدراسة بأوفر المصادر الصحيحة بالموضوع مهما كانت لغتها .

والمواضيع على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول : اعلام الاشخاص من رجال أدب وعلم وسياسة وصناعة وجهاد واقتصاد وعسكرية في أي عصر من العصور عاشوا .
فأخذ شخصية عمر المختار مثلاً وترجم لها في نصف عمود وتلخيص بالمصادر .

وتستخرج عنه التراجم من :

الاعلام للزركلي . معجم المؤلفين لعمر زحاً كبحالة ، مكتب التراجم اليبية ، الدلائل الخاصة بياض ، الدباج المذهب لابن فرحون ، وموتقات الأستاذ علي مصطفى المصراحي الخ .

الضرب الثاني : اعلام الاسكنة اليبية من مدن وقرى ومدائر وولايات ورجال ومهول وأنهار وخلجان ورؤوس إلى غير ذلك .

تستخرج هذه الاعلام من كتب الجغرافيا القديمة والحديثة مثل اليخويين والادريسي والبكري وليون الافريقي (محمد الوزان) والنجاشي وكتاب الجغرافيا لبيبا . وتقبل كل كلمة بالمصادر بأوفر ما يكون .

الضرب الثالث : الكلمات الخضرية مثل سومبية ، جهاد ، حرب ، موسيقى ، طعام ، لباس ، سكن ، معار : أدب ، أدب شعبي ، زواج ، غنن ، طريقة ، إلى غير ذلك . هذه الكلمات على اختلافها من اعلام شعاعين واعلام جغرافية وكلمات حضارة ترتب ترتيباً ليجداً وتخرج على الاختصاصيين من النحويين والعرب والأعجب ، وترجع إلى

لجنة مركزية تتولى نشرها .

الأصل الثاني - ينقل ما يوجد في كتب التاريخ والجغرافيا والأدب والفنعة وترجم إسلامية ما يتعلق بليبيا وينشر في مكتبة على حصة تخص المكتبة الليبية على غرار المكتبة العربية لجمعية المكتبة الإسلامية ومكتبة الحرب العالمية . يفرض ذلك إنشاء قسم للعلم التاريخي فنقل فيه ما ورد عن ليبيا في ابن خلدون وابن الأثير والخروج وعلم جغرافيا . وفي قسم التراجم فنقل ما جاء في مدارك الفاضل عوامي والكشاف لابن فرحون والموسم الاصمغاني ووفيات الأحياء والوفاء المصغري وغيره جراً .

الأصل الثالث - وضع المجمع اتفاقية بالآثار والموسيقى والفنون والحيدون والأمكنة والعادات والتقاليد والمجتمعات بطريقة علمية .

مثل مجمع قصود ليبيا : مجمع المخطوطات البربرية والأمازيغية والعربية والتركية ، ومجمع الأمازيغية : ومجمع الأمازيغي ، ومجمع عادات البحر من ولادة وموت ودفن ودفن : ومجمع الأمازيغية ، ومجمع المصنوعات التقليدية الليبية ، ومجمع الفنون الشعبية . ومجمع الفنون على اختلاف الصور إلى غير ذلك .

الأصل الرابع - جمع المخطوطات الليبية الموجودة في الداخل والخارج ونشرها نظراً عنها مع المخطوطات الماثرة .

الأصل الخامس - جمع ما يوجد في خزائن الدول من وثائق دبلوماسية وعسكرية وغيرها ونسويها لنشرها في دار المخطوطات الليبية ونشرها في مجاميع .

الأصل السادس - جمع الصحف الليبية التي توجد في متصرف الخارج ونسويها لنقل صورة منها للصحف الليبية بطرابلس .

...

كل هذه الاصلان تحتاج إلى هيئة تشرف عليها وتسيرها . فلتسهم
هذه الهيئة بمعهد الدراسات الالهية أو للجمعية العلمي العربي ، بالأمر بمرء
إلى اخواننا القريبين أنفسهم . ولكنه من الأهمية بمكان وهو طويل النفس
فالبادرة أولى . وفوق كل ذي علم عليم .

فيان الكمال

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

آراء في تفسير طبيعة الأصالة عبد الله بن عبد الله

للدكتور شكري جعفر
أستاذ مادة اللغة في جامعة القاهرة

استرعت ظاهرة الأصالة أو الابتكار أو الخلق أو الأبداع في العمل الفني ، بما فيه الشعر ، وفي العلم ، انتباه الباحثين منذ أقدم العصور . غير أن الباحثين القدماء لم يستطيعوا ، لعوامل اجتماعية وعلمية معروفة ، أن يفسروا طبيعة هذه الظاهرة السايكولوجية تحسراً مقبولاً عقلياً لنا للامرة . ويبدو أن المحاولات الجديدة التي بذلت في هذا السبيل ، في ضوء المعرفة الحديثة ، لم تبدأ إلا في النصف الثاني من القرن الماضي . وقد ارتبطت أصالة التفكير : منذ ذلك الحين ، بالعقيدة : التي تكبر من التعيين بدولتها وإن انحرف هؤلاء ، إلى درجة التناقض أحياناً ، في تفسير طبيعة العقيدة وكيفية حدوثها عند بعض الأشخاص دون غيرهم . وهناك مؤتمرات علمية ، عليا وعلى الصعيد الدولي ، لدراسة

هذه الظاهرة دراسة تحليلية ، مستفيضة بالنظر لأهميتها في نظر الفرد والمجتمع
على حد سواء^{١١} ، فنشأت لي بحري البحث الآراء التالية :

أولاً ، رأي بوردو :

أوضح بوردو (١٨٣٥ - ١٩٠٩) ، الباحث الإيطالي وجهة نظره
في العبقرية في كتابه : «حجاب العبقرية» في الفصل الذي سماه «العبقرية
والجنون»^{١٢} التي نشره في أعقاب دراسة خاصة تناول بها بعض
الشخصيات العلمية التي اشتكت بالامهالة واختراب السلوك في أواخرها ،
ولمنا نجد بوردو يعتبر الشخص العبقري فلكة بالجنون من تلك الطبيعة
لأن العبقري يختلف عن الشخص الاعتيادي : بظهوره ، بخلقه الزاك
تكوين دماغه من الذخيرة التشريعية الباثولوجية : وإن علم الأتراك هذا
يظهر عند العبقري ، على ما يقول بوردو : إذا تضخم بصره في حجم
الدماغ أو تضخم المسحوظ كما هي الحال عند المصابين بانصرع ، الداء
الجنون ، على ما يصعبه بعض الباحثين . ولذا ربطت العبقرية بالجنون
من تلك الحين ، ولما كان رأي بوردو هذا مرتبطاً بأرضي الارتباط برأي
في تفسير طبيعة الأجرام وما ننظر لكون الباحثين اعرب قد تولوا ذلك
عداية كبيرة فلا نرى سبغاً للتحويل في تمهيد هذا الرأي بل تكشف
بالنظر الذي ذكرناه .

ثانياً ، وجهة نظر كالون :

شرح السير فرانسيس كالون (١٨٢٢ - ١٩١١) العلم البريطاني

وجهة نظره في تفسير طبيعة العبقرية في كتابه العبقرية الموروثة^(١) الذي نشره عام ١٨٦١ : وفي أبحاث أخرى لاحقة في اعتقادات دراسة تحليلية مقبولة أجراها على طائفة من رجال الفكر البريطاني في حقل السياسة والاقتصاد والقضاء والعلم الذين تربطهم روابط القربى والنسابة. فوصل الى تعريف العبقرية على أساس أنها : « قدرة عقلية عليا فطرية فريدة » أو أنها « ذكاء حاد يقدّر به بعض الأشخاص دون غيرهم » . ثم اعترف كالتون ، في مني بحثه الأخيرة ، الى « الانكسار الطارقي » : في تفسير طبيعة العبقرية ، صفات أربعة أخرى اعتبر تلاحماً منها لطرية وحزب الرابعة الى عناصر بيئية^(٢) . هذه الصفات الأربع هي :

١ - استقامة أو انحناء : بمعنى جريان تصور الذهنية والأفكار عند العبقري جرياناً غير عادي يحدث للقياس أو بصورة خطية ، وتعقل المدح السلوك بالأفكار التي الجديدة قادر ، من وجهة نظر كالتون ، على جعل تلك الأفكار تناسب مخرجه يسر وتتابع والسجام وتكامل دون ان يصدها حتى من أي نوع كان .

٢ - المثقبي أو الاستقبال أو التسليم : بمعنى استجابة لشعر العبقري يسر ما يجري حوله من مؤثرات بيئية غير محدودة المقدار والتنوع .

٣ - الانغماس : الذي هو ، عند كالتون ، حس نفسي يترك انظر من لفافضة المستعصية بشكل مباشر دون الامتناعية بأداة حسية أو واسطة باقية .

٤ - الشهامة التي تبدو في المثابرة ومواجهة الجهد الفكري المضني والتفهم الصحيح بجملة وكفاية وثقة بالنفس .

أما طريق : صنع « العباقرة » عند كالتون ، فهو تحسين النسل Eupenesis الذي يتم عن طريق تزاوج افراد الأمر التي تنصف بالعبقريّة.

وقد أدى انتشار مبدأ : تحسين النسل ، إلى نشر جمعيات خاصة تدعو إلى تطبيقه وتطبيقه في أوروبا الغربية وفي الولايات المتحدة : فتأسست أول تلك الجمعيات في الولايات المتحدة في عام ١٩٢٦ ، ثم اتسع نطاق هذه الدعوة فانتقل إلى الجامعات ومعاهد البحث العلمي في فرنسا وإنكلترا والولايات المتحدة التي سيطرت فيها تشريعات خاصة أهمها : قانون التلقيح الذي وضع موضع التنفيذ في ولاية كاليفورنيا قبل اندلاع حرب الحرب العالمية الثانية . وأخطر عجلو هذا المبدأ ينشرون مجلة شهرية تنطق بأصواتهم منذ عام ١٩٢٨ . كما أن مؤتمرات دولية متعددة قد عقدت لمناقشة قضايا : تحسين النسل ، أشهرها مؤتمر نيويورك في عام ١٩٣٢ الذي أوصى بضرورة انتقاء العناصر ، الأكفيلة ، من السكان وتشجيع تزاوج أفرادها : وبحذف الأوساط الاجتماعية « الخريبة » أو « المتدهورة » من التفاضل وذلك عن طريق العزل والتعقيم وعن طريق التشريع المراجع . وقد استعمل ذلك كله على أوسع نطاق في الآلية التالية كما نتفق من رأي كاشمور في : « عبقرية الموروثة » ، مبدأ : « الذكاء القطري » الذي ترجمه منذ مطلع هذا القرن شارلي سبيمن عالم النفس البريطاني ، ومبدأ : « الاختبارات » أو « مقاييس الذكاء » التي تسمى به ، في مطلع هذا القرن أيضاً : ألفرد بيني (١٨٥٧ - ١٩١٠) طبيب الفرنسي .

ثالثاً ، رأي كريشمر :

شرح كريشمر : علم الأمراض العقلية الألماني ، في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، رأيه في تفسير طبيعة عبقرية بكتابه : « علم نفس ذري العبقرية » الذي نشرته ترجمته الانكليزية في عام ١٩٣١ ، بالامتنان إلى وجهة نظره في تفسير طبيعة الأمراض العقلية التي شرحها في كتابه : « البيئة الجسدية والخلق » الذي نشرته ترجمته الانكليزية في عام

١٩٦٥ : ربما ان وجهة نظر كريتشمير في تفسير طبيعة الامراض والاختلاف المزجة الثامن او مظاهر سلوكهم : وهي اساس رايه في تفسير العبقرية : ثم تلقى العناية التي تستحقها لدى الباحثين العرب فقد أثرت شرحها ، بشيء من الاجاز غير النخل : تمهيداً لتوضيح جوهر العبقرية عند صاحبها .

ينقسم البشر عموماً ، من وجهة نظر كريتشمير : الى ثلاث مجموعات او انماط كبرى من حيث اللامع البارزة في تركيب اجسامهم . هذه الانماط هي :

أولاً : النمط الضعيف *Weakness* الذي يصف وجهه بالطول والاضراج القليل في نهاية الغضل : مع قك اغفل خمار بعض الشيء : وبوجه هل نسق الجسم يتصف بالنعافة والامتداد من طراز ابراهيم لنكان احد رؤساء جمهورية الولايات المتحدة في القرن الماضي .

ثانياً : النمط القوي الجسم *Strength* من طراز المنخصصين برفع الاثقال من ذوي العضلات الفتولة والوجه الذي يشم بروز عظامه ودفعة حركه وبألفه الخاضع *Recessive* .

ثالثاً : النمط الغليظ الجسم القصير *Pygmy* صاحبه الوجه المستدير الذي تبدو عليه سمات الصحة والانشراح : مع ذقبة غليظة قصيرة .

ينقسم أونتث جميعاً من ناحية امزجتهم الى نوعين : كثر يقول كريتشمير : هما النمط الشكس على تصه والنمط النبط الذي يجتمع نحو الاختلاف بالآخرين . يتصف اصحاب النمط الانطوائي *Schisoid* عند تعرضهم لالمرض العصبية : بظهور الوسواس والاوهام وهم المصابون بالزولونيا . اما في حالتهم الطبيعية *Schizothyme* فيشعرون بالفساد

والانزواء والتهيب وبالطوار ولوناء ودراسة الاخلاق والكامل في مطاع
الطبيعة . وأوضح مثال على ذلك النمط : حيث كريتشمر : ابراهيم
لنكولن ودي فايرا الزعيم الايرلندي ومعظم ملوك النكلترا من أسرة
ستورت ولعالم الفيزيائي روبرت ماير الذي اكتشف مبدأ حفظ الطاقة .
هذا النمط بالنمط *Psychic* فيكشف افراده ، عند تعرضهم للاضطرابات
العصبية : بنوبات عصبية متكررة متعاقبة تفراخ بين الكتابة والرسو .
أما في حالتهم السليمة *Psychic* فيصفون بانظرف وزوج المصاصة
والغذاء ورقة القلب ولتأرجح بين الحب والبغض السريع لانفسهم .
ويشير كريتشمر نحو هذا النمط الانساني افضل من يمثل هذا النمط وقد
حل بحرق حياته تحليلاً مفصلاً لا يرى لزوماً يبعث .

لما العنصرية ، في رأي كريتشمر : فهي الخرافات بالتولوجي عصبية
وراثي موجود لدى بعض الأسر المصابة بالشذوذ العقلي . ويستشهد بالمرءة
بتحرق دخولي روبرت ، وياخ ويخطئ الخيل . وقد حدد كريتشمر
صفات عقلية معينة تملو حامل العبارة المرضي الذين هم من نمط
Psychic تميزهم عن العبارة المرضي الذين هم من نمط *Psychic* .
كما حدد أيضاً صفات عقلية خاصة ومختلفة منوعة معينة تميز
العبارة المرضي الاصاب والتمالين تميزهم عن العبارة المرضي لعلهم في
كل من الشخص على افراد . العبارة الادباء والمخاضون المرضي من نمط
Psychic يصنعون ، على وجه العموم ، بنظر كريتشمر : تميزهم
نحو الرومانسية والشككية عموماً . في حين ان العبارة لعلهم المرضي ، من
هذا النمط ، ينجحون نحو الامتد الميخزيقية والنسبة المجردة . اما
الاكباء والمخاضون المرضي من نمط *Psychic* لهم : بنظره ، واقعيون
وهزبون في العادة وكذلك العبارة لعلهم المرضي . من هذا النمط ،
فانهم واقعيون أيضاً ينجحون بشدة للخصومات ولا يكتولون بدوام
التفريات والتفانيا الفكرية المجردة .

يعبر كريشمر ان غوتي (جيت) الفصل من يمثل النمط البسيط، وان جسمه من النمط الغليظ القصير ؛ وان حياته كانت مسرحاً لتوسعات عضوية متبادلة تصبغها الكتابة او العلم حياً وتضمرها اليهجة ولزهر لحياتاً اخرى . ولد بدأت اولى ارباب الزهر عندما بلغ غوتي ثلاث عشرة من عمره في عام ١٨٩٧ أثناء وقوعه في غرام فتاة تدعى كاتلين سكوتيكوف. ثم اصبحت نوبة الزهر هذه نوبة غم وانكماش وتزمت في الشين، امتصرت سبع سنوات خشد بعدها غوتي في عام ١٧٨٠ لتترك عنه الرمي ، دون ان يجبر رئيسه او يحصل على اذن منه ، وظهر فجأة في ايطالية حيث ارغمي بالحضام النجون الذي قاده الى ان يتزوج لفتاة حاملة من اسيرة تضطر الى السبعة المحترمة . ثم عاد من جديد الى حياة الركود . واخذ يتراجع بين الحالتين بفترات متعقبة تفصل بين كل منها سبع سنوات حتى عام ١٨٣٠ . وكانت له مبهت ذلك فترة عجيبة بدأت في عام ١٧٩٤ عندما الام غوتي علاقة صداقة مربية مع الشاعر شيلر بعد جفوة امتصرت بينها سبع سنوات ، وكان يقع في نهاية كل فترة من الفترات الاربع الواقعة بين ١٨٠١ و ١٨٣٠ بغرام إحدى الحيات . كل ذلك لاحظته كريشمر . كما لاحظ ايضا ان اسيرة غوتي كانت تصنف بالانحطاط العقلي الذي هو اقرب من البقرية التي هي من النمط المبسط . فانه كانت ذات جسم من النمط القصير الغليظ ؛ ومزاجها من طراز *Pyelothymic* . مما ابره فكان غريب الاطوار . ومع لغوته الخمسة فكانوا ضعاف الاجسام : مات اربعة منهم في سن مبكرة إلا احد كورنيل التي كانت من نوع Schizoid وتوفيت في السابعة والعشرين من عمرها بعد ان عاشت مضطربة الاعصاب غير موية مصابة بالارهاق والوساوس .

ومن الطريف ان تشير هنا الى ان كريشمر يستبعد النساء من حضيرة العذرة إلا في الحالات التي تنصف لها بعضهن بعض صفات الرجال ، كما يقول ، مثل الشاعرة الالمانية دورست وملكة بريطانيا

انزياحت الاولى والامبراطورة كاترين الروسية وملكة السويد كريستينه .
ويعزو برودهن التاريخي الى كورنيل ، بطريرك : رجالاً ، يري نساء .

رابعاً : العبقرية من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي :

أ - رأي فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) :

احرب فرويد عن وجهة نظره في تفسير طبيعة العبقرية ، في المجال
الذي بصورة خاصة : في امكاني شئ من الابتاع في التحليل النفسي ثاني
في طبيعتها دراسة المستفيضة لحياة ايونر دو دافنشي وملاحظاته العامة
المتعلقة بحياة درمويكسكي وبعض روايات شكسبير . وقد جرت هذه
الابتاعات في اطار نظريته العامة في تفسير جميع مظاهر السلوك والاحلام
من حيث هي رغبات مكبوتة في اللاشعور ، جنسية المحتوي في الاعمل ،
تتخذ مبدان الرموز واجهته او متناوياً لتسريها الى الحياة الشعورية تغافياً
لاستبدانها بتقاليد المجتمع والفضيلة الفرعية التي لا تسمح هذا بالتعبير عن
نفسها إلا بالهوية الرمزية المقسمة^{١٣} .

لنقتطع فرويد حوادث خارجية او الحارات حادثة وردت على السنة
الشخصيات الأدبية التي درمها واعتبر ثلاث الاشارات مفاتيح يداك بها المستغلق
من حياة أسطحها بعد ان فسرها بالشكل الذي يرتضيه في ضوء نظريته
العامة لأن غرض التحليل النفسي ، عنده ، هو الكشف عن المحتوى
او المضمرات اللاشعوري او الامناس الذي تستند اليه الواجهة الرمزية للتدخل في
اعمال الفنان والكشف عن الرابطة بين هذه الواجهة الرمزية وبين الواقع
الذي يعيش الحدث فيه .

اما العبقرية الفنية ، عنده : فهي « قدرة فطرية » او « طاقة
حيوية » Libido تساعد صاحبها على تحويل محركات اللاشعور الى عمل

ففي واقع يشتركه الآخرون السمع به ، وإفنان التفكير أو الأصل حزمة
 كالعالم الخلاق ، هادة ، فطرية ، خاصة أو ، طاقة حيوية ، تفرد
 جذورها في ، أرض ، اللاشعور وتحدد انفعالاتها وفروعها نحو ، صماء ،
 الواقع الموضوعي أو البيئة التي يعيش فيها الفنان . معنى هذا أن ، الطاقة
 الحيوية : - الجنسية المحوى في الأصل - الطاقة الكلية الموجودة لطرباً
 لدى بعض الأشخاص - عابرة - من الممكن أن تنجبه ، في آخر النصف
 أثناء مجرى الحياة ، إلى حقل الفن أو إلى مجال العلم فبرز صاحبها في
 المجالين مع تغلب أحدهما على الآخر وفق الظروف البيئية المحيطة والتأثير
 الذي يمتد هذا العنصر أو ذلك في أحد المجالين المذكورين . فلو
 تأرجح ليونارد دافنشي بين الفن والعلم وبرز طبعاً في فترة من فترات
 حياته لكنه انتهى بالعلم في أواخر أيام حياته حتى حساب الفن . أما غوتو
 فقد صار بشكل معاكس لانتهى بالفن وقام العلم وتفرغه إلى درجة
 أصبح فيها من مثاوي نظريات نيوتن في الفيزياء .

يقول فرويد^{١٤} : إن الإبداع الفني شكل من أشكال الأحلام الموجهة
 نحو العلم الخارجي لا نحو الذات . والأحلام ، عند فرويد ، وظيفتها
 الصلة بالفن وإن كانت تختلف عنه في الهدف أو الغرض : فغرض الفن
 البحث عن الحقيقة ، وغرض العلم تجنب الألم . أي أن العلم يسيطر على
 جميع مظاهر الحياة بما فيها الفن ، ومن الجهة الثانية فإن العلم والفن
 يبران أبعداً ، بنظرة ، عن دوافع مكبوتة بسبب عدم السماح بالتعبير
 عن نفسها شعوراً وبشكل صريح . ولهذا نجد أن بعض الفنانين قروموز ، على
 ما يقول فرويد : اسماً للتعبير عن عثراتها . والفنانون جميعاً ، بدون
 استثناء ، برجسيون : بمعنى أنهم يحبون ذاتهم حباً جنسياً : - أي أنهم
 ذرو ملفات جنسية على حرار ما هي عليه عند العقل *ego* - *superego* :
 حيث لا يتجده الدافع الجنسي نحو الأشخاص الآخرين بل نحو الذات
 نفسها . معنى هذا أن الإبداع الفني حالة جنسية بآولوجية شاذة من

وجهة نظر فرويد ، وإن الفن ، في مراحله المايكولوجية الكبرى ، ومبدأ من وسائل الهروب من الواقع المر الذي لا يستطيع الفنان أن يتجسم معه . وهنا يعني ، بعبارة أخرى ، أن الفنان يقطع عن إشباع ميله الغريزي الأصلي بالأسلوب الطبيعي للألف وذلك باستعمال أسلوب آخر يتخذ الفن مبدأً له مستعياً بالحيول باعتباره وسيلة التعبير عن نفسه . أي أنه ينطلق بالتبالي المبتنع أو الجامع بعيداً عن الواقع المر ليعود من جديد إلى نوع طري من الواقع .

ب - وجهة نظر يونك (١٨٧٥ - ١٩٦٦) :

بحث يونك موضوع الأمثلة في العمل الفني والأدبي في مقال عنوانه : علم النفس والأدب ، نشره في كتابه : الأمثال الحديث في بحث عن الروح . : ١٨١ تناول يونك : بالبحث المفصل : أمثلة الشاعر الألماني خوتي . كما بحث له تلك الأمثلة في رواية غاوست التي شرحها في ضوء افتراضاته المايكولوجية الأساسية الثلاثة (: العلاقة الحيوية ، Libido ، والامتزجة البشرية أو الانحطاط والاشعور الجمعي) ونقش عرضاً وجهة نظر فرويد التي مر بها الحديث عنها .

افتراض يونك أن لدى كل شخص : طائفة حيوية ، وأنها تأخذ أشكالاً متعددة تختلف عند الأفراد حيث يعبر كل فرد عن : طائفة الحيوية ، بأسلوبه الخاص . أما الانحطاط فزلفة ، عنه ، من صفات أربع متميزة تختلف متغير بعضها بالنسبة لبعض بالتحولات الأخرى . هذه الصفات الأربع هي : الانحطاط والفكر والالهام . ونفس عنه : يتسبون ، من حيث انزجهم ، إلى قسمين متباينين : أحدهما اجتماعي النزعة يحب الانحطاط الآخرين ويرغب في العمل الجماعي المشترك : Helmsen . في حين أن القسم الآخر يشعر منحنى معاكساً فهو ينظر إلى

نفسه interact على نحو الانزواء او الانكماش . ويتضمن كل من هذين المتضمن الكبيرين ، بنوده ، الى اربعة انماط فرعية تظهر في كل منها الصفات الاربع المذكورة بمترتبة بسبب غير متكافئة الامر الذي يؤدي ، بنظر يونك ، الى نشوء ثمانية انماط فرعية اربعة للنمط الاجتماعي وحدها لنمط الانكماش . هذه الانماط الفرعية الاربعة بالنسبة لنمط الاجتماعي هي :

اولاً : النمط الاجتماعي التزعة الحسي الذي يدرك ظواهر الطبيعة والتجميع ادراكاً حسيّاً بالدرجة الاولى وذلك لطغيان الجانب الحسي عنده على اجواب الثلاثة الاخرى . وهو تقيض النمط اللهم .

ثانياً : النمط الاجتماعي التزعة العاطفي الذي يدرك ظواهر الطبيعة والتجميع بمواقفه ومشاعره المتصفحة بالدرجة الاولى وذلك لطغيان الجانب الانفعالي عنده على اجواب الثلاثة الاخرى . وهو تقيض النمط المفكر .

ثالثاً : النمط الاجتماعي التزعة المفكر التي يدرك ظواهر الطبيعة والتجميع بشكليه بالدرجة الاولى وذلك بغلب التفكير عنده على الحس والملاحظة والافهام .

رابعاً : النمط الاجتماعي التزعة اللهم الذي يدرك ظواهر الطبيعة والتجميع والافهام الاحسي بالدرجة الاولى وذلك لغلب الافهام عنده على الحس والملاحظة والتفكير .

اما الانماط الفرعية الاربعة الاخرى بالنسبة لنمط الانطوائي فهي على نقيض ما ذكرناه لكنها تشترك جميعاً بتزعة الانطواء على النفس .

ذلك ما يتصل بالفراضين السايكولوجيين الاساسيين الاول والثاني ، حيث يوفت . اما ما يتصل بالفراض الثالث فن الممكن تلخيصه بالشكل التالي : يقصد يونك بالاشعور الجمعي ما سمّاه : الاوهام او الاساطير ولذا تدرجات الموجودة . نظرياً و لئلا يكتفى كل من منقولة اليه بالورقة

البيولوجية عبر الأجيال المتعاقبة منذ أقدم العصور إلى اليوم . ولهذا قلنا
خليط غريب الشكل من المراتب التي نشأت لدى أسلافنا الأقدمين الذين
عاشوا في الماضي السحيق . وإن الحياة الشعورية لدى الإنسان تستند :
كما يقول يونك ، إلى مشروبات الأشعور الجمعي التي تتلفح على
الحياة الشعورية .

يقول يونك :^٤ : « لن فرويد : درن وجه حق ، أنه صر على اكسير
لعن النبي الأصيل في أحلك الفنان ذاته دون النظر إلى الأشعور
الجمعي . واستمر يقول : لنا نرتكب خطأ فاحشاً إذ حاولنا أن نختق
عضلة الفن من العوامل الشخصية مع المعنى في الفن من حيث اختيار
موضوعاته . وإن تركيز الاهتمام في الجانب الشخصي هو في الواقع اتفاقية
لتطوير الفن وحتى جريئة تركيها بحقه . وكلما زاد اهتمامنا بهذه العوامل
الشخصية أو الذاتية زاد بعدنا عن الجانب النبي الأصيل . إن ما هو أساسي
في العمل الفني الخلاق هو ، مني ما يقول يونك ، أن هذا الجانب
الشخصي أو الذاتي لا بد أن يرقى إلى مستوى الحياة المثالي التي يشدها
الروح الإنساني معبراً بها على لندن الفنان . معنى هذا أن الخبرة اللاشعورية
الاصيلة *personal* المشعة لدى كبار الفنانين من مكونات الأشعور
الجمعي ، هي مصدر الأبداع الفني عندهم ومعنى الذي لا يشبه . ربما
أن كل عصر من العصور التاريخية له طابعه الخاص وتشعباته المعنوية :
على ما يقول يونك : أو برؤية العايكولوجي الذي يستلزم تكيفاً تعريفاً
تماماً كما هي الحال عند الأفراد فمن ما هو ذواهية خاصة للرعاة الفن
الأصيل ، في هذه التعريفات اللاشعورية الجماعية : هو أنها توافق
تكيفية تعريفية عن الحياة الشعورية . معنى هذا أنها تخرج نحو الانسجام
مع حالة شعورية وحيدة الجانب أو مبتورة غير متكاملة أو منحرفة كلياً
وغفوة تدور كأنها حالة طبيعية . ونستدل على ذلك : بنظر يونك :
من كون الفنان القائد لذلك يسمح لنفسه بأن تقومها برغبة جوهية خفية

غير معبر عنها انبثقت من روح العصر الذي يعيش الفنان فيه فتجسده
بوجه ، بالقول أو بالفعل ، نحو تحقيق ما يسعى إليه كل شخص بعاصره
بشكل اعنى وبصرف النظر عما اذا كان ذلك السعى المرغوب فيه شراً
او خيراً : يخفت آلام ذلك العصر أو يزيد من متاعه .

يقول بونك^٨ ان العملية التكوينية التمريرية المتوارث إليها تظهر بوضوح
بارز : بجانبها الاجتماعي : في الأحلام وتظهر : بشكلها السلي ، واضحة
لدى الفنانين النصابين بالاضطرابات العصبية . وهنا تنبؤ ، على ما
يقول بونك ، وجهة افراض فرويد الذي مفاده ان الفنانين : بدون
استثناء ، نرجسيون وغير متكاملين النضج الجنسي وأنهم اقرب الى الخطأ
أو الاطلاق الهدمين - يفتح الالم - الذين تفتي الحياة الاجتماعية بطنها
ووضارها على كراهتهم الطرية منذ نعومة اظفارهم فيزداد اهتمامهم
بذاتهم ونشأ لديهم مزاج اجتماعية رديئة ، ينظر المجتمع ، فيستبرون
طواك حياتهم اعتدلاً في تعبيراتهم الانفعالية ضعفاء امام متاعب الحياة الامر
الذي يحث لهم خرق شرائع الاخلاق والخروج على ما يراه القانون ويشكك
بإيجابية واضحة .

الفنان الخلاق ، عند بونك ، هو الذي يسمح للفن ان يعبر عن
نفسه برسالته فيحوّله بنفك الى انسان « جمعي » او شخص يصنع الحياة
للاشعرية الاجتماعية لتتوح الانساني عبر تاريخه الطويل ويعد مجموعها وفق
مستلزمات روح العصر الذي يعيش فيه . ولهذا فان طارست ، من وجهة
النظر هذه ، هو الذي خلق خوئي لانعكس كما يغفل الباحثين السطحيين .
معنى هذا ، بعبارة اخرى ، ان الفنان المبدع مزيج متكامل يتناسق من
اتجاهين متناقضين اولهما حياته الخاصة وثانيها عملية الابداع الفني للاشخصية .
وان الاصلالة الفنية نوع من انواع الميول الفطرية المخزنة تحبس صلاحها
بنفس في الفن باعتباره ذاته ، وان هذه القدرة الفنية الخاصة تعني صرف

أو استئناف مقسّم كبير من « الطاقة الحيوية » في حقل الخن دون
سواء الأمر الذي يؤدي إلى إثراء الجانب الفني على حساب إهمال جوانب
الحياة الأخرى . ذلك لأن كل فرد من مزود ، بنظر يونك كما لمناقشة ،
يقدر بعين من « الطاقة الحيوية » وإن هذه « الطاقة الحيوية » تنحصر
عند الفنانين على الفن وحده .

يتخذ يونك غوتي موضوعاً يستدل به على صحة وجهة نظره تماماً
كما فعل كريستجر بطريقة الخاصة بالشكل الذي تحدثنا عنه . غير أن
يونك جعل فلوست محوراً لتحليل شخصية غوتي وقسمه قسمين على أساس
الجانب السايكولوجي ودعا الآخر الجانب الخيالي واعتبر الفرق بينهما بأنه
الذي يميز الإبداع الفني السايكولوجي عن الإبداع الفني الخيالي .
فالجانب السايكولوجي المستند من واقع الحياة بما فيها من خدمات تفصيلية
وأزمات نفسية قد عبر عنه غوتي روح تعبير بحيث يصغر هي الخبير
جاءوا من بعده أن يشبهوا إليه شيئاً جديداً أو أن يعيدوا صوغه . ولم
يترك غوتي ، على ما يقول يونك ^٨ : « بدلاً من أن يكون الشخص ذا حزن ،
مزيد من التحليل السايكولوجي إلا ما يتعلق بالكشف عن الامتياز الخفية
التي جعلت لارست بيم بفرام كريستجر والمعامل التي دعت هذه التحليل
طفتها . وقد يبدأ الجانب الخيالي في الإبداع الفني للتعبير بتسوي لارست
ومعناه : ويبدأ الاستمرار عن علاقة الجزء الأول من فلوست بروح العصر
الذي عاش فيه غوتي . أما الجانب الثاني فيستلزم شرحاً وتفسيراً لمصعنه
العام ولكن لفرة من فوائده على الأفراد . ولا يرى يونك أي عيب
لاعتبر أن القسم الثاني من فلوست يتلخص أو يعد أو يتبع ما هو موجود
في القسم الأول ، كما لا يرى عيباً أيضاً لمولي كذلك لأن غوتي كان
شخصاً سورياً عندما كتب القسم الأول من فلوست في حين أنه أصيب
بالانهيارات العصبية عندما كتب القسم الثاني منه .

نحاساً : وجهة نظر بونكاريه (١٨٥٩ - ١٩١٢) : شرح هنري بونكاريه ، عالم الرياضيات الفرنسي ، وجهة نظره في الاصالة ، في عقل التفكير الرياضي ، في محاضرة القاء في الجمعية التكنولوجية في باريس عام ١٩٠٨ عنوانها : الابتكار الرياضي ، نشرت بعد ذلك ، مع مقالات أخرى ذات علاقة ، في كتاب عنوانه : العلم والاصول ، ١ . وضع بونكاريه ، في تلك المحاضرة القصيدة ، كيفية توصله الى اكتشاف بعض المبادئ الرياضية العامة التي ارتبطت باسمه واساطير التمام عن الظروف الاجتماعية التي احاطت به أثناء ذلك .

كتب بونكاريه ١ : فيما يتعلق بتوصله لأحدى معطياته الرياضية في موضوع Riemann Function ، القصيدة الطويلة التالية : كنت اجلس يوماً في مكتبي واصرف من قلبي ساعة او ساعتين لمدة نصف شهر ألهم أثناء ذلك بوضع معادلات رياضية متعددة للوصول الى الحل الصحيح لمسائل لرياضية التي بين يدي . وقد تناولت مساء أحد الأيام قضباناً من القهوة ، بخلاف عادتي ، فعلمت حل " الرقود وبدلت ، وأنا مشتت على الخرائط ، انفس ذهني في افكار رياضية ومعادلات لا حصر لها : اثبات على ذهني اثباتاً - أثناء لوفي - بشكل مترابط احياناً ومفكك مبتر احياناً أخرى . ومصادف ان حصلت في ذهني ، في مجرى ذلك كله ، ارتباطات منطقية مستقرة نسبياً بين بعض تلك الافكار . وعندما لبثت الفجر اسرعت الى مكتبي وبادرت بكتابة ذلك في بعض ملاحظات . وفي ساعة أخرى بشأن موضوع Elliptic Function و Theta Function ذكر بونكاريه انه تعلم حلها الوصول الى حل رياضي متبع فتوقف مؤقتاً عن مواصلة الجهد . ومصادف انه اشترك في سفرة علمية جيولوجية ، مع خبراء اختبرتهم مؤسسة التاجم الفرنسية ، ولحقى ، أثناء السفر ، كل شيء بمعنى عمله الرياضي السابق وشغل ذهنه بأسرار السفر . وعند وصوله ، كما يقول بونكاريه ١ ، قريباً من الموقع المطلوب (مكان

علينا ان نركب إحدى سيارت النقل الكبيرة لوصولي الى ذلك المكان
ورد لي ذهني الحل المطلوب بمجرد وضع اسمي على سلم السيارة بعد
ان نسبت كل شيء أثناء السفر . وبعد عودتي ان منزلي في نهاية السفرة
تحققت بالفعل من صحة ما ورد لي ذهني ودونته على الورق . وفي
مناسبة اخرى تحول انتباهي ، على ما يحدث برونكاريه ، الى معالجة بعض
المسائل الرياضية فسمعت الى انجساردا بجهد فكري متواصل ولكن دون
جدوى . فحسرت النظر عن مواصلة الجهد مولداً ولحظت ذهني بأمر
اخرى عندما قررت قضاء بضعة ايام على شاطئ البحر ، وفي صباح
احد الايام ، عندما كنت اسير على الشاطئ وبدأت تنظر البحر ،
وردت لي ذهني فجأة طلائع حل المعضلات الرياضية التي تركتها دون
حل وتعبت كل شيء عنها أثناء وجودي على شاطئ البحر . وعنده
عودتي لي منزلي انزلت القلم والورق ودونت الحل الصحيح بدون حياء ،
ويسمر برونكاريه في حديثه الطريف هذا ريثما تذكر ان بامتصاصه ان يشعر
في الاستشهاد بأشدة من هذا القبول كان قد خسرهما في بحري حباله الحسية .
وقال ان الشيء البارز ، في ذلك كله ، هو هذه الوضعية النفسية الخاصة
التي هي ثمرة حل الاشعوري متواصل طويل لا شك به .

يوضح ان ان برونكاريه يتحدث عن ، ويشرب الاشته على ، كعباً
ورود الحل الصحيح للمسائل الرياضية المستعصية بشكل مفاجيء وعفوي
وفي ظروف انشغال الذهن بأمر اخرى ، وانه يعزو ذلك الى نشاط
الاشعور اذ النفس الحسية ، هي ان نشطة انطوائها ، في ضيق
المسألة الطوائف المألوفة في عالم الرياضيات : هي ان الانحدار
الرياضي هو في جميعه ترابط يحدث بين الافكار البعثة او تلك ذليل
بين ما يبدو ظاهرياً كأنه منزل منها عن بعض . وقد شدد برونكاريه
كثيراً ، في وصفه عملية الانكسار في مجال الرياضيات ، على الجواب
الاشعوري التي تظهر بشكل سريع مفاجيء عند نضجها . وذكر ان

الترابط الأكثر خصوصية ، ينتقبه الذهن من بين حلود متراحة من الترابطات
 لغمية والاقلي خصوصية ، هو ذلك الذي يستمد مقوماته من مجالات متباينة
 بصورها ، اللاشعور أو ، النفس التصانية ، *sublimated* ، أما كيف
 يحدث ذلك ، بنفرد ، فهو على الشكل التالي : توجد دائماً ارتباطان
 لدى الشخص هما الشعور واللاشعور الذي يستطيع ان يبرز بلباقة وبإتقان
 بين الأشياء من حيث أهميتها البتقي أكثرها ملاءمة بما لا يرقى إليه الشعور
 شريطة ان نسبق هذا ونستند لفترة تبرز شعوري تزود الذهن بأداة الانشاء
 البدائي أو السهيدتي الذي نتخكك فيه أو تعزل الارتباطات القديمة عن
 بعضها ، ثم تبدأ ، بعد ذلك ، ارتباطات جديدة لامتتاعية وتتمسك الى
 ان يلوح أو يلمح في الذهن ارتباط الجديد المطلوب الذي يتفهم الحل
 الصحيح لفضية موضوع البحث : ولكن كيف تتم العزلة التكرية لهذا
 المقادير الخافي من الارتباطات لغرض التوصل الى أحصائها وطرح ما كان
 خارج لصددها منها والشراح ، بعد ذلك ، للحل الصحيح ان يصير ان
 الشعور من جديد ؟ ينسرك بونكاريه ^٩ : ان الأساس الذي تستند
 الي هذه التجربة السايكولوجية هو : الاحساس بالجمال : أو بالإبداع أو
 الطموح . معنى هذا ان الارتباطات لساكنة أو المقيدة هي ، بنفرد ، أكثر
 جلاءً أو أكثر قلرة على الحجاب ، المختص في الموضوع من غيرها
 من الارتباطات الأخرى المتكررة عادة .

وفي ضوء ما ذكرنا نستطيع ان نؤكد مرة أخرى ان الامتالة في
 حقن الرياضيات ، من وجهة نظر بونكاريه ، هي شيء اولي من مجرد
 قيام الذهن بتكوين ارتباطات جديدة في القضايا الرياضية المعروفة سابقا
 لأن هذا العمل يستطيع ان يتجزه أي شخص له أدنى بلاء بالرياضيات
 ومن الجهة الثانية فإن هذا الفرض من الارتباطات التي تحدث بهذا الشكل
 يكون مثل المقادير يتعذر حصره ، وإن معظمه لا يثير الاهتمام للباحث ،
 معنى هذا ان الامتالة ، كما يراها بونكاريه ، تقتصر على الإبداع عن

الاثباتات النهائية او الحقيقة لا تصبح المعجزات المبرهنات الاثباتات العلمية
 المفيدة لقيمة الحقيقة المبرهنات. اي ان الاصلية اكتشاف ، انشاء او اختبار
 او تمييز . كيف يحصل هذا الانقياد ؟ يجب بونكاوية : ان
 الحقائق الرياضية ، التي تستحق الدراسة ، هي التي ، عند موازنتها
 بحقائق اخرى ، تظهر قسوتها على اوضاعنا نحو معرفة قانون رياضي . كما
 كما ترشد الحقائق المخبرية ان الكشف عن الفارق التمييزي مثلاً ،
 انها تلك الحقائق التي تكشف علاقات مستمرة معقولة من بين حقائق
 اخرى معروفة منذ امد طويل كان يقطن ، دون حشد علمي ، انما
 مضككة او معزلة عن بعضها ، وهذا فان الاثباتات التي يختارها المبرهن
 من بين حشد لا متناه منها هي تلك الأكثر ثمراً حجباً يستلزمها للنسب
 من عناصر متخوفة من محاولات متعددة متفرقة . غير ان مجرد الجمع بين
 عناصر متعادلة ، وان كان شرطاً لحدوث الابداع الرياضي ، كما يقول
 بونكاوية ، الا انه بحد ذاته لا يكونه . ذلك لان الجمع يشتمل على
 ترتيبات كثيرة شديدة . فلا بد ان من طرح هذا المقيم جانباً ، ولهذا
 فان عملية الاختيار هي عملية انتقاء ذهني : واختيار عند بونكاوية كما
 ذكرنا . غير ان كلمة ، نظام ، او ، اختبار ، قد لا يكون الجمع
 الحقيقي مما يقصده بونكاوية لان الاختيار يتم في العادة بين نتائج عديدة
 المبرهنات وجزءاً منها كما هي احياناً مثلاً في البصائع التي يشتملها المجمع
 ليعتري لمحضها هذا الاختيار واحدة بعد الاخرى لكي يتم عملية الاختيار .
 في حين ان الماذج في موضوع الرياضيات الاجتماعية المبرهنات في العما
 والنتائج والنظريات بحيث ان حياة الانسان بأسرها لا تكفي لمحضها كما
 يقول بونكاوية . ولا بد من من توافق عقل نقاد لا يتركه انضباطها . ويمكن
 ان هذا الانقياد التفضيل الى احدى الفواقر العلمية كما قال برون مثلاً
 عندما شاهد سقوط البوم في حديقة منزله فانه ان وضع قانون
 الجاذبية بعد دراسة عميقة شاملة مبثت تلك المشاهدة التي لم تكن سوى

الحال الرياضي مع أن كثيرين قبله شاعروا طرأه عمالة دون أن يستطيعوا شيئاً ذا قيمة علمية . معنى ذلك أن عمالة التفكير : حل ما يقول بونكاريه : شيء ، صاحبها أن يقوم ذهنه ، بلمحة صبر ، بعمل ارتباطات بين عناصر مألوفة ، وأن يوثق بين تلك العناصر بوضع كل منها بمكانه المخصص له باعتبارها أجزاء في شئ عام مشترك . ويعزو بونكاريه هذه العملية الذهنية الخاصة إلى « النفس المتسامية » كما سلف أن بدأ . كما يعزو أيضاً الأساس الذي يتم حسب مستلزماته : انتماء الارتباطات الجديدة إلى « الاحساس بالجسم » على الشكل الذي نحن إليه .

ذلك هو باختصار رأي بونكاريه في قضية عمالة التفكير العلمي في حقل الرياضيات الخطيرة إلى التبعث فيه لأنه يكسب المعرفة الأولى لقراء العربية على ما نعلم ، وهو رأي صائب من حيث حدوث عملية الابتكار في الأساس : كما سيأتي ، ولكنه يفترق إلى امتداد المسحي التي يلزمه . ولا يستعمل بونكاريه مصطلح « اللاشعور » أو « النفس المتسامية » ، المفضل للمصطلح المسحي : الفصح أو « القدرة المخفية » لاستكمال عمله العميق في هذه العملية ، ويجري مجرى رأي بونكاريه رأي عالم الرياضيات الأميركي المناصر جون هادامارد " الذي تطرق بتوسيع أن القاعدة في العمل الذهني الرياضي الاصيل هي العمل اللاشعوري . وذكر ، من جملة ما ذكر ، أنه يحتفظ فجة من نوعه في أحد الأيام على الرصيف في المكان المجاور وفي دفت : دون سابق هيئة شعورية ، حل مفاجيء لأحدى مسائل الرياضيات التي حاول عبثاً ، قبل ذلك ، أن يوصل إليه . واستشهد ، في مجرى دراسته لطريقة لظاهرة الإبداع في حقل الرياضيات ، بآراء طائفة من الرياضيين اللاحقين في الولايات المتحدة لتأييد وجهة نظره عند التي تستند : بلوغها ، وجهة نظر بونكاريه . خير أنه أصح اسم « الألام العقوى » على ما سمع بونكاريه « النفس المتسامية » .

وقد جرت : في الاطار العام الذي اوضحه بونكاره ، تجربات
عالية سابقة طريقة سجل بعضها لمير (١٧٧٥ - ١٨٣٦) ، الذي نجح
لتفسير الكهربائي بانه ، في مذكرته عندما دون في يوم ١٨١٢|٤|٢٧
الطروف التي احاطت بتوصله الى قول مكتشفاته لرياضية عندما ورد من
ذات حل مضطرب ، لاسمى المسائل الرياضية التي استعصى حلها عليهم
زهاء سبع سنوات ^{١١} . ووصف تكوس (١٧٧٧ - ١٨٥٥) الرياضي
الاناني ، واحد راضي الطلبة الاقليدية ، في رسالة بعثها الى احد
احدائه ، كيفية توصله الى البرهنة ، بشكل مفاجيء ، على صحة
احدى نظرياته بعد ان اخفى في ذلك طول اربع سنوات سرها في البحث
القي ^{١٢} . وذكر كيكولي : عالم الكيمياء الاناني الذي عمل في
القرن الماضي ، قصة الطريقة البحتة بتوصله الى احد مكتشفاته الكبريتية
الكبرى : فيما كتبت جانباً في احد ايام الشتاء عام ١٨٦٧ قرب لوقد :
الخلاص سبعة نوم رايت انماها في الحلم المعادلات والارتباطات الكبريتية
نوقض امام عيني هيجات متعددة ووصفها خبر متزايدة استقرت لي
آخر لطاف على شكل لعين تتحرك وانماها متعددة وقد نظرت لها
على قصد ولست ذنب على جسمه فاصبح كانه يندفع ذنب ، بالبقع
مدحوراً وفي ذهني ، بشكل مضطرب ، حل لأحوج قضاياء الكيمياء
العضوية حيث بدا لي ان جزئيات بعض المركبات المعنوية اليها ليست
تركيبات متنوعة بل هي سلاسل متلفة على اسق الحية التي تلعب ذنبها
ولقد سجلت كثير من المفكرين في مختلف الاختصاصات حوادث مثالة من
حيث انشاق على شكل مفاجيء فهدوا جامعة ولذة عريضة من ذلك
مثلاً ما سجله موزا (١٧٥٦ - ١٧٩١) الفيلسوف الهنوي ، والشيخ
الخراساني برك فليزي (١٨٧١ - ١٩٤٥) ^{١٣} .

لما الآن ، وقد تمينا من استعراض اهم الآراء العلمية التي تعبر
طبيعة الاتصال في العمل القوي والعلمي ، نرى ان نقول اسباً لغتنا

تجهيداً لعرض وجهة النظر الحسية الجديدة المستمدة من العلوم الفساحية التشريعية التي انتعشت في أعقاب الحرب العالمية الثانية والتي ما زالت بعيدة عن تناول المختصين بعلم النفس باعتبار أن هذه العلوم ، بنظرهم ، أكثر اهتماماً بالفن جنباً إلى علم النفس . وفي مقدمة العلوم المشار إليها : علم تركيب خلايا المخ ، Cyto - Architectonics^{١٦} ، و علم اتسجة الجهاز العصبي ، Histological - Neurology^{١٧} ، ودراسة القشرة المخية بالميكروسكوب الإلكتروني الذي يحل حجم الخلية العصبية التي لا ترى بالعين المجردة لصغرها : بزدام زهاء (١٩٥٠) ألف مرة : Fluoresceinophotography^{١٨} .

لقد أصبح رأي لبروزر في متحف التاريخ بعد أن ظهرت لسيد العامة أمام زحف العلم الحديث في ميدان الفسحة . لقد ثبت : بشكل لا يقبل الجدل أو الشك ، أن الاختلافات الموجودة في حجم أدمغة الراد لدرج الانساني باجتماعه المتعددة وفي أدمغة أفراد كل جنس على أفراد لا تدل على اختلاف مستوى امكانياتهم النفسية ولا حيلة لها إطلاقاً بتفاوت اتجاههم الذاتي : فقد بلغ مثلاً حجم دماغ العالم الطبيعي الفرنسي كوفييه ، (١٧٦٩ - ١٨٣٢) والكاتب الروسي نرجيف الذي نشر روايات ساينسولوجية واجتماعية في القرن التاسع عشر الانكليزي بيرون^{١٩} (١٧٨٨ - ١٨٢٤) زهاء (٢٥٠٠٠) سم^٣ ويبلغ من هذا المستوى أيضاً حجم دماغ الإسباني الألماني سبارك (١٨١٥ - ١٨٩٨)^{٢٠} . في حين أن حجم دماغ الفيلسوف الألماني كانت (١٧٩٤ - ١٨٥٤) والكاتب الفرنسي التاتون فرانس لم يتجاوز نصف ذلك المقدار^{٢١} . وباع حجم دماغ الفيلسوف لايتز (١٩٤٩ - ١٧١٦) زهاء ١.٤٢٢ سم^٣ . ولم يكن كانت والتاتون فرانس ولايتز اقرب برزواً في مجالات تخصصهم من كوفييه ونرجيف . وحجم دماغ الجنس المغولي اكبر من حيث ماعدل من حجم دماغ الجنس القوقازي دون أن ترتب حي ذلك نتائج

بايولوجية تطورية أو لورق في مستوى التفكير والاشراج العلمي لصالح
 اجنس المغولي وربما كان العكس هو الواقع لأن هذا المقدم المضاري
 انشي بهد الجس قلفقاسي في الوقت الحاضر اجنابي الجذور كما سوي .
 وقد لبث علمياً في الوقت الحاضر ان الوراة البايولوجية للوجود لدى
 الانسان الحديث كانت قد نشأت في الاصل لدى الاسلاف الانسانيين
 نتيجة اثر ظروف العيش منظوراً اليها من الناحية التطورية . ان لها
 نشأت لدى الاسلاف الاقدمين بالانكساب البيئي في مجرى وجودهم التاريخي
 اثناء حماية النشوء والارتقاء البايولوجي في اوك الامر ، والاجنابي بعد
 ذلك وعلى اسلمه . ثم لحقت بالانظراد الدنيائيكي المون عبر عشرات
 لثلاثين من السنين للاثم ظروف الحياة المضطربة بصورة عديدة الانقطاع .
 فانيه غير المتطورة تجعل بعض الصفات البايولوجية القديمة يفقد مجريه
 في التغير الاثن ليغيره الضمور او الانتشار ليضج المجال امام حداث
 جارية ملاحمة لتحل مكانه بالتدريج . ولهذا فان دراسة تاريخ الروح الانساني ،
 من ناحية تطوره البايولوجي ، يجب ألا تجري بمعزل عن دراسة لظروف
 المعاشية التي مر بها الانسان في مجرى تاريخي الاجنابي . والعكس صحيح
 ايضاً . وما يصدق على النوع الانساني . في اوايل نشوءه ، يصدق ايضاً
 على الاجناس البشرية ككل على افراد ، وهذا يعني ان الاختلافات
 البايولوجية المعاصرة للوجود بين الاجناس البشرية المعاصرة كانت قد
 حدثت في الاساس بتاثير ظروف جغرافية وبيئية متعددة اقسام النوع
 الانساني ، منذ نشوءه ، بحسبها الى جماعات متوزلة ،عزلاً نسبياً عن
 بعضها وتختلف اختلافات جسمية وفكرية ملحوظة . غير ان تلك الاختلافات
 مع هذا ، لم تؤثر بعمق في جس التركيب البايولوجي للنوع الانساني
 باجناسه المتعددة وفي تكوينه الفكري وتطوره الاجنابي الاثن . فليتب
 الاجناس البشرية متائلة في مظهرها العام وفي مكوناتها الاساسية من ناحية
 المورولوجية لانه ذات اصل مشترك وليست مراحل تطورية بايولوجية

مختلفة سرّاً بها تنوع الانساني ولأن العزلة عن بعضها لم يكن تناساً او
جسماً . وما يصدق على الأجسام البشرية يصدق ، وعلى الحد الأكبر ،
على أفراد كل منها .

أما وجهة نظر كالتون فيتمدد جذورها من استنباط مقلوط توصل
إليه في الثلث الأخير من القرن الماضي في أعقاب دراسته طائفة من رجال
الفكر البارزين في مختلف التخصصات . وقد شجعت عن استنباطه
المقلوط هذا نتائج حذرة على تصديق التعليم والاجتماعي ما زلنا نش
مها إلى يوم . تجعل جانبها الاجتماعي في مبدأ : تحسين النسل ؛
جنترونت . ويظهر الخائب التعليمي في مقاييس او اختبارات الذكاء .
يستند مبدأ : تحسين النسل ؛ إلى فكرة مطلوبة بحايثنا لألفية الإرادة .
ضاحكاً ان التفاوت الذي نتجده بين الأمم ودخلوها ، فيما يتصل بمستوى
التفكير والثقافة ، راجع إلى تفاوتهم التكنولوجي ، اعطري ؛ لا إلى
تفاوت ظروفهم الاجتماعية . وفي هذا الادعاء مسخ طداورية ناتج عن
دعوة اصحابه إلى ان يحل مبدأ الانتخاب الاصطناعي في المجال الاجتماعي
على مبدأ الانتخاب الطبيعي البيولوجي الذي توقف عن العمل في حياة
الانسان الحديث بانظر انقراضه الثقافي . وقد أدى هذا المبدأ المقلوط إلى
تشويه جمعيات تحسين النسل انشطت في كثير من الاقطار الرقبة لاسيا
الولايات المتحدة في مطلع هذا القرن وإلى الخيلولة بالتشريع دون تراوج
ذوي الصلوات . كل ذلك جعل بأوضح اشكاله في ملابها التالية .

ذلك ما يحصل مبدأ تحسين النسل . اما المبدأ التعليمي المقلوط الذي
المرنا إليه والذي مقاده لنا نستطيع ، عن طريق قياس لغوات الطالب
الفكرية ؛ النظرية ؛ ان نحدد مسطاً اعاليته لتلقي نوع معين من التعليم
وممارسة نوع خاص من النشاط الذهني يهيم لمهنة معينة يمارسها في المستقبل
دون سواها . معنى هذا ان اختبارات الذكاء تدل على أو تشير إلى

وجود « قنرات » نظرية محدودة المقدار ، منذ الولادة ، لدى كل شخص ، وإن توح تجميعه ونداء بتوقفه على مقدارها الذي تكشفه التجارب الدكاء . فكانت هذه الاختلافات ذريعة ماينكوفسكي لطرح من النظام التعليمي السائد بكل واقعه أو لتقسيم المواطنين ، داخل الأمم وبينها ، إلى مراتب ودرجات متميزة عن بعضها في مستويات ذكائهم الفكري المرحوم . وقد أصبح الطلاب المختلفون في ذولهم ضحايا ، وتبر تخلفهم بأنه ناتج عن بلادهم « انظرية » بدلاً من بلادة مواد الشرح والماليب المتروكة وحكم الإدارة المدرسية .

قد ارتبطت منذ الولادة « انظرية » المشار إليها فزجة ماينكوفسكي خبيثة واحدة بزمجها ، في انكسار مثلاً ، السيم كودفرتوسون مثلاً من ثلاثين عاماً : مفادها ان ذكاء سكان انكلترا أعلى بالتحقق ، على وجه العموم ، بسبب هبوط معدل حاصل ذكاء أطفال المراتب الدنيا في النسيج ، رغم أعلى السكان ، بشكل يؤدي إلى هبوط أو تدوير معدل الذكاء العالي الذي يمتنع به : نظرياً « أطفال المراتب الاجتماعية العليا . أما على الصعيد الدولي فقد اتخذت مقاييس الذكاء أساساً لتعريف الشعوب إلى راقية ورطاقة من ناحية ذكائهم الفطري المرحوم . فقد اعتبر ذكاء الشعوب المختلفة (بسبب الاستعمار والاضطهاد) التي تقع آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أوصاً من مستوى ذكاء الشعوب المتطورة التي تسكن الولايات المتحدة والانتظار الأوروبية لآسيا الحية وفرنسة وانكسرة وفي هذا عهد : شعور جديد : إلى تقرير وربما إلى بحث عن ثقافة ورثة الرجل الأبيض : - ومن المريب ان يساهم في هذا الاتجاه التايكولوجي للأعشى والالتصاني بعض حاسبات التسليحة المتخبرين وفي عقولهم مكثروا كل احد سائدة جامعة لندن البارزين : حيث يقول : لقد أصبح واضحاً ان الأمم ، كالأفراد ، تتكون ببطء بصفة عن الحالة البربرية القديمة لتصل إلى مستويات من الرقي لم يتوصل إليها الإنسان البدائي :

هذه الامم تسير بمراحل مختلفة - بعضها متعلقت عن التركيب وتطور عقل
مركز القيادة فيؤلف الطبيعة الانسانية الرائدة - وقد أدى اختلاف هذه
الناحية بالذات قوامها الى مواجهة مشاكل مختلفة نجحت حسن الاختلاف في
لهم العامل الوراثي الذي يميز بعض الامم عن بعض - ان الاستمالة بين
البشر توضح بأجلى صورها في المجال السايكولوجي - وليس من قبيل
الصدفة ان يوثق بعض الأشخاص صفات وحطوبين وبذلك كثر من في العمل
المراتب الاجتماعية : : : ١١٠

وأما وجهة نظر كريتشمز ونظريته التحليل النفسي : يبحثها بعضاً
لذاختها : بالمقارنة النفسية الحديثة التي سيأتي ذكرها هنا سوف
لا ننسى لها اعتباراً - فسير اذا نود ان نشير هنا الى ان الاضطرابات
النفسية تسمح شخصية الفرد واعلم الشيء تعقيد وتزوي قدرته على العمل
والابتكار وغمرتها عن مجراها الطبيعي - ونقدم في حياة المصاب الجبرائي
لويس وين مثلاً جيداً على ذلك - فعندما تشبه مرض الزوفريتا اخفى
في رسم أي شيء بكلمات عن قدرته على الابتكار والهداك ، بل ذلك
برسم القسط دون غيرها - ومع ان المرض التحليل قد يعجز أحياناً عن
صرف القدرة على الابتكار عن مجراها الطبيعي غير ان القدرة على الابتكار
ليست مرضاً عذاباً بأي حال من الأحوال - كما اذا سوف لا نناقش
وجهة نظر بونيكاريه بل نكتفي بالإشارة الى عرض المبدأ السايكولوجي
الذي نتجت ملاحظتها منه وان نقصها الامامي النفسي كما ذكرنا ،
وسوف نتجى ، أثناء مراجعتنا البحث ، نظام وجهتي نظر كريتشمز
والتحليل النفسي ضمناً ويوضح ضعف رأي بونيكاريه في ضوء ملاحظات
العلم النفسية التشريعية التي سبقت الإشارة إليها - وقبل الدخول في
سبب ذلك لا بد من ابداء الملاحظات التمهيدية التالية :

يؤكد العقل ، كما هو معروف ، ضعفاً من الجانبين النفسية

والاجتماعية في مجتمع يضم منتجات النوع الانساني عبر تاريخه الطويل ،
مع تفاوت مفرغ بين المجتمعات وداخلها من حيث مستوى تقدمها المادي
والثقافي . ولا يضاف الطفل الى المجتمع كما يضاف جناح جسد ان
هذه البنية : ولا يوجد الطفل في المجتمع على نسق وجوده في هذه
البنية . بل هو يعيش فيه ويمس داخله وبه ومع . ويوجد فيه كما
يوجد جذور الشجرة في التربة لو بد الانسان في جسده بشكل غير قابل
للانزعاج ولا لانراض المراسمة النظرية . ولا يبقى الطفل غائبا او مفرجا
على ما يجده في المجتمع من منتجات مادية وفكرية : بل هو يتفاعل
مع ما هو متوافر له منها ويمس بوساطته ويعبر عن نشاطه باستجابته على
نسق ما يفعله لارتداد الحيطون به . نشأ لديه بالتدريج قدرات الفكرية
بالامتداد الى الاساس المنطقي المهي المائل لدى جميع الافراد الانسانيين .
معنى هذا ان قدرات الطفل الفكرية تنشأ وتطور في مجرى حياته باعتبارها
ظواهر اجتماعية جديدة نشأت لديه لا قوى فكرية كامنة في طبيعته
البيولوجية . ومعلوم ان الطفل يسيطر في لون الامر او يستحوذ على
الادوات المادية والفكرية لا غرضه بالادوات الفكرية الغضة (المعرفة)
المتوافرة في الأسرة التي يتخرج فيها . وتخرج قدرات الاطفال وتختلف
مستويات تطورها وفق المستوى المادي والفكري الذي بلغته الأسرة التي
يتخرج كل منهم فيها . ثم ينتقل الاطفال الى المجتمع الاكبر ، بما فيه
المعرفة في حاله وجوده ، فزيادة تنوع قدراتهم ويتفاهم اختلاف مستوى
نموها . وهذا يعني : بلغة الفلسفة الحديثة ، أنهم يستثمرون مقدورا مختلفا
من رصيدهم المنطقي المائل من جهة وفي أوجه مختلفة من نشاط الذاتي
من جهة اخرى . حيث نشأ المخرق الفرعية الفكرية بينهم باليولور ،
فالبلقاء لو الاغبياء هم الذين يستثمرون الخلد الأدنى من رصيدهم المنطقي
في الموضوع الذي اهتمهم بالبلقاء فيه ، ويحدث العكس لدى المراتب
الفكرية الأخرى التي تلحج على الترادف صفة الاحتمال بمختلف مستويات

تسلطها المساعد من المهارة فالألمعية فالمبغربة . ولا شك في أن الصفات
الثلاثة تذكر نسبة لا مطلقة : فليس هناك شيء في جميع الموضوعات
والأخصاصات . كما أن من ينسوس تاريخ العبارة يفرغه تفكيرهم
المضحك ، وحتى البعيد شيئاً ، في الموضوعات التي تقع خارج دائرة
الخصاصهم .

يتضح إذن أن القدرات أو الوظائف العليا العقلية نمر أثناء نموها
وتطورها عند الفرد بمرحلة خارجية لأنها في الأساس عند الفرد بمعنى
أنها اجتماعية النشاط . ثم تتحول ، بعد ذلك في مجرى حياة الفرد ، إلى
وظائف داخلية لتصبح عقلية أو ما يكتولوجية . أي أنها في الأساس علاقات
اجتماعية بين الأفراد ثم يتركها كل منهم باعتبار أن الوسطة أو الأداة
الاجتماعية التي يؤثر الشخص بها في نفسه هي في الأصل وسيلة التأثير
في الآخرين . فالكلمة مثلاً : من حيث هي أداة التعبير الاجتماعي عن
قوى الفرد الفكرية : يجب أن تكون ذات معنى بالنسبة للشيء الذي ترمز
إليه علماً بكتسبها الطفل للمرة الأولى في حياته مع الآخرين : أي لا بد
من توالف علاقة موضوعية بين الكلمة وما تعينه لأن فقدان ذلك يجعل
متعلقاً حدوث تطور لاحق فيها من حيث مرونة استعمالها وارتباطها بغيرها
من الكلمات . ويستمر الراشدون المحيطون بالطفل ذلك الارتباط الموضوعي
بين الكلمة ومدلولها استقاراً وعاطفياً باعتبار أن ذلك هو أداة الاتصال
الفكري بالطفل . عندئذ تصبح الكلمة ذات معنى بالنسبة للطفل . معنى
هذا أن الكلمة : من حيث وجودها ومن حيث مضمونها : ظاهرة اجتماعية
خارجية بالنسبة للطفل في أول الأمر ثم تتحول بمرور ذلك إلى ظاهرة
داخلية أو ما يكتولوجية . وهذه الطريقة تتحول بالتدريج جميع أشكال
الاتصال اللغوي الأساسية بين الراشدين والطفل إلى وظائف عقلية أو
قدرات فكرية . فالقدرات العقلية إذن ليست قوى مرونة مسجلة في
صفحة الدماغ . بل هي تنشأ وتنمو وتتكامل في مجرى حياة الفرد على

أساس الامكانيات الفسلجية المثالية الموجودة لدى جميع الافراد الاسوياء غير ان ذلك لا يتم دفعة واحدة بل يمر بسلسلة من المراحل التصاعدي ويعبر عن نفسه على هيئة : اعضاء مخبة وظيلية ، او حلقات فكرية مترابطة ، لكن بعضها لا يتكون احياناً عند بعض الأشخاص بل بعض الموضوعات تتوغل اجتماعية صرفة ، وقد يتكون بعض آخر بشكل ناقص أو يسرع تبدو آثاره السيئة في النمو الفكري للآخر ، والأشخاص الذين نعوزهم : اعضاء مخبة وظيلية ، في موضوع معين فانهم يوليون حصة ولا يبدلون فيه الجهد الفكري المطالب. أي أنهم يحدروا لسلجة: يستمرون الحد الأدنى من زرعهم الفسلجي فتأخر عليهم إمارات البلادة الاجتماعية الجذرة . ومعلوم ان مختلف الطفل ، من الناحية السايكولوجية ، مرد ان تختلف الفسلجي الاجتماعي . فقد ثبت ان دماغ الطفل يبقى غير مكتمل نحو قبل السنة السابعة ، وان القشرة المخية تستمر على النمو ، بعد ذلك ، ولا يتكامل نموها عند الشخص سليم إلا عندما يصبح عمره زهاء ثماني عشرة سنة^{١٩٨} والقشرة المخية التي تبلغ أربع درجات مرونتها في السنوات الخمس الأولى يمكنه التحجور عند تقدمها الظروف البيئية لللائمة. فالطفل الذي لا يتخذ الاجراءات الاجتماعية الكفيلة بتوجيهه ، طسول السنوات الخمس الأولى من حياته ، يصبح ، بعد ذلك ، صعب الترويب ، ويحزى عندما ارتجاع تفكير الأشخاص البدائيين الراضيين الى مستوى معين من الثقافة الى ان لغتهم المخية ، لم تجد في فترة نموها الفسلجي الذات المطلوبة : الظروف البيئية اللائمة التي كوانر لدى اقرانهم في الشعوب الراقية . وهما يزيد الطين بلة ما يتعرض له هؤلاء المساكين من نقص في التغذية من حيث مقدارها ومن ناحية ترويعها . ولا شك في ان غيابا القشرة المخية تحتاج الى كمية كبيرة من الغذاء المتنوع الذي هو مصدر طاقتها العصبية . وهنا نجد ان تجهيزا بشبكة من الأعوية الدموية وانها أكثر اجزاء الجسم تأثراً بنقص الغذاء الذي يورثها لضمون والتجامل في اثناء

مهمتها الفكرية .

لقد مر بنا الحديث عن مرتبة الأخياد أو المرتبة الدنيا من مراتب أفراد المجتمع من الناحية الفكرية . ونحن ان تحدث عن الأسلوب الذي يتبعه من تصفهم بالمهارة والاعلية والعبقرية لاستثمار إمكاناتهم الفسجية ، عن أفضل وجه ، يحمل بنا ان نوضح ما يميز الماهر أو المبدع أو الجذع عن الموهوب أو الأملح أو العوزعي أو الجتهيد والعبقري أو الفاعل ، يمكن الفرق الرئيسي بين الأول والثاني شيئاً (الماهر والأملح) في ظاهرة الابتكار الواضحة عند الأملح لأن الماهر يردد ما كان ، في الأعم الأغلب ، ما اشكره غيره . ومع ذلك فان للربح العلم والمهنة الرفيعة والتنطيفية بسجل مهرة مبتكرين يعدون الأصل في تطوره العام ولكن بأسلوب يخوفه في الروعة . كما ان الكثيرين ممن يشغلون بمن الروعة في الأماكن الأثرية والمنازل والمخطوطات ممن يخلقون عابهم اسم *Restoration* هم بعد من ان يكون ما يتصورونه مجرد نسخ طبق الأصل *Stecotype* أو : تقليد . إنهم يصفون على ما يريدون اعتاده ان يتبعه القسمة شيئاً طرأً يدل على الحاجة أو الاصل . وفي الشعر العربي امثلة رائعة على ما ذكرناه . استمع الى هذا البيت الرائع الذي يصف به صاحبه الفيل الطويل المزمج :

كليني لهم يا امة ناصب رليل اقصاه بجليه الكواكب

ثم وازن بينه وبين المعنى الأروع الذي صاغه في شاعر جاء بعده :

خليل يا بال الدجى لا يزحزح وما يات ضوء الصبح لا يوضح

أعشى النهار المستنير طريقه أم الدخيل كاله ليس يبرج ؟

والذي صارت الاقضية انذاك يخيل حسب راي القصة في موضوع

المخصص . ولا يقتصر الفرق بين الآلي والعقري في مدة الابتكار أو مداه وعمقه وإنما هو يظهر أيضاً ، وإلى الدرجة الأهم : هل أن الفكر العقري يأمب دوراً إيجابياً فريداً في مجال تخصصه بالنسبة لتأريخ العلم والنظريات الاجتماعية . ويأوح أن الآلي والعقري يتصعان عازاباً فلسفية دوراً ما زال البحث مستعراً ، على ما نعلم : لكشف الغائب عنها .

وبقدر ما يتعلق الأمر بدعم الملاحظات العديدة التي ألقاها بونكاريه دعماً فلسفياً في غيوه لمعرفة العملية الحديثة نستطيع أن نقول : أن الأساس الفلسفي لعملية الابتكار هو أن تركيز الانتباه لفترة طويلة من الزمن في موضوع معين ، بالاستناد إلى الآلام الواسع الحقيق به ، نشاط عصبي تنوم به خلايا القشرة المخية التي بلغ فيها الاهتمام أقصى درجات ارتفاعه . هذه الخلايا تنشط : في لحظات اهتمامها ، الجانب المدع أو المتكر في القشرة المخية . ذكر باللوب (١٨٤٩ - ١٩٣٩) : قبل زهاء نصف قرن ، لو أن غطاء شفاطٍ يحيط بالقشرة المخية ، بدلاً الجمعية ، ولو أن بإمكاننا أن نسلط عليها ضوءاً ساطعاً من داخلها ، أرتبنا خلاياها التي بلغت ذروتها أو نشاطها أو تركيزها أعلى الدرجات فليج على هيئة قطع مطبوعة متناثرة وسط خضم مسالج من خلايا القشرة المخية الأخرى التي تبدو شبه منسدة أو باهتة اللون . ومن الطريف أن نذكر هنا أن بعض الباحثين متطاج : قبل بضع سنوات : أن يعمل جهازهم بعض الكلاب شذقة يرى الباحث بعينه ما يجري داخلها وذلك بتوكيب لولادة زجاجية من مادة Plexiglas فيها ، وأصرف من ذلك أن المايكروسكوب الإلكتروني ، عندما سيطر على خلايا قشرة أيتشين (١٨٦٩ - ١٩٥٥) للخبرة دليل وفاته وأثناء انشغاله على بعض المعادلات قد سجل بعضاً غريبة عن عوا ما ذكرناه . وعندما لاحظ المختصون حدوث تشويش غير مألوف في تلك البقع الضوئية تزين عم ، بعد ذلك : أن أيتشين كان قد ذكر : في شرح عمله الذهني ، أخطاء واضحة ارتكبها في يوم سابق فالتفت

فهذه بتصحيحها مما انتهى إلى حدوث التشويش المذكور.

نقد مر " بنا القول ان الإشكال : من حيث هو محبة ذهنية استجيبة منظورة إليها من زاوية تركيز الانتباه لفترة طويلة من الزمن في موضوع معين : بالاستناد إلى الامام الموسع الصحيح به ، هو الخطأ حصي تقوم به خلايا القشرة المخية التي بلغت إكثرتها حينها الأقصى ، معنى ذلك ، من الناحية السلبية ، نشر عملية عزل نفسي تستلزم : في لحظة التركيز ، إقصاء الانطباعات النفسية والمعارات البيئية التي هي خارج قصد من خلايا القشرة المخية الأخرى لكي تنتشر تلك الأثرية فيها. وعندما تقترن أو تتلفح أو تتخني الارتباطات العصبية في المنطقة النشطة من القشرة المخية فإن ذلك يعني ميلاد الفكرة الجديدة أو المتكررة . يحدث هذا القتران السعيد الموقت أو الإشكال في أعقاب دراسة عميقة مستفيضة تستغرق مديين طويلة : بشكل مفاجيء عند نصيب : بين المراكز المخية المخية المنتشرة في أرجاء القشرة المخية باستثناء مقدمتها تماماً كما يحدث بين المراكز المخية المخوية الموجودة في القسم الامامي من القشرة الأمر الذي يؤدي إلى التناص فكرة طرية أو صورة شعرية قبل ان يمر من الفحص . فيتم انبثاقها في حقل الفن عما يليه لتتم في حالة حدوث القتران العصبى بين المراكز المخية المخية . وفي حقل العلم في حالة حدوثه بين المراكز المخية المخوية . ويبلغ الصراع المخي أعلى مراتبه ، في الحاديين : بين الخلايا المخية نشيطة وبين الخلايا التي ما زالت باهتة النور . وتظهر في مجرى هذا الصراع صفات محبة جديدة يجوز لنا ان نسميها " غاضى الابداع " الذي يتصف به العباقرة - وهو حالة خاصة من الصراع المبرر الحاسم الذي يحصل بين المجازي المخية التي تحمل الفكرة الجديدة لقذفها بخارج المخ وبين تلك التي تحاول الاحتفاظ بها : من طوائف الصراع الذي يحدث بين عوامل دفع الجنين بخارج الرحم وبين عوامل الاحتفاظ به . وعندما يستكمل الموارد الجديدة مستقرات وجوده المستقل فتنسب يرى النور في

اختلافين في المصنفات القديمة يشكك حتى لا مراد فيه . يحصل ذلك شكك مفاجيء كما ذكرنا . وقصة اريستيدس (٢٨٧ - ٢١٢ ق. م.) مسرولة عندما توصل انشاء استجلمه الى حل مسألة علمية أعجاب . حلها اخرج الى الشارع جنلاً يصيح بأعلى صوته : بوريك . بوريك . اخرج الى هذا الاتفاق المفاجيء . ولقد عمل فكري سابق مستفيض وعريق كما بينا . مثل نيون (١٦٣٤ - ١٧٢٧) كيف توصلت الى وضع قوانينك الطبيعية فاجاب : ركزت انتباهي رداً طويلاً فيها . كل ذلك دفع لاسم اعطيه الفرنسي بوفون (١٧٠٧ - ١٧٨٨) انك ان يتجر التجربة بأنها الممارسة على مرامات البحث والاستقصاء . كما ان كورنيو (١٧٦٩ - ١٨٣٢) اعلم الطبيعي الفرنسي عرف التجربة بأنها : انشاء مركز لا ينسب في موضوع معين .

يوضح ان ان للوراثة الواسعة العميقة في موضوع التخصص هي الشرط الثقافي الاول الذي لابد من توافره مشروعية الابتكار في حل العلم بصورة خاصة . ومن يتبع حياة العالم يجد انما لا تخص كونه ذلك . فقد صرف كوبرنيكس (١٤٧٣ - ١٥٤٣) مثلاً زحاه زيجين حاملاً للوصول الى آرائه في علم الفلك على بحثها تقريباته العلمية الجديدة ولم يترك ان نشر كتابه : حول حركات الاجرام السماوية : ولا عند بلوغه السبعين من عمره ونعت حفظ اصطلاحه والمجهول به : ولم تحت النسخة الاولى الا وهو عنى فرائض الموت . ومن لطيف ان تذكر هنا ان الباحث الفرنسي مولان قد جرى دراسة لتعلق بعض الجن التي بلغت فريق من قالوا بجاذبة نورس فوجد (٥١) سنة : وكان معدل عمر الغزيالين الذين منحوا الجائزة بين ١٩٠١ - ١٩٣٠ : (٤٥) سنة : وبين ١٩٣١ - ١٩٦٠ : (٤٦) سنة . وفي الكيمياء بين ١٩٠١ - ١٩٣٠ وبين ١٩٣١ - ١٩٦٠ : (٥١) عاماً . وفي الطب في الفترة الاولى (٥٥) سنة : وفي الفترة الثانية (٥٣) سنة .

ليس الإبداع أو الابتكار ، في العمل الفني والعلمي ، انجاء مكتشفات جديدة لا تمتد إلى عناصر مادية مألوفة ، بل هو الكشف عن علاقات أو ارتباطات موجودة سابقاً بين تلك العناصر المادية المألوفة . فبدر هذه العلاقات الجديدة : جديدة : بمعنى أنها لم تكن مألوفة من قبل لأنها كانت متوارية عن أعين الناس . فالارتباطات القديمة الجديدة التي يكشف عنها الابتكار أو التي هي الابتكار نفسه وعناصرها المادية المألوفة ظواهر موضوعية موجودة في البيئة المحيطة . أي أن الاتصال هي اعاطة اللام أو كشف النقاب عن جوانب متشابهة بين شيئين أو حادثتين لم تكن معروفة من قبل بصرف النظر عما إذا كان هذان الشيئين أو الحادثتان موجودين بالفعل جزئياً إلى جنب إنشاء الكشف عن العلاقة بينهما أم كانا متماثلين في الزمان والمكان ولكن ضمن العلم أو الفنان أو الشاعر الموهف قد جمع بينهما عن طريق الكشف عن العلاقة الحقيقية الموجودة بينهما . فقد اكتشف أرخميدس (٢٨٧ - ٢١٢ ق. م .) مثلاً العلاقة الموجودة بين المستخدم وبين قياس وزن الأجسام الصلبة المغمورة في الماء بشكل لم يسبقه أحد إليه . ورغم أن هذه القادرة كانت مأتونة وجوانبها المادية مألوفة كذلك . كما أن معرفة الإنسان بتقلبات البحر بين المد والجزر وبمنزل القمر أثناء تحوله المتعاقب في صفحة السماء قديمة قدم رؤية سقوط الأجسام على الأرض . ومع ذلك فإن الكشف عن ارتباط هذه لظواهر المادية المألوفة بظواهر طبيعية مأتونة أخرى والنظر إليها في قرينة جديدة قد أدى إلى نشوء مبدأ الجذب الذي قال به نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) .

وما يصدق على العلم يصدق أيضاً على الفن والشعر . قال أحد الشعراء
يصف زلزالاً وقع في مصر ومخاطباً ليربها :

ما زلزلت مصر من كبد أم بها لكنها رقصت من حدلكم ملربا

وقال البحري في تصديده الرأفة :

تصب فيها وفود الماء معجلة	كالخيل عارضة من جبل مجربها
كأنها الغمامة البيضاء سائلة	من السالك تجري في مجاريها
إذا حلتها الصبا أبدت لها حبيكا	مثل أجواشن مصفولا حورتيها

وقال الشبي يخاطب أحد الذين مدحهم :

وذكرني رائحة الرياض كلامها	تغني لثنا على الحيا فنطرح
جهد الملل فكيف بآبن كريمة	توليه محسراً والمسن فصيح

وقال أيضاً :

أين أزعجت أيها المدام نحن نبت الربى وانت المدام !!

لا شك في أن التصبر الشخصي لا يتكرر ، بانشكل اندي انما اليه :
يحمل الابتكار حراً مشاعاً لجميع الأشخاص إذا ما هيئت الظروف الاجتماعية
اللائمة لكل منهم لاستثمار إمكاناته الفعالية إلى بعدها الأقصى في موضوع
تخصصه بعد تركيز اهتمامه فيه لفترة من الزمن واستيعابه بعق النظريات
المتعلقة به . غير أن الكثيرين منا قد اعتادوا أن يحدروا أمالة التفكير ،
في حقل التعليم مثلاً : بقلة ضئيلة من التلاميذ . ويصبح لفرق حاد ،
بين قوي التفكير الأصلي ونقيضه فقدان الاستمالة عند هذا النقيض ،
وحندي ، إذا كان في حث كما يقول الملاحظ ، أن هذا القياس السطحي
المتصل بعرض أغنية الطلاب لأخضر فكرية جسيمة ويحرم الجميع من
تعار التفكير غالية ثمنه . كما أن مستويات تفكير التلاميذ ليست من
صميم عمل المدرس الذي ينبغي له أن يسمح لهم جميعاً فرصاً متكافئة

وعملية كئي يستشعروا طاقاتهم الفعلية ان حدها الانسي ، وان ينظر
 ان الامانة نظرة نسبية لا مطلقة يأخذ ينظر الاعتبار ظروفها المحلية
 والمحتوى الثقافي الذي يلفه صانعها . وحدير بالاشارة هنا ان المعلمين
 كثيراً ما يلاحظون : حتى في الظروف التعليمية الملائمة ،
 ان بعض التلاميذ يعدلج لحياتاً قضوا تعلية بالولة بأساليب لا تحلو من
 الطريقة والابتكار . ولكن المدرسين يعتبرون لك الأساليب غير موفقة
 كما تؤدي مباشرة وبالشكل السأوف الى النتيجة المرجوة المحددة سلفاً
 في ذهن المدرس وعن صفحات الكتاب المدرسي . ولك تؤدي احياناً
 الى الولد نموذج عرؤية يعتبرها المدرس ، وان كانت مهمة ، خارج
 لصله . وبذلك تؤدي روح الابتكار عند التلاميذ وذلك بسعي المعلمين
 ان صب تفكير التلاميذ في قوالب حادثة وحشهم عن اجوار ما مضى
 خرمه . وتشجيعهم على التمسك بحرفية ما يقرآن . فلا غرو ان رأيت
 كثيراً من العبارة الاطلاقاً ككثيرا مختلفين في دراستهم بسبب جمود أساليب
 التدريس وعظم منهج الدراسة ومعاملة الامارة المدرسية . فاستقر
 (١٩٢٢ - ١٩٩٥) ١٩٤١ ودارون (١٩٠٩ - ١٩٢٢) وآينشتين
 (١٩٢٩ - ١٩٥٥) كسانوا في احياء : بمقاييس الصمم لتدريس
 بالالف .

وفي خرو ما ذكرنا نستطيع ان نقول : يولد الناس : في الاعمم
 الاعلى ، مهيئين في أمس الذكاء من الناحية الفعلية التي هي نتاج
 البيئة في الذمم الطويل . ان الاختلافات الكبيرة والكثيرة التي نشاهدها
 في مستويات الامالة بينهم مرمدها ، على وجه الصوم ، الى اختلاف
 بيئاتهم الاجتماعية . واذا امتلينا الاشخاص الذين تعرضوا لدرجات
 عصبية طان كل نقص في امالة الفرد مررد الى بيئته الاجتماعية . ومعلوم
 ان الفرد يتفاعل مع بيئته عن طريق علاقاته ببعض اجزائها ومكوناتها
 التي لا تقع تحت حصر - ذلك لأن البيئة ليست كياناً واحداً متاسكاً

هذه الأبعاد والصفات ذا تأثير متبادل في جميع الأفراد - بل في مجموعة
 لا تخص من الكائنات الحية والجماعة ومن العلاقات الموجودة بينها التي
 يتعرض لها الأفراد بحيث حتى إذا كان منهم في المنعزل البيئية التي
 يتعامل معها ويؤثر بها بطريقة الخاصة في كل لحظة من لحظات حياته.
 وهذا ليس سطحية الزعم الذي يفاده جعل الأفراد يعيشون في بيئة معينة
 ويستجيبون لها ككرواً بصورة مائة . كما تبدو أيضاً سطحية ، لا تلمس
 الآخر المقابل الذي يتجلى في السلوك لتأثير متزايدة من واقعها وتربيتها
 مثل : طالب ، ر ، ذكاء ، ر : إنسان ، ر : مواطن ، ر : وليد
 والجميع عليها كما لو كانت حالات فردية خاصة في حين أن هذه
 المصطلحات تنفرد في شمولها خارج نطاق الحالات الفردية المحسوسة التي
 تشير إليها ، إلى الوجود المادي المحسوس الذي يتضح به الأفراد للغير
 أنفسهم بها : أي أنها مصطلحات لغوية عامة لا تشير إلى حالات فردية
 خاصة محسوسة ، لكونها تصنيف عناصر البيئة إلى مراتب ودرجات متصورة
 عن بعضها فيما يتعلق باللامع المشتركة الموجودة بين أفراد كل منها .
 فالعقاب مثلاً : من حيث هو كيان مادي واجتماعي ، ليس له وجود
 مستقل منفرد عن هذا الطالب أو ذاك : زيبه أو عمرو الذي يمكن
 في أسنى الملامح ويحمل الجنسية القومية وينتمي إلى هذه الأسرة ، والذات
 ويحتل المركز الاجتماعي المعين وله بيئته الخاصة التي يتفرد بها عوداً وموطناً .
 فإذا انشغلنا عن التحدث بلغة الموجودات البهية عن الفرد والبيئة صارت
 الحكايات المايكولوجية إلى أمثلة لواقعية التي انتقلت عنها تماماً كما يفعل
 الأطباء حين يركزون اهتمامهم في حالة كل مريض على الأفراد المتشخصين
 والكشف عن عناصر حرك القربة والبيئة بالامتداد ، بالطبع ، إلى
 المبادئ النظرية العامة لا انفصلاً منها ، وإن تكرر مواقفهم في المصطلحات
 المتخالفين على أسس مواقف الأطباء أو المربين بما فيها من حذر وترغيب
 وتشجيع .

نرى أن البيئة الاجتماعية نظراً لتاريخية أبعادها ذات فجوات تفصل بين الأفراد ولذا في كل تباين فرس الحياة ونهم وتحسوس دون استأثرهم جميعاً بمقادير متماثلة من إمكاناتهم الشخصية في أوجه النشاط الفكري الصادق في المجتمع الذين يعيشون فيه . وكلما اتسعت تلك الفجوات زاد مقدار الكفايات المطلوبة والكفايات النامية بغير الانجساف السليم ، والبيئة الاجتماعية مسبوقة أيضاً عن تقدم الإنسان الحديث ، من الناحيتين المادية والثقافية . وكلما ارتفع المستوى العام لثقافة العصر والمجتمع بصورة عامة وفي مجال اختصاص الفرد أصبح ارتفاع مستوى الأصالة عند هذا الشخص يحصل الترفع ، والعكس صحيح كذلك ، فبدائية الأصالة عند الإنسان البدائي ناتجة ، بالدرجة الأولى ، عن بدائية بيئته . فغير أن البدائية الفكرية تحصل : بدورها ، على جعل البيئة تتأخذ بدائية كذلك . وهكذا فواليك . ومورد هذا : في الأساس ، أن البيئة بعزها هذا المقدار الضخم من عوامل الحفز الاجتماعية المتطورة في البيئة انضمت ، أن تستثير التفكير وتحدد على العمل المتواصل . كما أن عوامل الحفز في البيئة البدائية ، مع تضاعفها وضآلتها ، لا توجس اهتمام الأشخاص الذين يقعون تحت تأثيرها إلا إلى مظاهر البيئة الثقافية . ومن الطريف أن نذكر هنا أن قساعة رجال الفضاء الكوني التي بدت طلائعها قبل بضع سنوات ، قد أثبتت أن القشرة المخية بحاجة متواصلة إلى تلقي عوامل الحفز البيئية التي تشعلها إلى الدرجة المطلوبة . كما أن التجارب المخبرية ، التي أجريت على أشخاص وضموها في عذبات بروتها المكون المطلق ، دلت على حصول لقشرة المخية وانحطاطها في القيام بالتراسات الفكرية .

والخلاصة : يجب البحث في البيئة الاجتماعية ، لا في طبيعة الفرد بل في السيكولوجي المجرد ، للكشف عن العوامل التي جعلت تلامساً ذاتياً بمقاييس عصره وقياسه وجمادات غيره بل بآلياته بنفائيس ذاتها . كما

يجب ان نعمل ، في الوقت نفسه ، وبصورة مشمرة على تحسين بيئات
 الأفراد في نواحيها المتعددة ليشقى لهم استثمار اكبر مقدار مستطاع من
 امكانياتهم الفسلجية الهائلة ، في المجالات الاجتماعية التي تؤدي الى تقدم
 المجتمع مادياً وثقافياً على حد سواء . ويبدو انه لا يوجد فرق : من
 حيث الأساس : بين الامكانيات الفسلجية الموجودة لدى الانسان وبين
 الامكانيات التي تتيحها المادة الجامدة كالطاقة النووية . فكما ان حاققة
 ازمة الليرة نبعث عن نفسها بأشكال متعددة تزداد كلما كثرت مشكلاتها ،
 أثناء التفاعل : بالعوامل البيئية المختلفة . كذلك نحن والسبة للامكانيات
 الفسلجية المتكربة . مع العلم ان هذه الاشجرة أوسع منى وأكثر مرونة
 ونفكر على الانتشار كما تنبأت لها الظروف البيئية الملائمة . ولتوضيح
 ذلك نستطيع ان نشبه البيئة الاجتماعية بالأرض بصفاتها الجيولوجية المتعددة
 وان نشبه الامكانيات الفسلجية المتكربة الموجودة لدى كل منا بأحد البادئ
 الموجودة داخلها . وعلمنا ان نخب عن تلك الامكانيات الفسلجية الهائلة
 اللزومة على نسق التنشيط في طبقات الأرض عن اللزوة المعدنية . وإذا
 كان مستطاع الانسان ان يستترف ، في المستقبل خبير البعيد ، اللزوة
 المعدنية الموجودة داخل الأرض بالشار لتعاقص كتابتها مع الزمن انسان
 استقرت اللزوة الفسلجية عند الفرد غير محتمل لوقوع وبخاملة في الاجيال
 المتتالية التي لا حد لتعاقبها . ونصنف في نحو الامثلة على الفضل وجب
 لا سيما في المجتمعات المختلفة لا مفر من نشره علم لطبقات التفكير على
 نسق علم طبقات الأرض . وعلم طبقات التفكير يأخذ مطلقته في الأساس
 من تحسين الظروف البيئية العامة لجميع المواطنين ولحسن الدراسة ومخارجها .
 وهكذا يستلزم ، بالأسف الى نشر التعليم بأوسع نطاق ممكن ، المساعدة
 النظر جديراً في مناهج الدراسة وأساليب التدريس وفي الادارة المدرسية
 كما يستلزم أيضاً ترقية علم النفس من الآراء البعيدة التي تسربت فيه من
 الانفلتونية واعادت عن المعاني بفروع المعرفة الأخرى بما فيها الفلسفة

الحديثة . ولكني ينبغي علم النفس حقيقة العلوم عليه ان يعيد بناءه على
 أساس معطيات العلوم الفلسفية التي ذكرنا أهمها في ثنايا هذا البحث .
 فيصبح علم النفس أحد العلوم الاجتماعية التي تدرس الأصالة باعتبارها
 ظاهرة اجتماعية مرغوبة من حيث المحتوى . كما يصبح أيضاً أحد
 العلوم البيولوجية التي تدرس الأصالة من حيث أساسها الجسدي الذي
 هو المقرة الأخيرة .

وينبغي المشرطين على انعلم ان يتذكروا دائماً ان الأصالة لا تحدث
 عند الشخص إلا إذا واجهته مشكلة فكرية معينة : وان المشاكل التعليمية
 تختلف في مدى صعوبتها بالنسبة لطلاب ، وان أفضل المشاكل من
 الناحية التربوية ما كان مزيجاً من السهولة والصعوبة بالنسبة لطلاب ذلك
 لأن المشاكل الصعبة تزيد وتغفل قدرته على الابتكار ، أما المشكلات
 السهلة فلا تستثير الجهد الفكري المطلوب . معنى ذلك ان المشكلات
 التربوية التي تستوفي شروطها الامامية لا بد ان تكون صعبة وسهلة في
 آن واحد : اي على درجة من الصعوبة كافية بحيث تتحدى الأصالة
 وأن تكون على درجة من السهولة بحيث يستطيع الطالب ان يستعين بخبرته
 السابقة عند مراجعته ايادها .

ذلك هو النهج الذي نرى ان تسير فيه الدول المتقدمة في سبيل التعلم
 شريطة ان يفرض للتعلمين بشقوته في نفوس الناشئة ان يتفوق على الآخرين
 في مجال معين أو موضوع خاص يلقي على صاحبه مزيداً من المستويات
 الاجتماعية بدلاً من ان يهيء له فرص الاستئثار بجهود غيره ، وان يعلموا
 ان هذا التفرق ميسور للجميع اذا ملكت لهم الظروف الاجتماعية الملائمة
 واستمر كل منهم تكاثراته الفلسفية ان حلها الاقصى في موضوع
 يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع العظيم .

لؤي جعيط

قائمة بعض المراجع الرئيسية

- (1) Yergs, B. editor, *New Horizons in Psychology*, Penguin Books, London, 1968, chapter 3, P.P., 161 — 166.
- (2) Glaser, J., *The Psychology of Invention in the Mathematical Field*, Dover, New York, 1964, P.P., 21 — 48.
- (3) Galton, F. *Hereditary Genius*, Macmillan, New York, 1914.
- (4) Miller G., *Psychology: The science of Mental Life*, Penguin Books, London, 1968, chapter 2, P.P., 145 — 166.
- (5) Koshlauer, E. *The Psychology of the Mind of Genes*, Kegan Paul, London, 1931.
- (6) Koshlauer, E. *Talents and character*, Kegan Paul, London, 1931.
- (7) Schneider, D.K., *The Teyens-Analyt and the Artist*, New American Library, New York, 1965, Part 2, P.P., 41 — 112.
- (8) Chomsky, R., editor, *The creative Process*, The New American Library, New York, 1952, P.P., 208 — 224.
- (9) Piaget, J., *Thought and Method*, Dover Publications, New York, P.P., 14 — 24.
- (10) Koshlauer, A., *The Art of invention. A study of the creative mind*, Character in Science and Art, Bell Publications, New York, 1927, P.P., 411-501.
- (11) Fulton, J.F., *Physiology of the Nervous system*, Oxford University Press, New York, 1961, P.P., 282-291.

- (13) BRIDGES, M.A.B. On Electrical Activity of the Nervous System. *Physical Medical Postgraduate Ox. London*, 1949, chapter 16, P.P., 193 — 212.
- (14) HILL, D. and TAIT, G. editors, *Kinesiform photography*, Macdonald, London, 1969, chapter 5, P.P., 99 — 117.
- (15) PASTORIS, R. Psychology as you may like it. *Moscow, Swedish Language Publishing House*, 1959, P., 49.
- (16) BARTON, M. editor, *Development and the Study of Man*, Tavistock Publications, London, 1963, P., 42.
- (17) McDONELL, R.J.B. *Self Psychology*, London, Murray, 1968, P.P., 5 — 8.
- (18) GARY, H. *Passive: The Man and His Thoughts*, Fawcett Publications, New York, 1967, P., 91.
- (19) GARY, H. *Passive: The Man and His Thoughts*, Fawcett Publications, New York, 1967, P., 87.
- (20) GARY, H. *Christian: The Man and His Thoughts*, Fawcett Publications, New York, 1968, P., 11.

تقديم

الدكتور عبد الرحمن بدوي

جغرافية أنجلس وأوروبا من كتاب : أساطير والممالك
لأبي عبد الله البكري (توفي ٤٨٧ هـ ، ١٠٩٩ م) ، تحقيق
الدكتور عبد الرحمن بدوي ، تحقيق : دار الإرشاد ،
بيروت ، ١٩٦٨ : في ٢٥٣ صفحة .

هو عبد البكري جغرافي فذ في صيغة الجغرافيين العرب ، ومع
الاطلاع على المصادر الأوروبية : كما يكشف عن ذلك في مؤلفاته
وأساطير والممالك : مفيد ليس فقط في الجغرافيا والبلدان : بل أيضاً
— إن لم يكن حصرياً — بها بنخال كلامه عن البلدان من مطروحات
تاريخية ودينية وأثرية تشبه له بالأحداث والرجوع إن لولا المصادر .

ولم يبق لك مع الأسف غير كتاب : « معجم ما استعجم » كمالاً ، الذي
نشره فستفلك مثلاً حوالى سنة ١٩٠٠ م . ثم قطع نخلة من كذب : أساطير
والممالك .

وأول هذه القطع تتعلق بالترقية والمغرب : حقاها هي سلاط
ونشرها جنون : المغرب في ذكر بلاد الموقية والمغرب : وهو جزء
من أجزاء المكتب للعروب ب : للمالك والمالك : تأليف الشيخ اعلم
العلامة الحبر الشهامة أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري : مطبعة
الحكومة ، ١٨٥٧ ، وقد تم بمطبعة من البكري : حياته ومسيرته
(غولي البكري في شهر شوآل ١٢٨٧ هـ - أكتوبر - نوفمبر ١٩٦٦ م)
من منشأة جد) ، وقد نشرها هي سلاط على أساس ثلاث مخطوطات :
باريس : والمكتب الريحاني : والخزائر .

وكان من أسانول ، والمكتب قطع أخرى منفردة ، لأن يتم عند زمن
بعد نشر القطع الأخرى لاقية .

ولكن شيئا من ذلك لم يتم ، فيما عدا نشر بعض فصول أو صفحات
بصورة كما فعل ليفي وروندل في صحيفة لفرجيت الفرنسية لكتاب
«الرواض المصان» لمحمد بن عبد المصم المصيري (لندن : ١٩٣٨) :
والدكتور حسين موسى في « مجلة معهد الدراسات الإسلامية » (انجلدن
السابع الخامس ، ١٩٥٩-١٩٦٠) : ولعلها نشر القسم الخامس بالعقائد،
نشره مكتبة وروندل في بلمبورج عام ١٨٦٨ ، وسخطي من ترجمة
والدراسة بأدنى نصيب .

ونحن لأن وراء تحقيق بعض قطع هذا الكتاب عما يطلق بعرفية
الأندلس وأوروبا ، وقد نشرها الدكتور سخطي على أساس ست
مخطوطات : باريس برقم ٢٢١٨ : باريس برقم ٥٩١٥ ، القرويين
بغلي برقم ٣٩٠١٨٠ ، الخزانة العامة بالرباط (قسم الموثق) برقم
٤٨٨ ، لالان باسانول برقم ٢١٤٤ ، لوري عيان باسانول برقم
٣٠٤٣ ، وروندل بيشوات صبيد على التراجع والمواضي المنيدة :
المغربية خصوصا .

وتحقيق الكتاب على أساس هذه المخطوطة ثم صير خطاً آخر
من هذا نطبع أن يكون التحقيق أثم وأولى

ولا نستطيع في هذه الكلمة الصغيرة أن نقول انشء وتفصيل
لكن نجري بالاحاطات التالية :

أولاً : فيما يتعلق بترتيب النص :

لاحظ أن المحقق لم يضع الترتيب الجوار في أي عسوط : بل : به
أي شاء : على أساس أن هذه القطعة أو حتى هذه الفقرة أدخل في هذه
كتاب من تلك القطعة ، وكل هذا قد استلزمه للمحقق لعله دون ضابط
من الأمور نصيباً ، وهي المرجع الأول . لهذا لا نستطيع أن نقول إن
هذا الذي نشره مثل ترتيب النص الأصلي كما وضع المؤلف . وقد دخل
في هذا من الحكماء ما لا يقره المنهج الفيلولوجي والتحقيق العلمي .

ثانياً : فيما يتعلق بتحقيق النص .

لاحظنا أنه كان في حاجة إلى مزيد من التحقيق والاطلاع ، فكل
المكره تمراً قد ليس جغرافياً حسب : بل فيه معلومات تاريخية وثنية
وعربية . بل : فلسفية حديثة : خصوصاً وقد رجح إلى مصدر لاتينية
أولاً ثم حل ثم ذلك مباشرة أو بالاستعانة بترجمات موجودة فعلاً :
أو عملت ضابطاً ، وأخرى يونانية : فجاءت حقائق معلومات جديدة .

وله كان يخلق للمحقق أن يشير طويلاً من هذه الجوانب التي
تختلف عليه . وإيراد ما نصحيحات ، حل ميل لك ، بعض
هذه التوافيق :

١ - ص ١٦٦ من ٣ : البربريس - رصوبه : البربريس (وهو
لست على معروف جداً ، راجع عنه « مفردات » ابن الجصار :
والمذكور في « مفردات » ابن الجصار) .

٦ - من ١٢٧ س ٦ : الأورور - وصوابه : الأورور (مهم)
 كرم معروف : راجع ع : وبعينه في معرفة الجواهر البروني
 عجيب الخلقات القروني ، كتاب : الأحجار المنسوب إلى
 لسطوطين : نثره (ومكا) .

٣ - ص ١٦٨ من ٩ : وهو أنفع شيء - [ر] انقضى وجوبه ...
وصوابه - وهو أنفع شيء لحصى (أي المحبوسة) (راجع المراجع
المذكورة في رقم ٢) .

٤ - من ١٦١ م ١ : لك بيرة - ربي اخامش : باريس : ١
ولا شك انك بيرة

١ - من ١٩٦٧ س ٩ : من ريموت تدايتر (راجع تعليق ١) :
 - معناه : : جملة توماسطرو : (برنانية يعني : شاعر الموت)

μέμνησθε του θανάτου
 ٦ - من ٢:٤ - ٦ : اذينة - وعوايه : اذينة
 (- اذينة)

٧ - من ٢٠٤ م : الطوش - وعوايه : بانتر من Petros (الجدد عوم) -

١٠٥ من عصر الأخير. شجون ليفا هو أحد الأسماء
التي عثر - عوايه : أحد الحروب التي عثر ، أما الأسماء فهي
بناءً على عيوب التي عثر الذين منهم انكسرت لبالل اسرائيل اثنتا عشرة .
الاسم من الحفريات .

٩ - من ٢١٠ إلى ٢ = فانوس وهو على اسم ذو الزهرة - صوابه :
 فانوس (= Venus) وهو على اسم الزهرة .

۱۱ - من ۲۱۴ من ۲ : باسم خیرلار - صحیفه : شیعہ (دوم) -
مکتب مقابله) .

١١ - ص ٢١٣ تعليق ٢ : لا معنى له ، والله اعلم من يوضحه .

١٢ - ص ٢١٤ من ٨ : قولون بولس القيسوف - جوابه :
فرنريوس (الصوري : القيسوف اللاعنوني لمحدث لشهر : عمية
الروماني) .

١٣ - ص ٢١٧ : كان فيها جلس من المسوخ بين واحدة في وسط
جناهم بسمون جنلوفس - وصوابه : قنلوفس : أي Cynelopes
وهم في الميثولوجيا اليونانية : جنس من المسوخ اثنان : ليس لواحد
مها غير بين واحدة في وسط الجهة : وهم يصنعون في بركان اثنان ،
صوانح (يرس) ثمر من حنايمتوس (= فلكتوس) ، ومن هنا كان
الكلام عنهم بدمية جزيرة صقلية التي فيها يوجد بركان اثنان في الشمال
الشرقي منها . وفيه كان يسكن فولكتوس والحقولوس .

ونكفي هذه الشواهد دليلاً على أن المعنى في حلقة هذا تحقيق صبي
يراعي ترتيب الأصل ، ويقوم نقش بزيده من العذبة ، لأن مكتة البكري
في سحرها تطلب أن تتوافق الحقيق كتبه أثبات المقد التاريخي سليم .

• • •

Muhammad and the Conquest of Islam, by ARTHUR GRIFFITH, FORD LIBRARY
UNIVERSITY LIBRARY, WASHINGTON and HARVARD LIBRARY, 1969; 240 pp.

ظهرت الترجمة الانجليزية لما الكتاب قبل الأمل لا يقضي ، لأن
قصد به ان يكون في مجموعة مكتبة الجامعة العربية أولاً .

وأنوال ، الأمتد هرنسكو جبريلي ، تمتد الدراسات العربية في
مجد الدراسات الإسلامية بجامعة روما : قد سبق له أن كتب بحثاً صغيراً
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه في الكتاب الذي نتحدث عنه
دعم خصوصاً بفروا انبي ثم بفرواات الإسلام . وقد كسره على
التصور الأدبي :

- ١ - بحث في التاريخ .
- ٢ - الجزيرة العربية قبل النبي .
- ٣ - بحث في مكة .
- ٤ - الانتصار في المدينة .
- ٥ - الإسلام والدولة العربية الإسلامية .
- ٦ - تكوين الامبراطورية الإسلامية .
- ٧ - الفتوحات في الشرق : في العراق وفارس .
- ٨ - الفتوحات في الشمال : في الشام وما بين النهرين وأرمينية .
- ٩ - الفتوحات في الغرب : مصر وشمال أفريقيا .
- ١٠ - الإسلام في أوروبا : في إسبانيا وفرنسا وبرتغال .
- ١١ - الحروب في الشرق .
- ١٢ - المحطات الإسلامية العربية .

وقد استعرض في الفصل المذكور فكرة أوروبا عن النبي العربي حين
 لقد عليه وسلم ، ثم بيّنه الدراسات العلمية عن حياة الرسول في القرن
 الماضي : التاريخ لقرآن ، لذلك (١٨٦٠) ثم ترجمة د. مبرور
 ابن هشام (١٨٦٠) في قدم بها قبل ، و د. محمد محمد (تعاليف) تأليف
 اشرف خنجر (١٨٦١ - ١٨٦٢) : وبعد أول سيرة علمية كتبت في أوروبا
 عن النبي : وقد اعتمد فيها المؤلف على الأصول العربية : ودرس
 الإسلام في وضع التاريخي . ووجه بعد ذلك د. جرم أنكتب عن النبي
 بعنوان : « محمد » (١٨٦٢ - ١٨٦٤) : ونظر إلى رسالة الإسلام على
 أنها في جوهرها رسالة اجتماعية . وبعد ذلك بشرين دولاً عام كتبني في
 كتابه المشهور « حركات الإسلام » و « دراسات في التاريخ العربي »

(١٩١٤) فجعل رسالت الإسلام دينه في نظام الأول . وعرج على كتب : محمد بن قورنوس ، وأولف بن الذي ترجمته إلى الإيطالية ، وانتقل إلى كتاب يون (١٩٠٣ ، الترجمة اللاتينية ١٩٣٠) وهو مبيرة واسعة منفصلة . وآخر هذه الدراسات كتب : محمد بن حورفروا في مومين (١٩٥٧) وكتب موشجيري وباب الحلاج : « محمد في مكة » ، « محمد في المدينة » ، « محمد : نبياً وزعيماً سياسياً » ، وقد ظهرت بين سنة ١٩٥٠ و ١٩٦٠ .

وراضح أن هذا التصور بمصاحبه مزيد من الفهم لصحيح لرؤية النبي العربي الكريم : « طراح للأكاذيب والأوهام التي سمعت عليها أوروبا » في نظرته إلى الإسلام (عليه) مع « اشتاء ما كبه لأماني » : فهذا لا يمكن أن يشغل في علماء الأصيل العلمية : بل « دراسات » كلها أعلاماً أبعث أنواع التعصب والجهل وتزييف التصور التاريخي رسره الفهم لتحت لمصاحبه .

وكتب الأستاذ جبري محمد به القارئ العربي « لا لمختصر » . ولكنه استفاد من نتائج أبحاث هؤلاء الباحثين : وبحث ملاحظات وجهة وآراء توضحية في بعض الحالات التاريخية .

لكننا نلاحظ مع ذلك أن بعض آرائه في حاجة إلى مزيد من الموضوعية والتقدير العلمي الصحيح للطرف التي تمت بعض القرارات ، خصوصاً ما قاله في الصفحات ٦٠ ، ٧٣ . وقد رتب هذه المسألة خلفها الأستاذ محمد الله في كتابه *Enquête de l'Islam* ج ١ ، ص ٣٦٤ - ٣٨٦ ، وأبرز الظروف والأسباب التي أدت إلى اتخاذ هذه القرارات ومبرراتها التي يرى أنها تكي عقل يتخذ لاتخاذ التزبد دينه .

والكتاب حائل بالصورة للزكاة المتأخوذة عن روائع الفن الإسلامي

plus et la Collection de l'Exercice par Louis Thorez, 20.
Paris, 1967. 528 pp. Grand in 8.

هذا هو الكتاب الأول من مجموعة كان قد أعلن عنه المؤلف هو
وزير الأدب جورج شحاته قناني في كتابها ، المسمى (أصول الدين
في الإسلام) التي ظهرت سنة ١٩٤٨ .

وفي هذه المجموعة ينشد المؤلفان إلى عرض : المسائل الكبرى في
أصول الدين في الإسلام : مع مقارنتها بنظائرها في المسيحية ابتداءً من
الابيضاح ، ومنتهى في المسيح .

١ - الأول : ويكتبها الأب قناني وتتألف : ١ : وجوده وحياته .

٢ - الثانية : موضوعها : الله ومصدر الإنسك .

ومصدر الأخيرة هي التي ظهرت أولاً في الكتاب الذي تحدث عنه
الآن . وقد نصد الأستاذ أوي جوردن ، المعروف بالحنك العربية في
ميدان الدراسات الفلسفية لصوفية الإسلامية (والمكتب الإسلامية : ١٩٦١)
في ٤١٨ ص : ، المعروف الإسلامي : أوجهه واتجاهاته ، لجسار
ولسانيه : ١٩٦١ : في ٣١٢ ص : ، وآراء ابن سينا الدينية ، ١٩٥١)
في ٢٣٨ ص : ، الخ ...) إلى خمس مدالات (على حد تعبيره) أو
أبواب هي :

١ - آلهة نعل (سموت الإنسانية والخلقة الإلهية) .

٢ - النبوة (كتاب النبوة) .

٣ - البحث والآخرة (كتاب العدد ، الوحد والوحد) .

٤ - الأسرار والأحكام (مشكلة الإيمان والعمل) .

٥ - الإيمان والأمر بالمعروف .

والتي يملك كنه البثا بـ : «اصطلاحات فنية» (عربي - فرنسي) ،
الإسلام ، الآيات القرآنية المذكورة : الكتب والمقالات المشار إليها .

وأبواب الأول يتناول الصلة بين الله والعباد ، و«سر» العلق بين المطلق
أو الموجب وبين الممكن (الإنسان) ، و«سر» العمل الإنساني الحر في مواجهة
قضاء الله وقدره ، و«سر» العلاقة الإلهية ووجود البشر في العالم . والبحث
هنا أدخل في «العقليات» .

والثاني يتناول انبثاق بوجه عام والكنية : ورسالة النبي محمد صلى
الله عليه وسلم . والبحث هنا في منزلة بين «العقليات» و«السمعات» .
والثالث يشارك لنور الآخرة والبعاد ، ومسائل في الأخلاق النبوية مثل
التوبة .

والرابع في الأسماء والأحكام ، أي في الصلة بين الإيمان والعمل ،
وعمل الإيمان هو تصديق القلب أو يضاف إليه أيضاً العمل بعمل . وهذا
الرب أدخل في الأخلاق النبوية .

والخامس والأخير هو في موضوع الإمامة ، أي السياسة الشرعية ،
والمسائل التي يدرها ترجع إلى عهد الرسول ، وتبلغ أوجها بعد معركة
مؤتة (٦٢٧ هـ) ، وهم جراح المؤمنين ومقتداً خصوصاً نشأت الفرق
الإسلامية ، خصوصاً الشيعة والخوارج .

ولقد يبدو من هذا الترتيب أنه يسير بتدريج كتب التوحيد التقليدية في
الإسلام ، وخصوصاً كتب المتأخرين - والمؤلف يعتمد كثيراً عليها :
خصوصاً شروح : جوهرة التوحيد ، وعلى رأسها شرح أو حاشية إبراهيم
الهاجري المعروفة لطلاب المعاهد الدينية . ولكنه في تحليل العرض يرجع
إلى الكتب الرئيسية في علم الكلام ، وقد استضاف خصوصاً ما نشر في
السنوات الأخيرة من كتب المعتزلة ، خصوصاً كتب القاضي عبد الجبار :

« الذي » . و « شرح الأصول الخمسة » . وهي الكتب التي عثرت كثيراً في عرض مسائل علم الكلام وزادته علماً كبيراً بمنهج المعتزلة في كل أمور التوحيد .

بيد أنه نظراً إلى أن الأساس في دراسة الأستاذ حارثية هو المقارنة مع مذاهب اللاهوت المسيحي . فإن العرض يتقطع باستمرار بسبب هذه القدرات التي قد يطيل فيها المؤلف شيئاً أكثر مما ينبغي (راجع مثلاً ص ١٠٣ - ١٠٧ في الكلام عن فكرة المسيحية في الفصل الثاني من الجزء ١) وكان الأول بالمؤلف أن يوجز فيها قدر الامكان ، إذ أن ذلك أعطى للكتاب طابع المقارنة أكثر من طابع العرض ، خصوصاً وأن هذه المقارنة لا توضح الأسهل (وهو الرأي الإسلامي) ، بل ربما تزيد في غموضه .

كما كنا نود أيضاً أن يتخلو معهم المصطلحات الفنية (عربي - فرنسي) من أخطاء الخط غلباً عديدة .

عل أن هذا الكتاب - في حدود الذية التي قصدها المؤلف - يميز بكل تقدير : فهو يمتاز بسعة الاطلاع ، وحسن التمهيد ، والاهتمام بالعمق .

لكن المكتبة الأوروبية لا تزال بحاجة إلى عرض موضوعي علمي شامل لأصول الدين في الإسلام .

* * *

An introduction to Islamic theological doctrine: Concepts of nature and methods used for its study by the Imam al-Kutbi, al-Shahrastani, and Ibn Arabi. By Sayyid Husayn Nasr. The Belknap Press of Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1961, XXXI+302 pages.

موضوع هذا الكتاب هو دراسة الطبيعة عند اخوان الصفا والبيروني وابن سينا ، وذلك انقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة . وهو عبارة عن شرح

مقدمة ومقدمة لرسالة الدكتوراه التي فيها المؤلف أو جامعة هارفرد
بأمريكا سنة ١٩٥٨ .

ويهدف المؤلف إلى دراسة العلوم الطبيعية عند المسلمين من صوره
في الإسلام التي حصلت عنده ، حتى نأخذ أن هذه العلوم في الإسلام
كانت على رباط وثيق بالأفكار الميتافيزيقية والدينية واغلبت التي سيطرت
على الحضرة الإسلامية : ذلك أن الدراسة الأساسية للعلوم الكونية في
حضارة ، يجب أن تحسب حساباً ليست فقط في استعاره من أفكار
ووقائع من حضارات سابقة ، بل أيضاً لذلك الارتباط الوثيق بين
الوحي وبين الرموز المستخدمة لدراسة الطبيعة (ص ٢) .

وقد اختار المؤلف : اخوان الصفا ، والبيروني ، وابن سينا ، لأهم
في نظره ، وعللون نظرياً كل الاتجاهات المهمة التي اتخذت في العلوم
الكونية في الإسلام (ص ٢٧٥) . فإخوان الصفا يمثلون النظرة الشيعية
خصوصاً الاسماعيلية عنده ، وهو يرون أن دراسة الطبيعة جزء من برنامج
شعر ماركس الإنسانية ، وهم يربطون نظرتهم في الكون وبين الأصل
لأنهم يملكون : ورون أن دراسة الكون وأجزاءه خصوصاً مليحة وضرورية
معرفة الحقائق الإلهية .

أما البيروني فيمثل وجهة نظر العلم والبرهان والبرهاني والحكي .
ونشره إلى الطبيعة نظره العلم السابق الإنسان ، الذي يرى العلم من
جميع النواحي ، ويرى من لادخي للذين ملاحظة الطبيعة ودراساتها . وعنده
يتميز بعض الأفكار الهندية ، خصوصاً فكرة الرحمن ، مع الأفكار
اليونانية : وكل هذا عن دوره موقف إسلامي تجاه الطبيعة بوصفها المجال
لعظيم لتجلى فكرة الله .

ويضم المؤلف فلسفة ابن سينا إلى توماس : طائفة أو رسمية ،
ومسورة أو بشرية ، وفي الأول يتجلى شيئاً عائداً متأثراً بأرسطو

وشرحه الأستاذون والطلبة المحدثين ، والتوحيد الإسلامي . وفي الثانية يرى ابن سينا أن المعرفة طباعة ، وأنها عملية يتحول بواسطتها العارف . ويحده في هذه المرحلة أن معرفة الكون تتم بواسطة السفر في الكون : بحيث أن معرفة الظواهر الطبيعية تتحول إلى تجارب مبرقة شرقية ، فتصبح طبيعة في هذه النظرة بمثابة الأساس لمسار العرفاني ، ومعرفة الطبيعة هي الطريق المؤدي إلى النجاة الروحية .

والكتاب بالتصاوه على هذه المذاهب الثلاثة يحوي على من يتولى البحث عن فكرة الطبيعة عند بعض المفكرين المسلمين ، خصوصاً ابن ركبنا الرازي الذي كان يستحق أن يقام مركز أصدره في مثل هذه الدراسات لأن أفكاره أكثر أصالة من هؤلاء الثلاثة .

• • •

Marino Faddaggon, Di ritorno dall'essere. Azzorre Azzorre Occidente, Bologna, Il Mulino, 1994. 128 pp.

هذه دراسة مستفيضة لطوائف خاصة من فلسفة هيدجر تتناول خصوصاً الأمور المتعلقة بالخطارة وموقف الإنسان في الكون في فلسفة هيدجر .

هذا درت فصوله على :

١ - هاوية التناحر في الرجوع .

٢ - تجاوز الشكل .

٣ - تجلّي الوجود .

٤ - الإنسان والعدم .

٥ - صير الفكر .

ومن هنا هدف الكتاب إلى استجلاء مصير الخطارة الحرة من خلال تحليلات هيدجر : لأنه وجد في قلوب أفكاره ورؤية المشاكلي التي درسها ما يمكن من ذلك .

وقد سره المؤلف لباً شبه كامل تراثات هيدجر وأعماله وكتبه ببلد
١٠٢ : وأضاف إليه لباً كاملاً باللغوس والترجمات التي قام بها
هيدجر في الجامعة في السنوات من ١٩١٥ حتى ١٩٤٥ : ثم من ١٩٤٥
حتى ١٩٥٧ : فجهت إليه المصادر هذه فوفى ما نعرف من إثبات شخص
إنتاج هيدجر ، كذلك نقلت بعض الكتب المترجمة التي تناولت مذهب
هيدجر : لخص بالتحليل والتشديد منه : هي :

- K. Löwith, Heidegger, Denken in deutscher Zeit, 2. Aufl. Göttingen, 1960, 112 pp.
- J. Wipplinger, Wahrheit und Geschichtsdenken, Eine Untersuchung über die Frage nach dem Wesen der Wahrheit in Heidegger Martin Heidegger, München, 1961, 388 pp.
- W. Mann, Heidegger und die Tradition Eine geschichts-philosophische Einführung in die Denkweisen Martin Heideggers, 1961, 287 pp.
- E. Schülsel, Die spätere Heidegger, Pöhlmann, 1962, 112 pp.
- O. Pöggendorf, Der Dasein Martin Heideggers, Pöhlmann, 1961, 93 pp.
- G. Venturi, Dasein storia e linguaggio in Heidegger, Torino, 1962.

وأكتبوا ذلك على مدى الأهتمام البالغ بفلسفة هيدجر في السنوات الأخيرة
وقد جاء كتاب كولومر هذا فأوفى عليها جميعاً في غزارة المادة وعمق
لتحليل وجهة النظر التي نظر بها إلى فلسفة مؤسس الوجودية . ولا ينبغي
لي تلخيص من يأن هذا البحث المنار

البحث العلمي

- 1 -

المؤتمر الأول لكلية الآداب والفنون

المؤتمر التاريخي : ليبيا عبر العصور :

عقدت كلية الآداب والفنون في الفترة من ١٦ إلى ١٣ مارس سنة ١٩٦٨ مؤتمراً الأول ، وهو المؤتمر التاريخي : ليبيا عبر العصور . وقد شأت فكرة المؤتمر لدى المسؤولين في كلية الآداب باعتبارها مركز الدراسات التاريخية والمكان الأول الذي يتم بالبحث في تاريخ البلاد . وكانت الأسباب التي دفعت الكلية إلى إقامة المؤتمر متعددة وكثيرة ، فقد عادت البشرية لطريق طرابلس على أرض ليبيا ولزمت تاريخاً عريقاً لا زالت آثاره في كل مكان تشهد على روعته . هنا إلى أن ليبيا ، بموقعها الفريد في قارة إفريقيا بين شرقها وغربها وبمستند موانئها لتقوية على البحر المتوسط ، وبمستند أرضها في دلتا إفريقيا ، وبآثار ذلك كله عليها وبالنسبة إلى جيرانها - قد لعبت أدواراً مهمة على ملتقى تاريخها الطويل .

وعلى ذلك فإن عقد مؤتمر تاريخي يتناول فيه باحثون متخصصون
 ليطروا على دراسة فترات التاريخ الليبي المختلفة ، يقدمون أحدث ما
 وصلوا اليه من نتائج : لاشك يأتي أصداء كاشفة لحل الكثير من جوانب
 هذا التاريخ ، وقد نجحت الكلية في إشراك كثير من العلماء والباحثين
 وجاءت النتائج جيدة لأهداف المؤتمر إلى حد جيد .

ومنتظر البحوث في عتالين ليكروا من المراجع الهامة في تاريخ ليبيا .
 ونها يلي بيان برنامج المؤتمر وما التي فيه من أبحاث وما قدم إليه
 من دراسات مكتوبة :

البيت ١٦ مارس ١٩٦٨ :

حفل الافتتاح

- خطاب الأستاذ مصطفى عبد الله بعور - وزير التربية والتعليم .
- خطاب الأستاذ عبد المولى دغمان - مدير الجامعة الليبية .
- خطاب الدكتور خنار مصطفى بوزو - عميد الكلية .
- كلمة الدكتور فوزي فهمي جاد الله - منكرتمر المؤتمر .

الدورة الأولى :

الأستاذ الدكتور س. ب. م. ماكيني - أستاذ ما قبل التاريخ بجامعة
 كمبردج .

ليبيا ما قبل التاريخ .

أبحاث مكتوبة :

- ١ - الأستاذ د. فوزي - روم
« الصور الصخرية لا قبل التاريخ في طران »
- ٢ - الأستاذ د. باقر - لمشار عملاقة الآثار - طرابلس
« عصر ما قبل التاريخ في ليبيا
وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة »

المحاضرة الثانية :

- ١ - الدكتور فوزي فهم جند الله - الجامعة الليبية
« مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت »
- ٢ - الأستاذ محمد مصطفى بزملة - وزارة التربية والتعليم
« التأثير الليبي في حضارتين المصرية واليونانية وعكسهما »

الأحد ١٧ مارس ١٩٦٨

المحاضرة الثالثة :

- ١ - الأستاذ الدكتور د. شاهر - أستاذ الأدب اليوناني بجامعة
تونس (السربون)
« نقش بوبوليسوس »
- ٢ - الأستاذ الدكتور ابراهيم نصحي - رئيس قسم التاريخ بالجامعة
الليبية
« ركشلاوس الثالث »

أبحاث مكتوبة :

الأستاذ ج. بورفيل - أمين متحف الأسبويلان - جامعة اكسبور
: تدوين في بحارة الخمار مع توكرة .

الدورة الرابعة :

١ - الدكتور ج. ب. ورد - بوكتر - مدير معهد الأكل لبرياني
في روما

أعاصر مائة الصارة الرومانية في طرابلس :

٢ - الدكتور مصطفى عبد الحليم - جامعة عين شمس القاهرة
« لليون والحرب في البردي العنسي »

٣ - الأستاذ حوضي السعدية - مراقب الأكل بركة
والاستيطان الأخرشي في بركة مع معة إلى الخمار
التي اكتشف فيها :

الأليني ١٨ مارس ١٩٦٨

الدورة الخامسة :

١ - أيني لوب ريدان - جامعة كمبودج

« الأقاليم في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد في مصر » بطرابلس

٢ - الأستاذ م. روماني - أكاديمية لومبيد بروما

« مكانة ليبيا في آثار شمال إفريقيا »

- ٢ - الأستاذة م. ف. امكوار تشينو - مصلحة الآثار برونا
: تمللات في تحت ليد.

أحداث مكتوبة :

- ١ - ابراهيم الأستاذ ر. جودناباك - جامعة نالين
: لطرق الرسانية في ليبيا وعلاقتها
- ٢ - الأستاذ أ. دي ليت - جامعة برونا
أ - « اللغات العربية »
ب - « أشرطة صوتية »

الدورة الخامسة :

- ١ - الدكتور ج. ربوللوز - أستاذة بجامعة كمبودج
: نقوش من بركة - تقرير تفصيلي
- ٢ - الأستاذ م. متوكي - جامعة روما
: تاريخ العمارة في بركة في العصر الأخرقي

أحداث مكتوبة :

- ١ - السيد :. قلبد - مصلحة الآثار - موابس
: ليبيا في العصر الحديث
- ٢ - السيد م. أبو حامد - مصلحة الآثار - طرابلس
: الحفريات في ليبيا

الطبعة ١٩ مارس ١٩٩٨

الفترة المتاحة :

١ - الأستاذ ل. نوميوك - رئيس قسم الدراسات القشتالية بجمهورية
البحرين بنجويرا

٢ - يونس وروطين في لندن قطر بلدي في أوائل شهر
الأمير الطوري الروسية

٣ - الأستاذ د. ب. كوروا : مدير معهد الآثار لشرق أفريقيا
ومدير الجمعية الجغرافية الملكية بلندن

٤ - أبحاث لرومانية إلى عمان قبل رقيم لشاد - درنور

٥ - الأستاذ م. م. دابلس - جامعة نيوكاسل
« جرميت فران »

أبحاث مكتوبة :

١ - الأستاذ د. كرايوي - معهد الأبحاث لعلوم
الأمم المتحدة بفران

٢ - الأستاذ د. م. أيوب - مراقب آثار لفران

٣ - جرميت في عصر لرومانية : ١٠٠ - ١٥٠ م

٤ - الأستاذ م. م. أيوب

« حصة كورنيلوس البوس »

المحور الثامن :

- ١ - الأستاذ أ. م. م. جوت - جامعة كمبريدج
« الدفاع عن الحدود في ليبيا البيزنطية »
- ٢ - الدكتور د. ج. صبيح - جامعة نيوكاسل
« الكنتاريا في صرابلس وسواها »

الأربعاء ٢٠ مارس ١٩٦٨

- ١ - الأستاذ الدكتور نقولا زينة - الجامعة الأميركية - بيروت
« ليبيا بين الحسن الوزاني ودرمبول »
- ٢ - الدكتور حسان صمدني - الجامعة الأميركية بالقدس
« ليبيا في العصر الفاطمي »
- ٣ - الدكتور ب. طيلا - رئيس قسم التاريخ بالجامعة الملكية بطنجة
« علاقة طريفة بالحق بطنجة »

أبحاث مكتوبة :

- الأستاذ عوض المعلوينة - مراقب الآثار في برقة
« حالة ليبيا كما ذكرها الطنج أبو سالم المديني في رحته »

الطبعة العاشرة :

- ١ - الامتداد مصطفى جدامق جدير - وزير التربية والتعليم
« بعض ملامح تاريخ ليبيا في القرن التاسع عشر »
- ٢ - الامتداد عمر بن لهماجين - قسم التاريخ بجامعة ليبيا
: الظروف التي أدت إلى احتلال علي الجازنولي لمدينة
طرابلس الغرب - ١٧٩٣ - ١٧٩٥ :

الطبعة ٢٦ مارس ١٩٦٩

الطبعة الحادية عشرة :

- ١ - لخير دثكان كمنج - لندن
: التسمية في الحرب العظمى الأولى :

أبحاث مكتوبة :

- الدكتور: ج. ز. داسم - جامعة بن شمس : القاهرة
« مؤلف مصر من الحروب البنية الإيطالية :

طبعة مختصة :

إخيفت واليهت ٢٢ و ٢٣ مارس ١٩٦٩

رحلة صيفية لأعضاء المؤتمر إلى المناطق الأثرية في سهل الأحمر

مشروع المعلوم اعلمي المشترك بين الجامعة البنية وجامعة لندن

اتفق قسم الجغرافيا بكلية الآداب بالجامعة البنية و قسم الاقتصاد بكلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن على القيام بمبحث علمي مشترك يناول دراسة حديثة لمظاهر الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة البنية ، وفيما يلي الغايات الرئيسية لهذا المشروع :

أ- دراسة تطورية لتطورات في تربية من التولعي الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والاثنولوجية وخاصة التطورات التي تجت عن اكتشاف البترول .

ب- ان هذه الدراسة المحلية تستغرق ثلاث سنوات زراعية و قد ابتدأت هذه الدراسة من أول تموز سنة ١٩٦٧ ، وسيكون سبع سنة ١٩٧٠ هو نهاية هذه الدراسة المحلية . وسيبدأ في أول سنة الدراسة ١٩٦٩ : وضع التقرير النهائي : وما يخص الملاحظات الاستقصاء لولاية بول بواسطة المختل الاكروني في جامعة لندن .

ج- تشمل هذه الدراسة :

- (١) استغلال الاراضي في كل من المحافظات الشرقية والغربية والجنوبية - بركة وطرابلس الغرب ولزك - مع دراسة تحليلية لمناطق معينة كمنافج تمرالجميع الخالية :
 - المزارع الاتني والاميس الجاهية .
 - المزارع التي تشتهر بالتمسة الوطنية الامتيعك الزراعي .
 - المزارع الخاصة الصغيرة .
 - المزارع الخاصة الكبيرة .
- (٢) جميع ابحاث الخاصة بالمزارع :

وذكر هذه المواضيع مرتبطة بدراسة مصطلح الأراضي والغرض
من توفير البيانات الخاصة بالمواضيع التالية :

أ) ميزانية الدولة .

ب) ميزانية العائلة .

ج) حالات الهجرة وشروط الملكية .

د) حالات وظروف ملكية الأراضي .

هـ) مشاكل الزرعين الاجتماعية والاقتصادية في إطار البؤر القروية
أعلاه .

ثم عوائد حقبة أخرى : هذه تشمل دراسة عوامل التغييرات
الاقتصادية والاجتماعية عبر مذكورة بالقطاع الزراعي : وخاصة
حالة حجرة أهل إلى المدن ومواضيع ديموغرافية وبنائية وما
يتضح له في أهمية المشروع بصورة عامة .

هذا ونقوم بالدراسة التي خاصة تابعة للمشروع : قبل حسب
التخصص : في المناظر التالية :

أ) تحليل الأنحضر والناظر الجواردة له مباشرة .

ب) سهل القروي ومنطقة مزارع .

ج) منطقة الحشيش مزارع .

د) جبال القنوصة (من مزارع إلى المزارع القروية) .

هـ) جبال القروية (مزارع - مزارع) .

و) جبال القروية (مزارع - مزارع) .

ز) راحة مزارع .

هذا وتعمل الفرق برئاسة أعضاء هيئة التدريس بقسام الجغرافيا والتربية
وأعضاء قسم الاقتصاد بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ،
ويعرأس الفرق العاملة في ليبيا الأستاذ الدكتور محمد مصطفى جود غميه
كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية ، كما يشرف على الجانب الأكاديمي
في لوائح الاقتصادية الأستاذة ادبث - برورز .

وانسجم للجامعة الليبية بصف تكيف المشروع ويسهم بالنصيب الجاني
كل من جامعة لندن وشركة البرورز البريطانية .

ملحة عن المشروع المشترك لدراسة الثقافة في التعليم

توليه وزارة التربية والتعليم في ليبيا كجزء تربى لغيرها في بلاد أخرى
وخاصة أهمية منها مشاكل تعليمية كبرى نجحت في لأصل عن سببها
الحيث لتربيع الحق بالتول بالثقافة في تطوير التعليم والثقافة والتعبير
في هذا قبل أن نجعل من استغلال . ومشكلة ثقافت في التعليم من
بين المشكلات الأساسية في هذه الدراسة ، ونقصد بالثقافة في التعليم
ما يلعب دوراً من وجود مادة وفكرية لا تعود دسماً بالوجود المتغير
منها بالشكل الذي يتناسب مع وجود المادة والفكرية بالادوية بحقيقته .

وقد انتهت كل من وزارة التربية والتعليم والجامعة الليبية إلى هذه
المفاهيم فتمت على دراستها دراسة علمية منظمة ، وقد أعتبر السيد
دريد الترية والاعلام قوياً بتاريخ ٢٠٢١م أن بتشكيل لجنة مشتركة
بهم أعضاء من الوزارة ومن كلية الآداب برئاسة الدكتور محمد مصطفى
جود غميه كلية الآداب بقيام بدراسة تفصيلية حقلية بناء الطائفة وما
ينتج عنها . وقد عرفت اللجنة عدة استنتاجات وغالب برزواست تجميعية

بعض المدارس الابتدائية في محافظتي بعلبك وحملاش : ومدرسة
تواصل الحق جهودها في بداية العام الدراسي القادم ، وذلك انشاء
بناها تقدم الوزارة والجامعة بتقرير ضاف عن دراستها ، ولا شك في ان
المؤسسة ستولي انتوير النظر ما يستحقه من العناية والتقدير .

موسم المحاضرات العامة
في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية
في العام الدراسي ١٩٦٧ - ١٩٦٨

- د. محمد الرحمن بدي : « تأملات في الحضارة العربية » .
د. نوري جعفر : « الفكر : طبيعته وأفاق تطوره المعاصرة » .
د. محمد مصطفى حلي : « حياة الروحانية الإسلامية : تحلل وفكر » .
د. محمد علي العربي : « لماذا نعلم ؟ » .
د. جلال المير : « الكتاب بالشعر » .
د. حسن جواد ديمر : « أسهم في الانجيز في الدراسات العربية »
(باللغة الانجليزية) .

محاضرات : ثرون

- الشيخ المنفلوطي بن عثمان : « مني لدار تونس وعية نكي »
« شريعة وأصول الدين في تونس » : « المنهج المبني في تاريخ
الأديان » .

- أمين بيكيش : عميد كلية الآداب وأستاذ تاريخ السومريين
بجامعة أنقرة : وضع الأصول مبادئ ، واجتماعياً ، وإدارياً
في القرون الأولى .
- عثمان غاوي كوجاجلي : أستاذ تاريخ الفنون الإسلامية بجامعة
أنقرة : منازل القوافل - كرافان سري - في الأصول .
- د. عبد العزيز الفوري : المخطط البري والتمهيد الاقتصادية .

ملخص

بحث تحليلات التربة وعلاقتها
بإستغلال الأراضي في سهل المرج
الدكتور مختار مصطفى بور

يقع سهل المرج في الجزء الغربي من الجبل الأخضر ما بين الملق الأول والحق الثانية وهي المنطقة المروغة باسم المنطقة العليا ، وسهل المرج حوض مائي تتكون نتيجة الشعبة الكارستية ، وتغطي هذا الحوض منطقة مسيطة من التربة الحمراء (البرادوسا) ، وأخذ سهل المرج شكل شبه دائري يحد في اتجاه جنوب غرب بشمال شرق ، وهو يقع طول ١٢ كم وعرضه ١٢ كم ، وأقل جهاته انخفاضاً تقع على ٢٧٦ م فوق مستوى سطح البحر ، وهي التي تحدها البحيرة (الغريزة) الواقعة على شمال شرق مدينة المرج القديمة - والبحث مقدسة من جيولوجية سهل المرج وساخ المنطقة ، وذلك لأهمية هاتين العاليتين في تكوين التربة الحمراء والتي تتميز بـ بعض السمات التي تعود إليها الخصائص الجيولوجية ومنابع البحر المتوسط .

ويعد سهل المرج ثروة للمناطق الزراعية من حيث زراعة القمح والتمكيد الموصح في المناطق الصحيرية ، وتبلغ مساحة الأراضي الزراعية في عام السهل حوالي ٢٥.٠٠٠ هكتار ، وقد بدأ الإبطاليون في استغلال

هذا سهل زراعياً بزرعة القمح وادخال المحاصيل الشجرية . وبعد خروج الإنجليز من ليبيا قامت الإدارة البريطانية ١٩٤٢-١٩٥١ بالعمل على تسيير المزارع المحج في سهل المرج حتى تصبح ليبيا موحدة عن نفسها في أوضاع الحرب العالمية الثالثة . الحرب العالمية الثانية . ونشوء الحكومة الليبية الحالية من طريق المؤسسة الوطنية للاستيطان الزراعي بنسبة مزارع الإنجليز السابقة في سهل المرج كجزء من نطاقها التي يغطي معظم الأراضي الزراعية في ليبيا .

م. بلومس البحث دراسة تفصيلية لحد عشر قطاعاً في التربة حيث توجد كل قطاع من عشرين ، الأول من المصح والمائي من صنف ٢٥ م . وقد أخذت بعض القطاعات من خارج السهل وذلك لغرض المقارنة .

ولقد طلت العينات التي أخذت من السهل في بعض شطوط البحار بسببي المصري بمرابلس ، ويرافق مع هذا البحث نتائج التحليلات الكيميائية والفيزيائية . كما هو مرفود جدول عن موقع العينات في السهل وخارجها ونسبة التكوين الجيولوجي . ثم جدول آخر لتصنيف عينات التربة .

وهذه الدراسة هي دراسة التربة في ليبيا حيث أن هذا العمل لا يزال في مراحله الأولى في ليبيا .

وقد اتضح من هذا البحث أن بعض العوامل التي تحدد خصوبة التربة مثل المي و انتشار الصخور لا تتشكك خطورة في هذه المنطقة كما هو الحال في بعض بلاد الشرق الأوسط . فالترية الجبراء هنا حقيقة وتوفر إمكانية تصدق جدول التربة إلى عينات متوسط ، ولكن الشبكة تنضج في طريقة التربة والبيئة التربة . أما فيما يخص بالميزات الطبيعية لهذه التربة مثل الرطوبة وتركيب التربة فهو في حاجة إلى استطلاع منظم

دقيق ، بها انقصر في اللون الحموية والبيروجرن والنومفات يمكن
معالجته بنظير معدل الامتصاص .

وحيث أنه لا توجد عوائق بيولوجية فإن تربة سهل المريج بالامتزاز
المضم يمكن اعدادها خاصة .

THE FORM AND FUNCTION OF MISRATAH'S COMMERCIAL CENTRE

by Dr. Gerald H. Blake

Lecturer in Geography, University of Durham, England

Introduction

With the advent of important oil revenues since 1961 the Government of Libya has widely embarked upon physical planning at national and regional levels. Among the many plans being prepared by overseas consultants at the present time are master-plans for the coastal oasis towns of Tripolitania, including El Khums, Zintan and Misratah. (1) Of these Misratah constitutes a challenge of particular interest to the town planner as a result of its early evolution as an oasis market town through to the grandiose expansion of the Italian period. In its ground-plan Misratah illustrates many features of the larger cities of the Arab world which are so often the heirs of different cultures, with a European-style town grafted awkwardly on to a traditional type of Arab town (Figure 1). This arrangement poses many problems for the rationalization of traffic flows and land use, and the installation of piped water, electricity and sewerage. The research upon which this paper is based was carried out in 1966 at a time when it was already clear that Misratah was on the verge of great changes. The aim was to examine traditional town-country relationships before they become totally obscured, and

these functional relationships are clearly reflected in the form of the town's commercial heart.

At first sight the layout of Misratah has little to commend it. The street-pattern has clearly developed piecemeal, and on the fringes of the town there is much wasted land. Social facilities such as schools, post office and hospital are scattered inconveniently throughout the new town, but worst of all, there appears to be little to bind the old and the new towns together. It is hoped however that this paper will show that close examination of the central area of Misratah reveals much that is functionally sound, and a focus of interest in the shops and markets which give the town a sense of coherence and unity. When it is remembered that this central area has grown organically with no conscious planning it is remarkable how well it has been adapted to the needs of an oasis market. This is not to say that it will not require replanning in the future to fulfil its functions as a regional and route centre of growing importance.

The morphology of Misratah

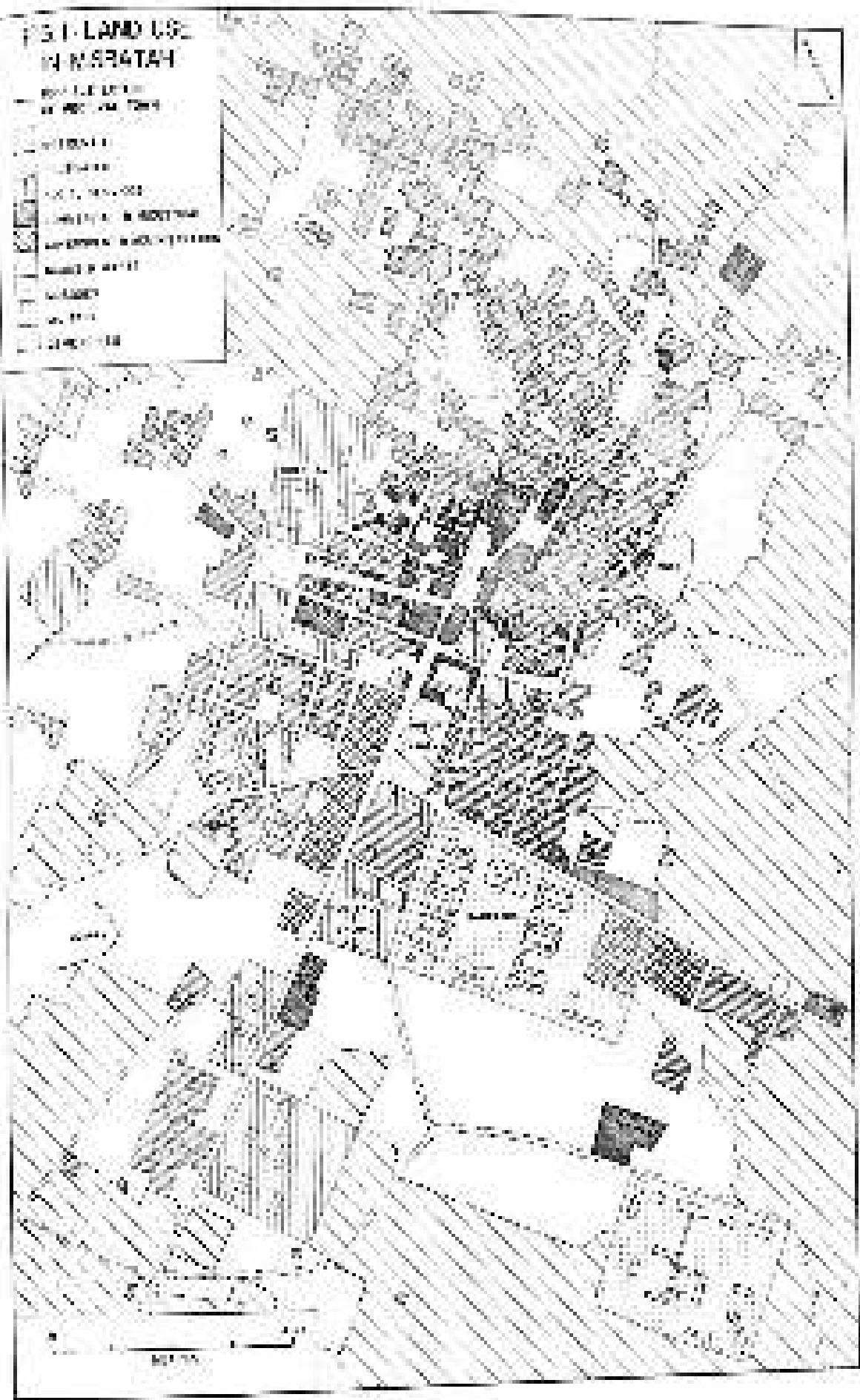
To understand the layout of the centre of Misratah and its relationship to the rest of the town, reference must be made to how the town has grown and expanded.

The origins of Misratah are obscure and in any case not relevant to the theme of this paper. The important fact is that probably as early as the thirteenth century there was a very small town functioning as a local market and engaged in some form of inter-regional trade. The oldest mosque in the town (Al Ali) dates from the late fourteenth century, by which time the population may have been four or five hundred. It is not possible to reconstruct the medieval town with any certainty, but an attempt has been made in Figure 1. Dwellings and market places would doubtless have been within easy reach of the mosque, and the market place may well have been on the fringe of the town as in many small towns and villages of Tripolitania today. It is quite likely that the size of the present livestock

POST LAND USE IN MARIUTAH

POST LAND USE
IN MARIUTAH

- 1. POST LAND USE
- 2. POST LAND USE
- 3. POST LAND USE
- 4. POST LAND USE
- 5. POST LAND USE
- 6. POST LAND USE
- 7. POST LAND USE
- 8. POST LAND USE
- 9. POST LAND USE
- 10. POST LAND USE



market is the site of the old market place. A description of Misratah in 1921 suggests that there was always an old market somewhere near this point, being 'half occupied by a pool of green and stinking water' (2). The occurrence of seasonal flooding in basin-shaped market places which have been created by the combined action of man, animals and wind is well known in North Africa and generally indicates markets of great antiquity. The medieval town was probably limited to the south-east by the ancient cemetery and pond, and between them by an area of stone ground whose slightly greater elevation would have discouraged well-sinking. The alignment of the seventeenth-century east-west thorough road suggests that it follows the line of the most ancient caravan route which would have turned south-west to avoid the dune formations which extend far inland west of Misratah (Figure 3). Finally, medieval Misratah may have had a small Jewish community since some very old inscriptions with Hebrew inscriptions have been found near the town (3). If this was so, the Jews would probably have inhabited much the same part of the town as was later to become a Jewish quarter.

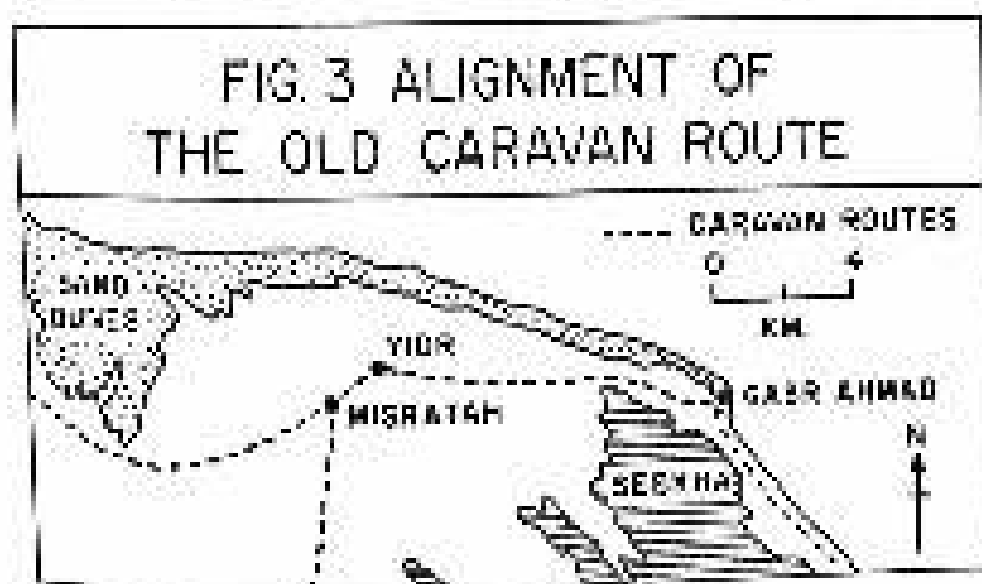
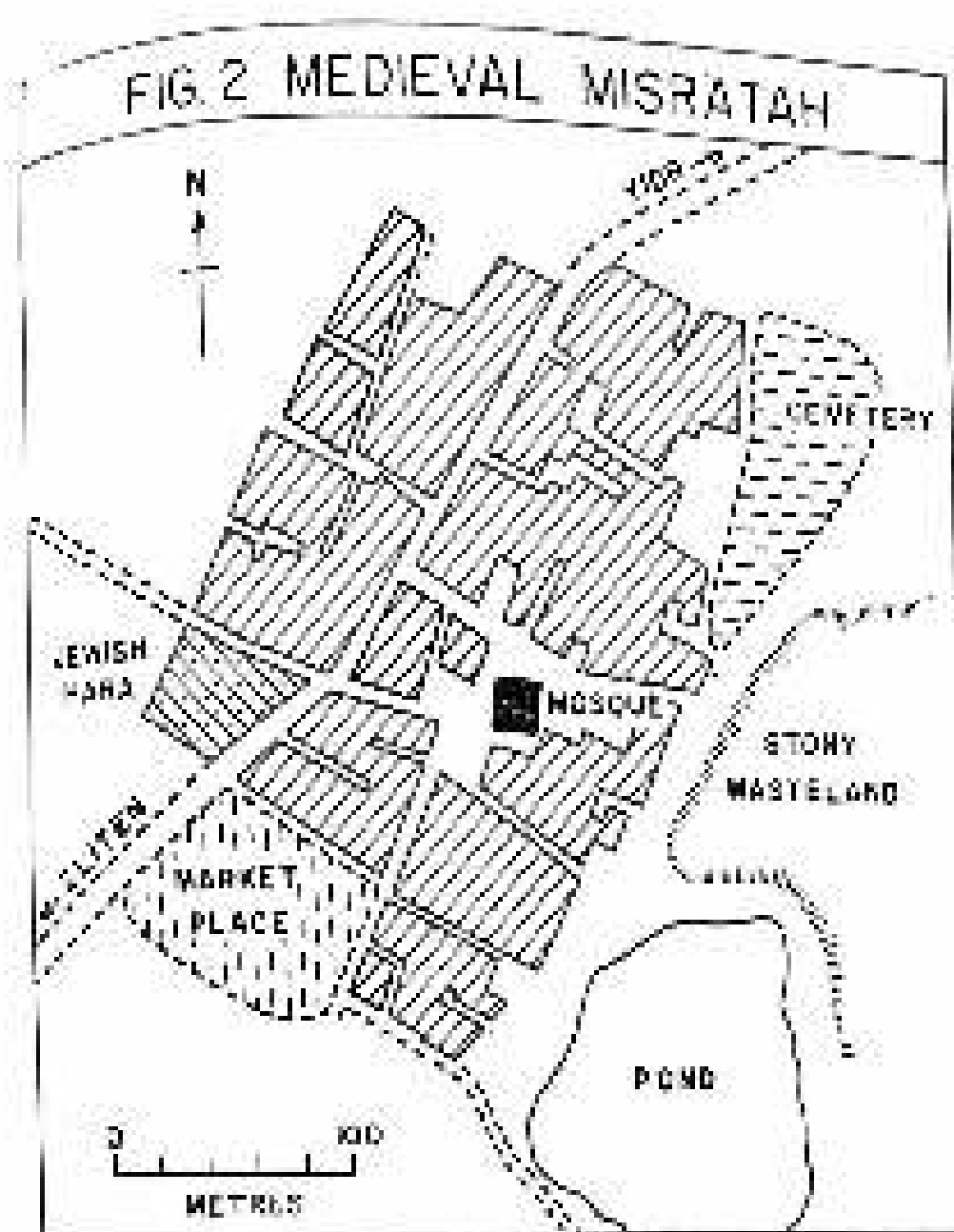
If this reconstruction is substantially correct, it explains why later commercial activities have developed on the south and south-western margins of the old town. The market place itself would have been a focal point, but it was also at the point where the east-west route and the route from the south, skirting the pond, would have met. It is certainly true that from the sixteenth century onwards Misratah's residential area expanded north and north-west rather than to the south and south-east (Figure 4). One reason for this could be the existence of a shallow 'perched' water table underlying the older parts of the town which was not available in other directions.

From the middle ages onwards, Misratah was a trading centre of some importance, though its fortunes fluctuated with those of its main trading partners. Under its old name of *Tahtaltah* the town carried on flourishing trade with Venice, Genoa and several North African ports. Wax, olive oil and salt were exported via Gaoz Ahmed in return for silk and general merchandise. The fifteenth and sixteenth centuries were a period of decline and

shortage but in the seventeenth and eighteenth centuries there was a revival of trans-Saharan trade, particularly in slaves, and Misratah found itself highly favoured as a collecting centre since Turkish taxes could be more easily evaded than nearer Tripoli.(4) But these activities appear to have had little impact on the townscape apart from an increase in private houses. If any craftsmen's shops, stores or markets were built, they have not survived; possibly they were in Yidi or Ghar Ahmad rather than Misratah. Most of the commercial buildings in existence today appeared after the beginning of the nineteenth century.

The spate of building which occurred in the nineteenth century south and south-west of the town was the result of two factors. First, Misratah was becoming a market centre dependent upon wealth generated locally rather than upon transit trade largely as a result of the increasing sedentarisation of semi-nomadic oases east of the town. Weekly marketing of vegetables and livestock was becoming more important than seasonal markets. Secondly, Misratah became the headquarters of a *Mutawaniyya* in preference to El Khoms and efforts were made to attract economic as well as administrative influence to the town by building new shops and markets. This deliberate policy may have ensured the supremacy of Misratah over neighbouring Yidi. During the nineteenth century therefore several streets of shops and workshops appeared around *Maidan Chardahya*, and a covered fruit and vegetable market was constructed. Building adjacent to *Maidan Nasser* occurred about a hundred years ago and included several small *sukas* such as *Suk As Zait* and *Suk Al Akazu*. Later in the century large blocks of shops were built adjacent to what was to become the Italian town. By the turn of the century commercial activity was already highly concentrated around *Maidan Nasser*. A notable feature of these developments was the continued separation of residential and commercial functions with the latter at that time still concentrated in peripheral areas. Some houses of Turkish style did appear among the commercial buildings, but they were very few.

Effective Italian occupation was short-lived in Eastern Tripolitania, but in spite of this the Italian period (1911-1943) has



a continuous influence on the make-up of Misratah which was designated as a provincial capital and a regional economic and social centre for huge new demographic estates at Isdini, Ismarin and Taramina. Thus a great deal of building occurred, most of which did not affect the commercial quarter except that a fish market was added. This building did, however, have one highly significant result in that it shifted the town's centre of gravity to the south-west and had the effect of leaving the shops and markets at the geographical centre of the built-up area. Since independence much building has continued in and around the "fisher town", thus finally establishing the centrality of the commercial area with its shops and markets.

Misratah's commercial functions

Before turning to a detailed analysis of the nature of Misratah's commercial functions must be outlined and considered on given in the nature and extent of its hinterland.

Market days are held in Misratah three times a week on Sundays, Tuesdays and Thursdays. The only market town which is any kind of a rival to Misratah is Zliten (lying some fifty kilometres to the west), but field investigations showed that visits are made to Misratah by people living within a very short distance of Zliten. There are also a number of farmers who visit markets in both towns a practice made possible by the fact that in Zliten, markets are on Sundays and Wednesdays. Small local markets are held within Misratah's sphere of influence at Alawagha on Mondays and Thursdays, and at Zawiya Al Mahjub on Fridays. There is thus a staggered arrangement of markets within the region which leaves Misratah without competition on Tuesdays and with no serious competition on Thursdays.

Figure 6 is an attempt to define Misratah's hinterland, defined as the area from which people visit the market habitually though not necessarily frequently. The area covered is surprisingly extensive, taking in the whole of the Misratahiyya of Misratah and extending beyond to the three small oases of Huf, Waddan, and

Sayakrah in the south, to Elrit in the east, and Fari Ud in the west. Calculations based on figures published in 1967 suggest that the hinterland thus defined could embrace a total population of approximately 106,110 (3). The configuration of this hinterland is virtually unaffected by competition from other markets except Zliten in the northwest. In many ways the flow of goods to and from such markets on the margins of the great deserts is more akin to that of a sea-port, with distance playing a less decisive role than in regions with an even spread of population.

Figure 2 also indicates the frequency of visits to the market in Misratah. Three zones can be identified, corresponding very roughly with three contrasting forms of land use. First, the vast outer area stretching as far as four hundred kilometres to the south, characterised by a fairly poor nomadic economy with a few tiny oases engaged in small-scale irrigated farming. The population is scanty, the most important contribution to the market being livestock and dairy products, particularly camels and wool. Next comes a middle zone where some settled population occurs and including a region of moderate densities of population around Fari Ud. Throughout this zone are a scattering of farmers who make the journey to Misratah at least once a week. Livestock are still important, but there is also a shifting cereal cultivation, olives and dates in some parts, and occasional patches of irrigated agriculture. The third zone is by far the most important, comprising the oasis of Tawarghat. Possibly two-thirds of the population served by Misratah inhabit this zone. Here, irrigated agriculture is the chief concern but livestock, olives and dates and cereals remain important, so that the amount of activity generated for the market is outstanding. Within this zone most families are represented at two or three markets every week.

One of the functions of Misratah therefore is to act as a market and exchange centre for the needs of these three complementary regions. But more detailed consideration of the latter zone shows that there is marked local specialisation within the oasis itself which leads to intense demand for the exchange of goods, and the local trade is probably more important than the latter.

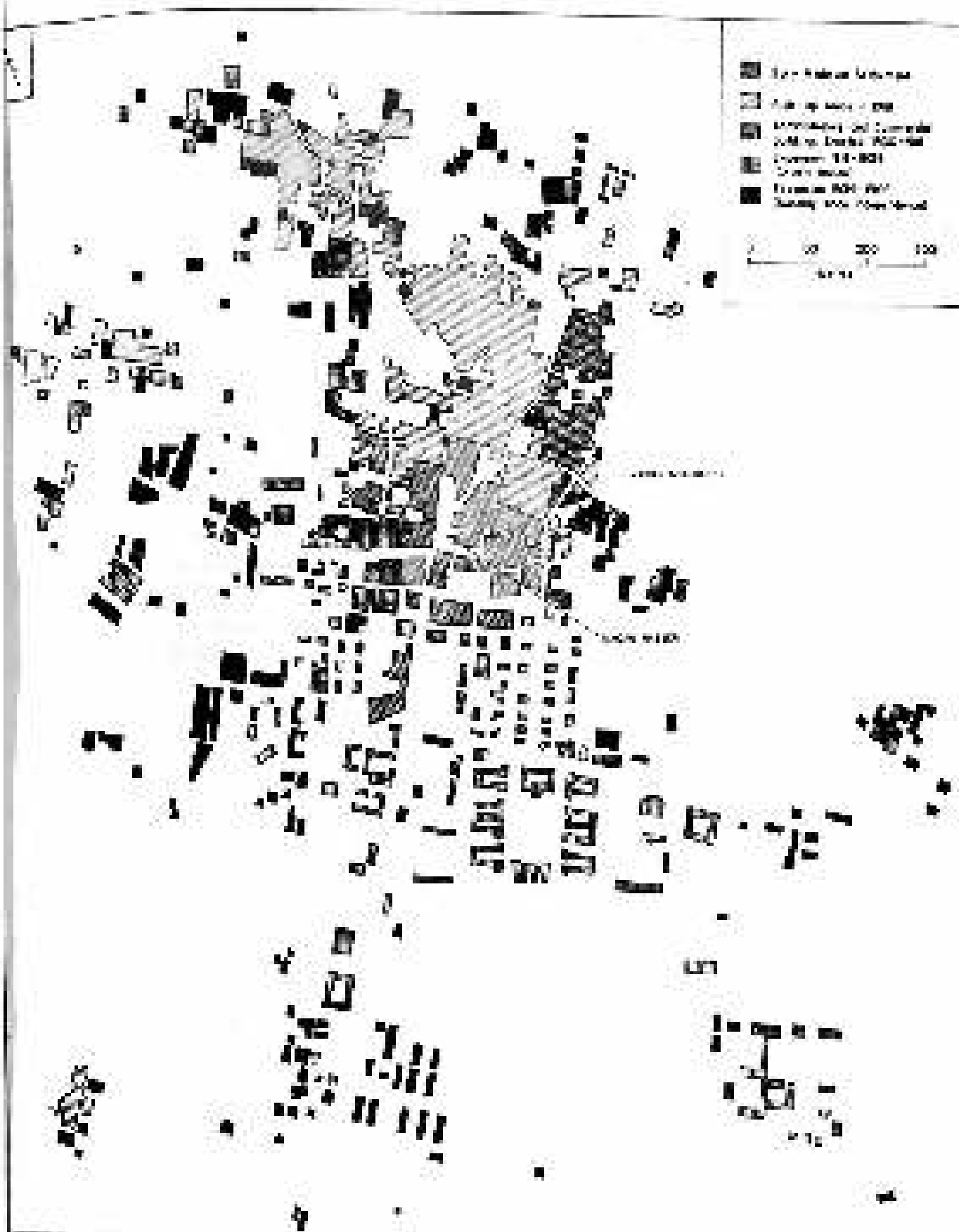


FIG. 4. EXPANSION OF VSR4T44 TO 1966

In 1990 there were 8,311 holdings in Al-Mizrah oasis, 5,011 of which were exclusively devoted to dry cultivation of barley and wheat. (6) The remaining 3,300 holdings had at least some irrigated land, but the proportion engaged in growing any one crop was surprisingly small. Thus less than 31% of the holdings grew sugarcane, red peppers or blood beans, less than 30% grew melons, fodder crops, onions and tomatoes, while maize, groundnuts and potatoes were grown on less than 17% of the holdings. These figures reveal considerable scope for buying and selling agricultural produce even among farmers engaged in largely irrigated cultivation. Crop returns of the Mudryas of Al Mahjub and Al Zuraq, which lie west and east of the town respectively, reveal regional specialisation in crop production still further. Some examples are given in Table 1. Groundwater resources are more plentiful and less saline in the west than in the east and crop yields tend to be higher. In Al Zuraq on the other hand camels, goats and horses are much numerous because of the rough pastures available in the Sahab of Tayma'ia. Before the nineteenth century and the sedentarisation of many semi-nomads, Al-Mizrah may actually have been situated at a point of contact between agriculturists in the west and pastoralists in the east of the oasis. (11) Dates, olives, pomegranates, figs and apples are grown on the ex-urban estates, and these constitute another branch of production.

The other notable feature of the Al-Mizrah oasis is the domestic manufacture of goods for sale in the market, quite clearly related to traditional specialisation among the different estates (Figure 4). Goods manufactured within the oasis and surrounding region

Table 1. Production of selected irrigated crops, 1990 (7)

	Al Mahjub (West)	Al Zuraq (East)
Fodder crops	30.8%	35.2%
Melons	28.1%	32.9%
Sugarcane	14.7%	12.5%
Peppers	13.3%	25.2%
Onions	15.9%	11.2%

Dry onions	22.8%	17.5%
Potatoes	16.8%	24.1%
Groundnuts	97.8%	2.4%
Cucumbers	1.0%	98.0%
Maize	21.1%	5.9%

are complementary in character and are generally produced only to satisfy local demands, though Misratah's famous "Kallia" and "Yaraha" carpets are an exception. With the exception of goatskin waterbags and Tawartha mats none of the domestic products are made exclusively from local raw materials. Thus many raw materials, notably wool, come from far away in quite large quantities so that Misratah is not only an exchange centre for finished products but also supplies essential raw materials.

Another commercial function of the town is the sale of imported consumer goods including notably groceries, hardware and drapery. In terms of the circulation of cash this is undoubtedly the most important branch of trade, completely overshadowing locally produced foodstuffs and hand-made goods. This branch is also growing at the expense of others, but it can never replace them since the farmer still has to find an outlet for his own produce in the market place.

All these activities together constitute an impressive focus of interest and it is not surprising to find the centre of Misratah packed with people every market day. A census carried out in July 1966 to count the number of people entering the town on a market day showed that the number exceeded 5,000 or approximately 22% of the total male population of Misratah's hinterland outside the town itself. This census has been described fully elsewhere, (8) but it is important here that it confirmed the overwhelming importance of local trade to Misratah. Only a relatively small number entered the town from the south, which indicated only a moderate yield of people and goods from the extensive desert hinterland beyond Tumzina. Secondly, it was found that 25% entered by bicycle, 16% on foot and 17% using animal transport of some kind, and most of these can be assumed to originate within the oasis and not beyond. Although 42% arrived

is more, whether many of these lived near enough to be picked up by friends, you drivers spending a little service.

There are of course non-economic motives for coming to Mizrah, since the town is a regional social and administrative centre. Not all those who enter on market days go with the sole intention of buying and selling. The market day is still an unparalleled opportunity for the men to meet and exchange news and transact local business. This function is now less significant, particularly among the younger generation, but it is still operative.

the centre of Mizrah: its functions and morphology

It is apparent both from Figure 1 and from Table II that there are a large number of business units in Mizrah. "Business units" here include any commercial enterprise in which fixed premises of some kind are used, from the stalls in the covered markets to the craftsmen's shops and large specialist stores. A total of 678 such units in a town of perhaps 15,000 persons is surprisingly large. Most of these are small family concerns engaging two or more adult members at some time in the week. Since women do not participate in buying and selling the proportion of the active male population of the town involved on a full or part-time basis is very significant. The absence of alternative sources of employment may have something to do with the number of businesses, but there is also a strong merchant tradition in Mizrah which encourages people as individuals engaged in trading. A social motive for commerce is suggested by the fact that an unknown number of enterprises are not the sole source of income for their operators, while or seasonal farming usually providing an additional source of income. Many premises which open only on market days, (some 11% of the retail stores shown in Figure 1), presumably count into this category, though this is doubtful in the case of jewellers and copper-sellers. Most part-time units are pure general stores, away from the two main squares whose takings are generally very low. Some part-time shopkeepers and craftsmen live in villages outside Mizrah, maintaining premises in town for use on

market days — another reminder of the symptoms of town and country in a pre-industrial society.

With so many enterprises competing with each other, takings cannot be very high, resulting perhaps in average monthly net profits of around £140. But the economic incentives for participating in trade are nevertheless real, and several Misratah merchants have accumulated sufficient capital to establish shops in other parts of Libya; Misratah merchants can be found in Benghazi, Tripoli, Derna and Tobruk.

Table II — Retail stores in Misratah, 1955

General stores	135	Building materials and	
Drapers	65	paint	13
Grocers (+ 4		Cafes and restaurant	12
wholesaler)	40	Motor vehicle	
Grain and seeds	37	accessories	7
Hardware	38	How much	8
Jewellers	28	Watch and clock repairs	2
Barbers	24	Electrical goods and	
Butcher's shops	21	radios	5
Carpets and mats	25	Public scribers	4
Paraffin and oils	18	Lamp repairs	3
Bicycle sales and		Photographers	2
repairs	19	Pharmacy	1
Clothes and shoes	15	Stationer	1
Stallholders :		TOTAL	518
Greengrocers	60		
Butchers	55		

The list shown in Table II cannot be regarded as definitive. There may well be other units which were never discovered, but a further weakness is that of definition. How much drapery must a tailor sell to be classified as a draper? or how much hardware can a grocer stock before he becomes a "general store"? These difficulties arose largely from the low degree of specialization,

general stores, drapers and grocers all exhibiting a high degree of overlap. Only on the fringe of the commercial centre, near the new town are European-type shops found -- a stationer, photographer and a number of shops dealing in electrical goods and radios.

The number of craftsmen (Table III) in Mbaraka was undoubtedly in excess of the present number sometime in the past. Their hey-day must have been before the influx of manufactured goods, when caravans still passed through the town -- and the last caravan was seen in Mbaraka in about 1911.

Table III Craftsmen in Mbaraka, 1966

Tailors	13
Blacksmiths	13
Coppers	12
Ploughwrights	7
Tinsmiths	7
Coppersmiths	4
Leatherworkers	1
TOTAL	66

Originally most crafts were pursued by craftsmen who came into the town on market days, making use of rented premises to carry on their work. As with domestic industries, most crafts were the prerogative of a particular *cabila*. Kromps are *cabila* (Mogharila *cabila*), tinsmiths (Aywed Baen *cabila*), blacksmiths (Madon *cabila*) and ploughwrights (Draaba *cabila*). Today these crafts, so far as they survive, still remain firmly in the hands of these *cabilas*. Tailors do not belong to a particular *cabila*, but their is not strictly a traditional trade. Thus the grouping of craftsmen pursuing similar activities (Figure 3) seems to have been largely a social arrangement arising out of *cabila* specialisation, and cannot be attributed to complex historical factors such as the *umid* system, as in the large towns and cities of the Arab world. Besides craftsmen, the grouping of jewellers, carpet sellers

and paraffin and oil merchants is significant. The jewellers are located in a small sub which could be locked at night for security purposes, and carpet sellers have to be together under cover to bid for carpets when they come in from the villages. Paraffin and oil lamp sellers are apparently the modern successors to copper smiths and tinsmiths who once worked together in Suk As-Sall.

Besides trade carried on in fixed premises and the sale of farm produce in open markets, a number of other enterprises are carried on in the open air on market days. Some of these are shown on Figure 9. In July 1968 nearly 250 open-air traders were counted on a market day, the most numerous being raw wool sellers, grain and alfalfa merchants, and the sellers of Tawingha mats. These activities require large open spaces of the kind available in the centre of Misratah, while others are more like pavement traders, selling cloth bags or general merchandise, but all contribute in their ways to the centrifugal effect of the commercial heart of the town.

It has been stated that the light industries of Misratah, though small, are among the fastest growing in Libya (17). While industrialisation lies outside the scope of this paper, it is worth mentioning that it is not local manufacturing which has put local craftsmen out of business, but imported goods. Even the woodwork shops shown in Table IV have not greatly affected the carpenters since the latter are concerned primarily with making ploughs and not with the requirements of the local building industry. With the exception of bakeries, several of which appear in Figure 5 as

Table IV Light Industries in Misratah, 1968

Woodwork	51
Bakeries	4
Concrete blocks	2
Garages	6
Engineering	5
Flour mills	1
Charcoal	2

HYG:7 SHOPS, WORKSHOPS, LIGHT INDUSTRIES

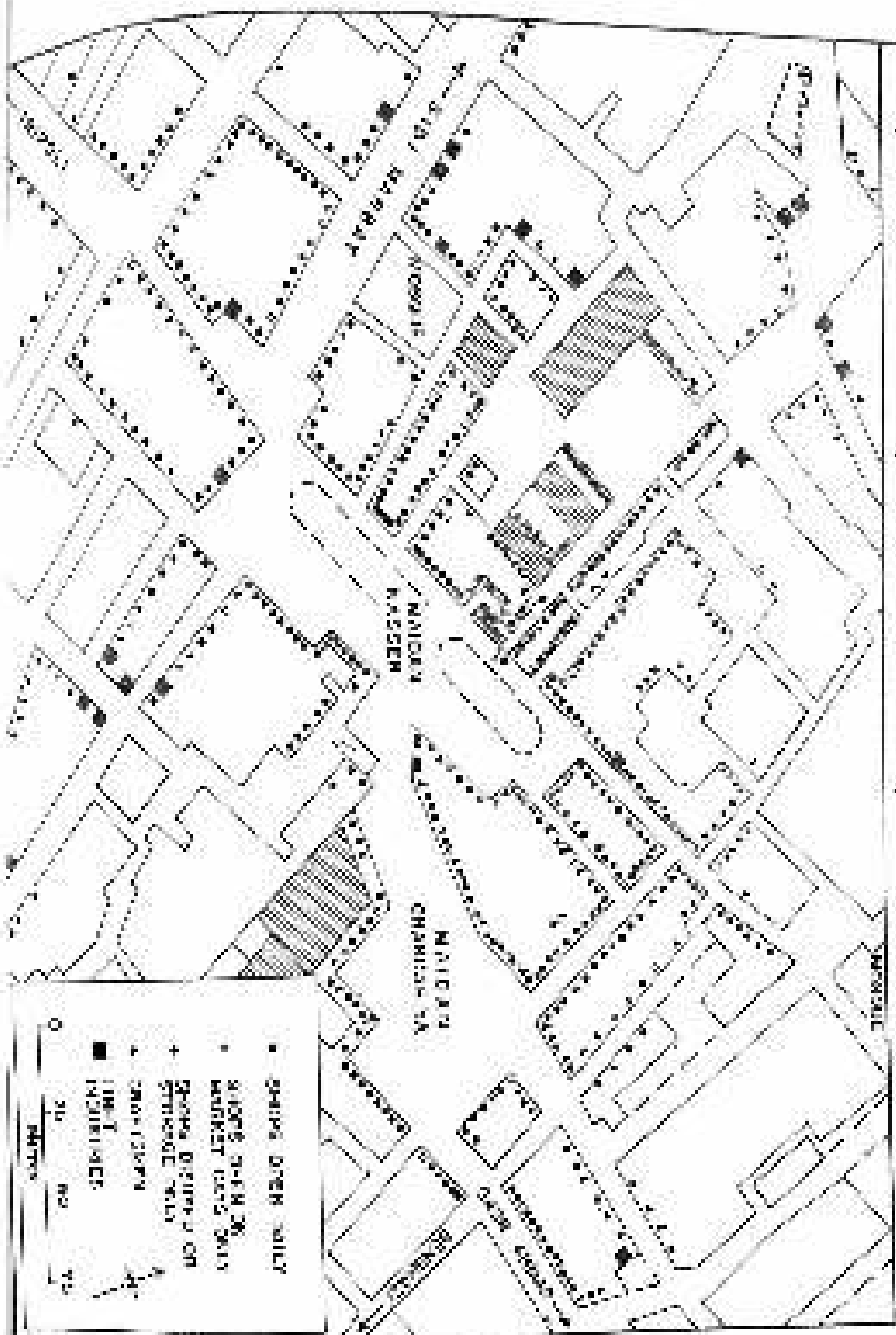


FIG. 9. SELECTED TRACES AND CUE-1

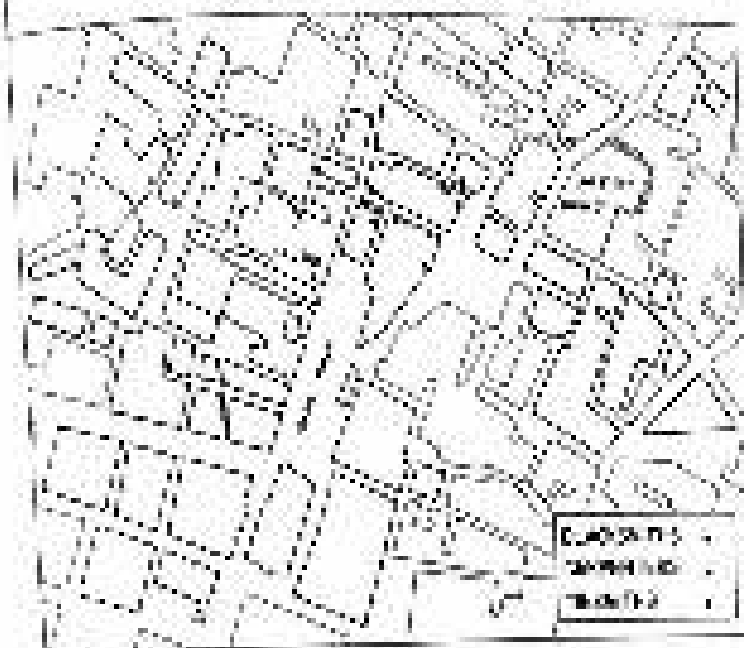


FIG. 9 OPEN AND COVERED MARKETS

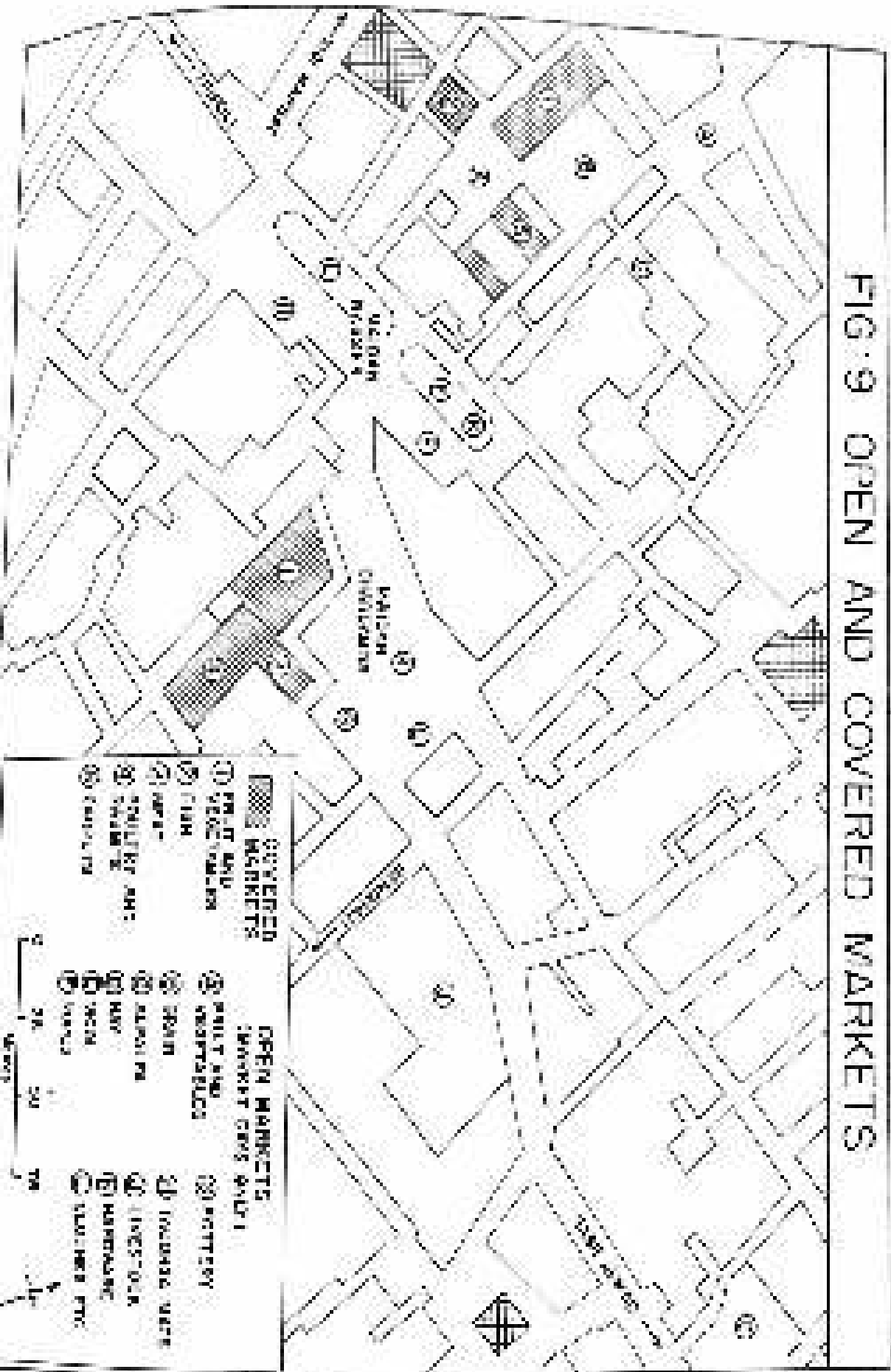
The map illustrates the distribution of open and covered markets in Addis Ababa, Ethiopia. The legend categorizes markets into two types: Covered Markets and Open Markets. Covered Markets are further divided into Fruit and Veg, Fish, Meat, and Poultry, etc. Open Markets are divided into Fruit and Veg, Vegetables, Meat, and Poultry, etc. The map shows the locations of these markets relative to the city center and major roads. The scale bar indicates distances up to 1000 meters, and the north arrow points towards the top of the map.

COVERED MARKETS

- ① FRUIT AND VEG
- ② FISH
- ③ MEAT
- ④ POULTRY, ETC.

OPEN MARKETS (MARKET CROSS ONLY)

- ⑤ FRUIT AND VEG
- ⑥ VEGETABLES
- ⑦ MEAT
- ⑧ POULTRY
- ⑨ HOUSEHOLD WARE
- ⑩ LINGER-ON
- ⑪ HANDBAGS
- ⑫ SHOES, ETC.



Olive press	2
Slaughterhouse	1
Generator	1
Flour mills	1
TOTAL	5

being in or near the centre, light industries have favoured more peripheral locations where property is larger and cheaper than the needs of Ghor Ahmed, Tripoli and Benghazi all have their own. But industry does not distinguish between market days and non-market days, and for this reason a central location would be a distinct hazard on market days when traffic is severely impeded by pedestrians and open-air traders and their goods.

There are two main squares in Misratah, Mirdan Nasar and Mirdan Charaboya. Of these, Mirdan Nasar is undoubtedly the most important. Its north-east to south-west axis is situated beside internal routes between two broadly complementary sectors of the commercial centre of the town. A complex of shops, workshops and markets lie to the north-west of Mirdan Nasar including the grain market and flour mills, fruit and vegetable markets and the fish market. (Figure 5 and 6). This sector also specializes in carpets, jewelry, paraffin and oil, and alfalfa. Mirdan Charaboya itself is the centre of a second complex south-east of Mirdan Nasar, containing notably the livestock market, numerous butchers, blacksmiths and hardware merchants besides winter covered fruit and vegetable market and poultry market. Mirdan Nasar also lies between several streets of traditional shops and workshops in the old town, and several modern shops and services in the new town (bicycles, banks, cafes, post office etc.).

Thus on market days the square is crowded and re-crowded more frequently than any other part of the town. Within a radius of 100 metres of the centre of Mirdan Nasar are situated a large proportion of the shops and craftsmen, and most of the covered and open markets in Misratah. It is also an important junction in a network of north-south through routes on non-market days.

Types of shop vary considerably, but around Maidan Nasser they tend to be larger and better constructed than elsewhere. Some twenty-eight square metres of floor space is typical and concrete floors and iron shutters are almost standard. In the vicinity of Maidan Ghardahiya however shops are older and floor space more restricted, fifteen square metres being typical, while wooden doors and earth floors are quite common. These differences account for the slightly higher rents in Maidan Nasser much more than any advantages resulting from centrality or favourable location.

The present layout of Miratsh's commercial centre has emerged over the last one hundred and fifty years largely as the result of initiatives taken by successive administrations, but also involving some private enterprise. The centre is compact, embracing a whole range of economic functions. The emphasis throughout is on small business units and individual buying and selling, though there are exceptions. But these traditional ways will change during the next decade: shops will replace stores, imported goods will overwhelm many domestic products and marketing methods will be improved and rationalised. Indeed, NASA's ambitious schemes for the ex-Istihia estates — city labour in co-operative buying and selling and possibly the local processing of agricultural produce. All this implies change, but it may not be necessary to give a totally new heart to Miratsh to fulfil these functions — the present centre could be adapted and expanded for the purpose. Such cautious replanning would have the advantage of preserving a sense of continuity in the centre, which more than any other part of the town has helped create a feeling of community in Miratsh.

References

- (1) Macgregor, Marshall, McMillan and Lucas **The Regional Context of Settlement Planning**, preliminary report, Rome (1967).
- (2) Bechey F.W. and H.W. **Proceedings of the Expedition to explore the Northern Coast of Africa 1821-22** (1823), 80.
- (3) Houshe N. **Travels in North Africa**, Philadelphia (1967), 12.
- (4) Erasmus N.S. "A geographical study of the coastal zone between Homs and Misurata, Tripolitania" Ph. D. thesis, University of Durham, (1961), 217.
- (5) Macgregor, Marshall, McMillan and Lucas, *op. cit.*, 27.
- (6) Ministry of Agriculture, **Orbanis of Agriculture**, Tripoli (1952), 120, 24.
- (7) Ministry of Agriculture, *op. cit.*, 111-245.

- (8) Blake G.H. *Misrata : a market town in Tripolitania*, University of Durham, Department of Geography, Research Paper No. 8 (1968), Chapter 2.
- (9) Blake G.H., *op. cit.*, Chapter 4.
- (10) Ministry of Economy and Trade, *Report of the Industrial Census, Tripoli, (1961)*, 40-52.

SOIL ANALYSIS AND ITS RELATION TO LAND USE IN KHARI PLAIN, CYRENAIKA

By Prof. Mukhtar Buni

Introduction

El-Marij Plain is known in Egyptian as the Jarce Plain. The plain is situated in the west of the Jebel Akhdar, on the area between the first and the second escarpment, known as the upper terrace (fig. 1). At the south-western end of the basin Karst erosion has predominated and has advanced so far as to create a series of inland drainage basins, these, with their thick deposits of Terna Brown, form the little plains of El-Marij (Jarce), Saline and El-Awar (fig. 2).

El-Marij Plain is a closed basin. The basin has a bowl-like shape and it mainly extends south-west-north-east. It is 12 kms. long and 7 kms. wide. The lowest point of the basin is 376 above sea-level, situated one kilometer to the north-east of Old Khartoum town, and occupied by an intermittent lake in the winter, known as El-Gharq.

As far as the Jebel Akhdar is concerned, as the rocks exposed on the surface all are of sedimentary origin and almost all are marine limestones. The greater part of northern Cyrenaica is covered by rocks of Miocene age, those of Middle Eocene being especially widespread. The most extensive strata in El-Marij Plain are of the Middle Eocene category's Terna Limestones.

The elements of relief of northern Cyrenaica are responsible for local variations in climate both in respect of thermal and precipitation conditions. Northern Cyrenaica is markedly divided by the influence of the Mediterranean Sea on the coast and altitude of the Jebel in the interior; these differentiate the two zones of continuous habitation from the desert. It is only along the Mediterranean coastline of northern Libya that the influence of the sea brings some rain and coolness and makes possible a zone of agricultural settlement and sustained agricultural production. Cyrenaica experiences extremely hot summers everywhere; on the coast winters are mild and in some parts frost has never been known. However, in northern Cyrenaica, the coastal plain is backed by the Jebel. The sea's moderating influence decreases southwards and temperatures increase. The effect of altitude is to reduce temperatures and in winter both factors combine to make the mean temperature about 2°C. colder than the coast. Variations in temperatures from place to place resulting from proximity to the sea and altitude can be illustrated by a comparison between Tulumitha on the littoral and El-Marj some 16 kms. inland and about 245m. above sea level. On the coastal plain the annual mean temperature is 19.9°C. at Tulumitha, while on the upper terrace the mean is 17.7 C. at El-Marj.

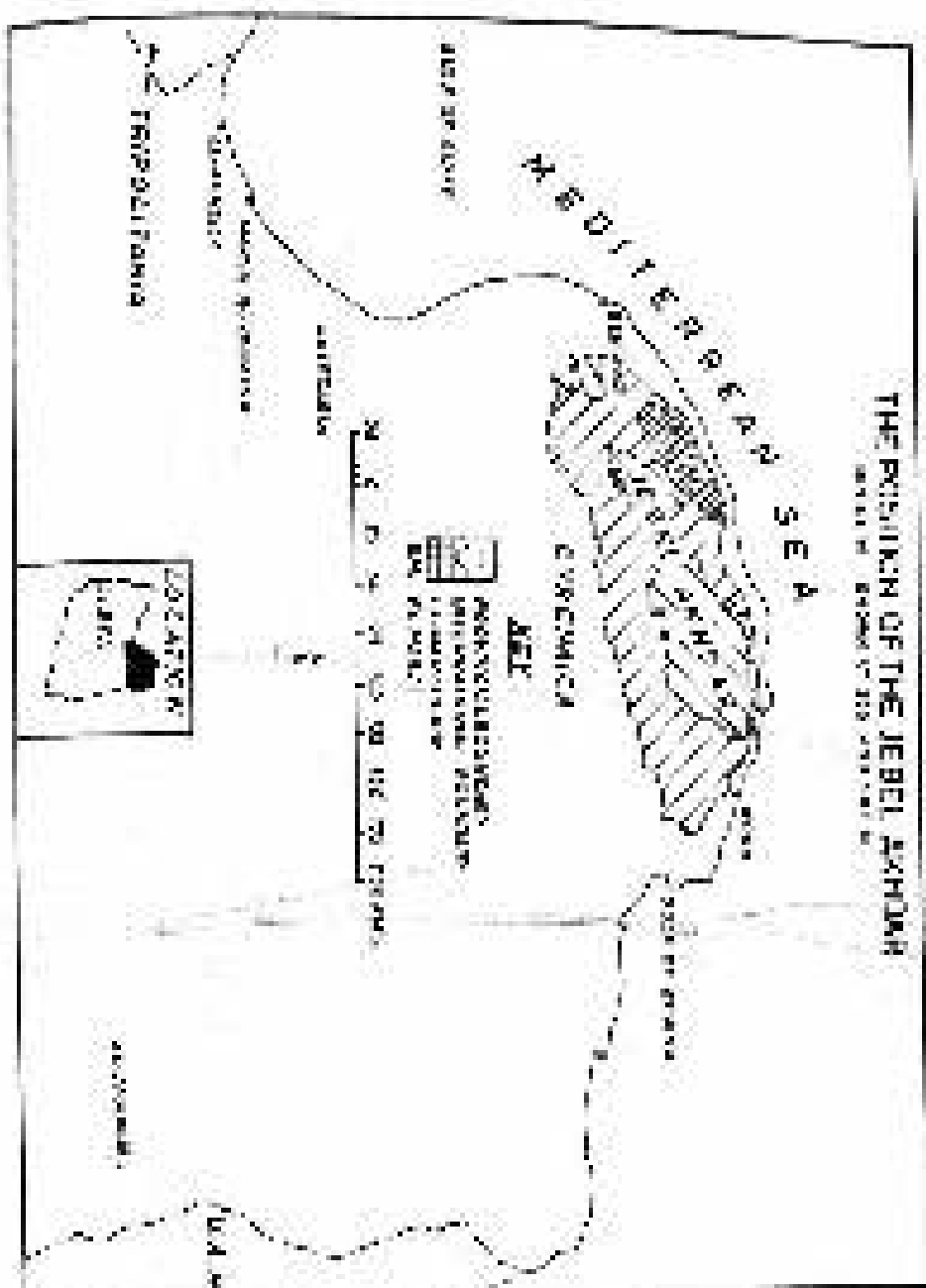
Along the coastal plain, the daily range of temperature is moderated by the cooling influence of the Mediterranean during the day and the relative warmth of the sea during the night, though as might be expected the daily range is higher on the Jebel and further inland. Mean daily ranges of temperature at the coastal averaged between 1.8°C. at Tulumitha for a period of ten years, 1.9°C. in 1941°C. at Tobruk for eleven-year period, and 1.5°C. to 1.4°C. at Benghazi for a period of thirty one years.

Figures for the Jebel show that the highest mean daily range on the Jebel at El Marj averaged between 10.7°C. and 17.6°C., i.e. twice that of the coastal stations. The range of temperature in Libya is a product of the high temperature during the day rather than the low night temperatures.

The rainfall starts in autumn with a good amount in Decem-

THE POSITION OF THE JEBEL KHADIMAH

811 E 4TH ST - 77000



hot and January, and then decreases quickly in the successive months. The peak of rainfall is in December and January. The dry half of the year extends from May to September, but the rainfall may start earlier in September and be prolonged until April, and sometimes even May, especially on the Jebel Akhdar. The main half of the year (October-Karch) received between 4 and 90% of the total annual rainfall.

On the coastal plain rainfall ranges from only 55 to 250 mm and increases south to north. At Benghazi rainfall amounts to 350 mm. Rainfall increases in the extreme north of the coastal plain where it is 311.0 mm. at Tobruk and 250 mm. at Tobruk. Further rainfall exceeding 300 mm. is found beyond the first escarpment from which point on it increases to 404.7 mm. at El-Mari. The highest rainfall (500-600 mm.) is found on the northern part of the Jebel Akhdar in the vicinity of Cyrena. This forward sector, however, is of limited extent, and to the north, south-west and south-east, rainfall declines sharply.

As pointed out, most of Cyrenaica is dominated by desert climatic conditions, except for northern Cyrenaica which enjoys a semi-humid climate especially the Jebel Akhdar where the Mediterranean climate predominates. Consequently the floral life on El-Mari Plain is related to the Maghreb and southern Europe rather than to the rest of Libya.

Dry farming is practiced in the whole of El-Mari plain. All the agricultural production is subject to a considerable risk with regard to yields. The main crops are wheat and barley, chickpeas, broad beans, oats and fava beans and grown in small quantities. As regards the growing of fruit trees, good kinds of peach, fig, pear, apple, olive and almond trees still exist on the former Italian Ede farms. In a number of gardens owned from there are high yields of olives, almonds and vines. The growth of vegetables

growing, apart from peaches, bananas and melons in El-Gharbi, is negligible.

A conservative estimate of total cultivated land in El Marj Plain may be made at 81,000 hectares.

Soils of El-Marj Plain.

Soils of El-Marj Plain show a diversity of origin, properties and land use capabilities which is perhaps best explained by reference to the factors of soil formation. Following the initial work of Dokuchaev (1905)(1) and Jenny (1911),(2) it is convenient to consider this diversity in (1) climate, (2) vegetation, (3) parent material or parent rocks, (4) topography, (5) time and (6) human influences. Within El-Marj Plain it soon became apparent that climate and parent material are perhaps the dominant determinants of the soil character.

The super-imposition of Mediterranean climate on calcareous parent material has dominated the processes of soil formation, and by far the most important soil type which is found in El-Marj Plain and on the surrounding slopes and the upland areas is the classical Terra Rossa. Much has been written about this soil and its distribution throughout the whole of the Mediterranean region, but relatively little work has been published on its El-Marj habitat. The reconnaissance observation of Ferrara (1958) (3) and Principal (4) (1938 and 1947) are useful, as are parallel findings of Reichenberg (5) in Palestine, but that research carried out on this soil group in North Africa would seem to exist in unpublished form.

The original work of Reichenberg on the Terra Rossa soil is still the standard reference for the properties and distribution of this soil type, and it seems convenient to consider here some of the main points which are contained within Reichenberg's original concept. For him:

Terra Rossa develops on limestone under the conditions of the Mediterranean climate. In comparison with its parent material, the limestone, it has been greatly enriched in sesquioxides and in silica. In comparison with the soils of humid climate it contains large quantities of salt of the alkalis and alkaline earths. The high iron content, together with low humus content, are responsible for the red colour and which often is brilliant. There are mostly soils with an illuvial structure and strong iron concretions" (2).

This view of Reichenberg is in many ways the most composed and impressive statement on the origin and nature of Terra Rossa which has been attempted by any pedologist. Certainly the theory that Terra Rossa is a contemporary phenomenon resulting from the influence of a Mediterranean climate regime and a calcareous parent material is widely held in soil science circles.

However, whilst a discussion of the pedological controversy surrounding Terra Rossa is beyond the scope of this present paper, it should also be noted that Kubiena (3, 4) and others would regard Terra Rossa as a local feature found under more humid sub-tropical conditions and therefore essentially a soil parent material rather than a modern soil.

The work presented in this paper does not aim at presenting any definite origin of this soil and its association, but rather to study specific Terra Rossa profiles in Cyprus and to analyze particularly their soil texture properties.

Detailed soil analysis: In order to supplement the general concepts of the soil types and their distribution within El-Mari, Hama and the surroundings it was decided to carry out a more detailed analysis of the soils of the area using standard field and laboratory investigation techniques. A field survey of the soils was carried out and a reconnaissance was made of natural soil sections

and soils occurring in the main agricultural areas. From this reconnaissance survey it was possible to decide upon the main soil types occurring in the plain and also to locate eleven soil profile pits which would give a representative picture of the pedological pattern.

Each of these pits was described in the field and each was sampled at two main depths, i.e. at the surface and at a depth of 25 cm. The samples were analysed at Sidi Mestl Experimental Station. Details of the chemical analyses are given in the appendix 1. The main site characteristics of the soil profiles are also presented in Table 1. A schematic classification of the soils is given in Table 2, and the location of soil pits is further shown on figure No. 3.

Profile 1 — Is a good example of a relatively thin terra fusca which has developed directly from the underlying Lower Eocene Limestone beds. The soil is quite thin, passing into parent rock at 50 cms., and is one of the stoniest profiles examined, one in high content of limestone fragments from the parent rock. The mechanical analysis of the samples shows a high content of sand and also of clay, whilst the silt fraction is relatively low. The soil is dominantly a sandy clay with a very slight increase of the sand fraction with depth.

The figures for the total carbonates reflect the large proportion of limestone fragments in the soil material. The figures for the surface horizon is 10% higher than that at 25 cm. which would seem to suggest movement of lime towards the surface and some concentration there. The P_h figures of 8.5 and 7.8 respectively were in fact the highest recorded in the whole region. The figures for the total acid soluble material again show the high lime content and were the highest over the whole survey area. The conductivity of the soils too were amongst the highest recorded. These figures again show a tendency for the soil solution to move upwards to the surface.

TABLE 1. Locations of the Battle Sites

Order	Location	Grid Ref.	Elevation in Meters	Parent Rock	Topographic Description	Land Use
1	3 km. S.W. of Tawakoni	450/150	5	Lower Devonian Limestone	Flat, wooded glade	dry farming
2	South of the village of Tawakoni	450/450	125	Middle Devonian Limestone	Level	dry farming
3	3 km. S. of Tawakoni	215/150	260	Middle Devonian Limestone	Gentle southerly slope	dry farming
4	4 km. S.W. of Tawakoni	100/150	295	Middle Devonian Limestone	Gentle southerly slope	dry farming
5	2 km. S.W. of Tawakoni	350/600	350	Middle Devonian Limestone	Gentle southerly slope	dry farming
6	Tawakoni	250/550	270	Middle Devonian Limestone	Flat	pastoral
7	1 km. S. of Tawakoni	415/545	340	Middle Devonian Limestone	Gentle southerly slope	dry farming
8	3 km. S. of Tawakoni	370/665	280	Flat, alluvial over Middle Devonian Limestone	Flat, bottom	dry farming
9	South of Tawakoni	165/100	330	Middle Devonian Limestone	Flat	dry farming
10	South of Tawakoni	100/540	345	Middle Devonian Limestone	Flat	dry farming
11	2 km. S. of Tawakoni	550/140	420	Flat, alluvial over Middle Devonian Limestone	Flat, bottom	pastoral

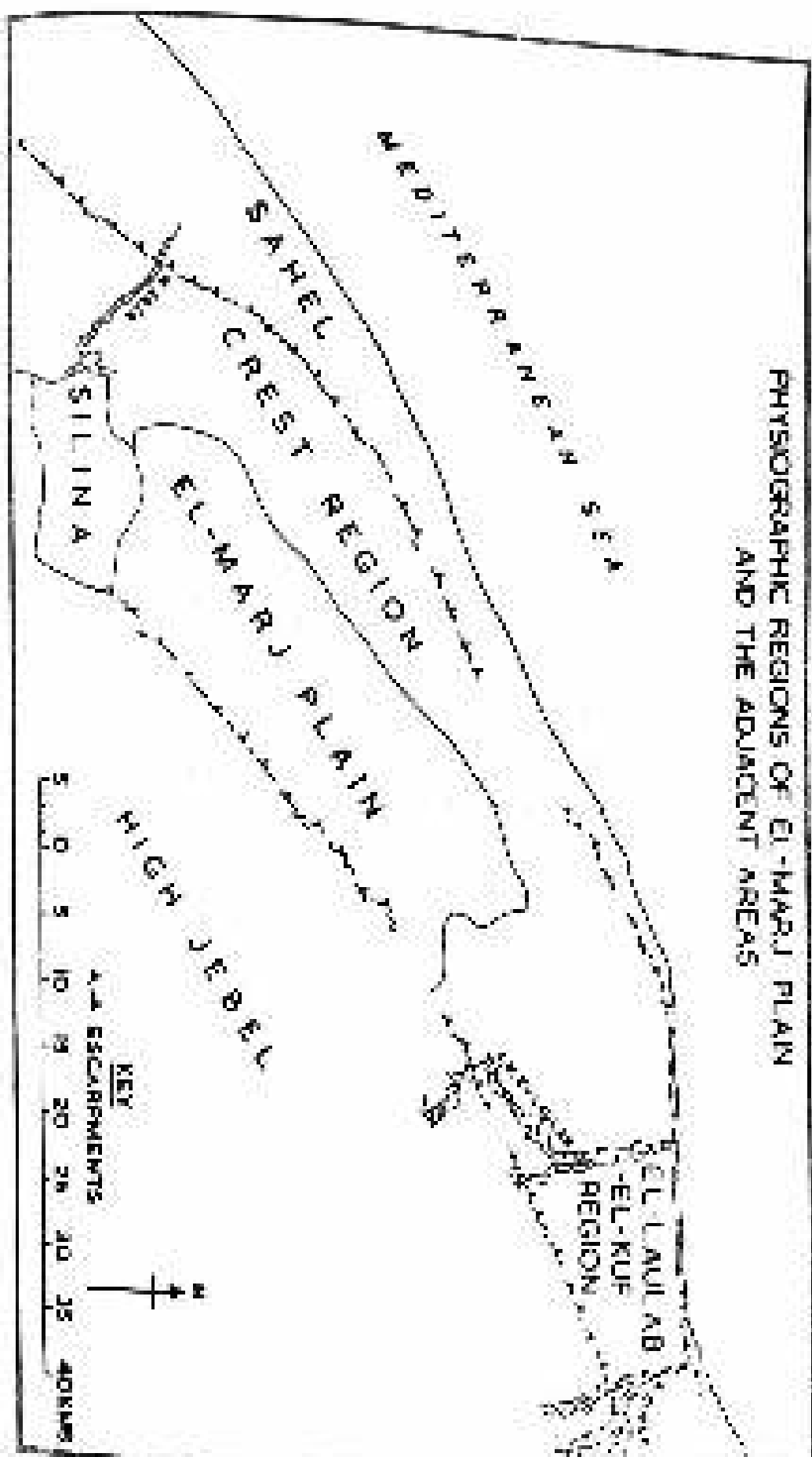
TABLE 21. CLASSIFICATION OF Red soils

Parent material	Soil development	Major Soil Type	Profile Number
Terra Rossa Middletown over limestone	Shallow	i) Red Terra Rossa soils—deep phase	2, 4, 1, 3
		ii) Red Terra Rossa soils — shallow phase	10
		iii) Dark red Terra Rossa soils	1, 2
		iv) Dark Terra soils	
	Deepened	v) Hydromorphic soils	5
Red Alluvium over limestone	Shallow	vi) Reddish Brown Alluvium Soils	8
		vii) Dark Brown Alluvium Soils	11

The exchangeable cation data show that the cationic exchange capacity is relatively low but is dominated by calcium and magnesium. The figures for both sodium and potassium are much lower. The figures for available nutrient show that nitrogen is extremely low and likely to be a major obstacle to adequate plant growth. The figures for phosphate and potash ion are low and again would be likely to prove limiting to any intensive land use.

Profile 5 — Represents a well developed red Terra Rossa soil 2 metres deep over Middle Eocene limestone. Its texture is sand or in profile one, but figures for soil carbonates fail to show any accumulation of lime and profile. This would seem to suggest that soil drainage has been adequate to leach out much of the calcareous material from which the soil was ultimately derived. Ph. figures show that the soil is only slightly alkaline. The figures for the total analyses show concentration of iron and aluminium

PHYSIOGRAPHIC REGIONS OF EL-MARJ PLAIN AND THE ADJACENT AREAS



in the soil. This is as one would expect from Terra Brava. The symmetry of the profile is similar to Profile 1, again showing a slight accumulation of salt. The cation exchange capacity is relatively high and due probably to the higher content of iron and aluminum oxides. Calcium and magnesium again dominate the exchange complex.

The data for the nutrient elements of this Terra Brava present some interesting contrast with Profile 1. Figures for total nitrogen again show the very deficient content of this important plant food. This is quite characteristic for the whole region. The figures for phosphate, however, are extremely low and point to the fact that many of these soils do not contain adequate phosphorus. This is no doubt a reflection of the long period of element leaching and degradation which the soil has undergone. The relatively low figures for the acid soluble material would seem to support this view.

Profile 3 — Has been classified into the same soil grouping as Profile 2, namely Red Terra Brava soil of a clay phase and indeed the analytical figures of this soil show many resemblances. From a point of view of texture this profile is slightly heavier, being classed as a clay soil rather than a sandy one. The figures for clay content are some 2% higher than Profile 2 and the silt percentage is correspondingly lower. The silt percentages are still the same. The soil reaction is slightly lower than Profile 2, and in fact the surface shows slight salinity. This may in fact be due to agricultural practices; at 15 cm. in fact the pH rose to 7.2 which corresponds to the general pH level of the Terra Brava material.

Further surprisingly the figures for the cation exchange capacity are amongst some of the lowest recorded in the area. This may be due to a lack of organic matter or to the type of clay mineral involved. Calcium and magnesium are again the dominant ions and this is reflected in the figures for soil conductivity, which vary from 1.19 millimhos/cm. at the surface to 0.75 millimhos/cm. at 25 cm. depth. This points to a slight seasonal upward movement of soluble salt. The carbonate figures show an almost complete removal of lime as in Profile 2, with again a slight increase at

the surface. The figures for available nutrients are amongst some of the lowest recorded in the survey. Nitrogen varies from 0.10% at the surface to 0.18% at 25 cm.; this seems to be a direct result of the poor organic matter status of this profile. The plant food would seem to be a limiting factor in the plant growth. The figure for available potash is quite high in the mineral fraction evidently much of the potash is in a form which is not available to the plant root.

Profile 4 : — Is similarly classed as deep Terra soil but is much more similar to Profile 2 rather than to Profile 3. The general texture is on the transitional boundary between sandy clay and sandy clay loam, mainly resulting from slight increase in the sand content. The clay percentage is 29.6 at the surface falling to 28.0 at 25 cm. The data for the cationic exchange capacity is also similar to Profile 2 ranging from 34.12 m. l./100 gms. of the soil at the surface to 25.75 m. l./100 gms. at 25 cm. Calcium and magnesium are again the dominant cations on the exchange complex. The Ph. varies from 7.45 at the surface to 7.30 at 25 cm. which is again similar to Profile 3, and the Profile shows a corresponding lack of total carbonates. Figures for available nitrogen show an increase on those for Profile 3, and the available potash is also much higher. Phosphate, however, is still extremely low.

A brief comparison of Profiles 2, 3 and 4, all of which are designated as deep red Terra soil, shows that there is some analytical variation within this general grouping. This is only to be expected when one considers differences of situation and soil history which these sites probably have undergone. This particular aspect will be treated more fully in the next section.

Profile 5 — Represents slight difference from the last three profiles in that it has been designated as a dark red Terra Terra soil largely on the basis of a field appearance. A study of the analytical data, however, fails to reveal any real significant contrast. The only figure which would seem to be important in this respect is that for the moisture content. The dark red Terra Terra

has a moisture percentage of over 5 whereas a red Terr. Hoxa has generally figures between 2 and 3. The texture of this soil shows a difference between the surface and 25 cm. The surface layer is a sandy clay whereas a little lower down the texture changes to sandy clay loam/sandy loam. This is mainly due to decreasing clay percentages from 23.4 to 20 and an increase in sand fraction from 66.4 to 73.2. The figures for silt fraction show a very striking increase with depth dropping 14.2% at the surface to 7.8% at 25 cm. This decrease of silt and clay fraction within such a short distance would seem to suggest that the upper horizons are in fact consisting of fine material which is being washed in from our eroding slopes.

The P.H. of this soil and the total carbonates are very similar to Profile 3. As also the figures for cationic exchange capacity. Calcium and magnesium are again the dominant ions, and the figures for conductivity of the soil are very low despite the high moisture content. Figures for available nutrients show the same low values, although the availability of phosphate is slightly higher than the previous three profiles.

Profile 6 — Is an extremely interesting profile as it is the only profile study which shows the effects of impeded drainage on the soil profile. The profile pit was located on the northern edge of El-Gharig depression which is an area of accumulation of silt from surrounding areas. El-Gharig depression is in fact an intercalated lake bed which has usually remains flooded until it is despoiled by evaporation in late May. The dominant feature of the soil therefore is extremely waterlogged conditions for much of the year. The high water table thus produced has very detrimental effects on plant growth.

The mechanical analysis shows that the soils may be classified as sandy clay which is very important from a point of view of soil permeability. The soils are relatively impermeable, a factor which makes even worse the effects of a large seasonal influx of water. Despite the poor drainage, however, alkalinity has not developed and the P.H. is only 7.1. The figures for total carbonates

also show no accumulation of lime. By far the most interesting analytical figure is that which refers to soil salinity. The figure for the conductivity figure is that which refers to soil salinity. The figure for the conductivity of the soil reaches the very high level of 11.5 millimhos/cm. at the surface but it drops quickly to 3.25 millimhos/cm. at 50 cm. The figures for cation exchange capacity similarly reflect the saline conditions of this soil. The percentage of sodium on exchange complex does in fact exceed the figure for calcium and magnesium combined and would seem to suggest that there is a very high sodium hazard in this soil. This is further reinforced by the figure of the Sodium Absorption Ratio which is 12.52 at the surface. The fact that alkalinity has not developed under the high sodium figure may, in fact, be due to the high iron content of the soil. The figures for available nutrients show the usual lack of nitrogen and phosphate but it is noticeable that the figure for available potash is extremely high. In fact the figures of 1057 parts of potash is more than double the figure recorded in the other profiles. This is almost certainly due to the fact that potassium is being washed in the area by seepage water.

The saline nature of this profile appears very puzzling when compared to the good crop yields which this area supports. Whether the salinity is closely restricted to the surface and hence does not affect the main root zone, or whether the soluble salts are of a nature which does not inhibit plant growth is a question which needs further investigation.

Profile 7 — Is another example of a dark red Terra Rossa soil and therefore it may be convenient to discuss its analytical data in comparison with that of Profile 6 at the village of Batia. From a point of view of texture Profile 7 represents a clay soil rather than sandy clay. The figures for clay at the surface and at 25 cm., 33.1% and 35.9% respectively. This relatively heavy texture is only exceeded by red Terra Rossa soil at Profile 9. It is also worth noting that the silt fraction of this soil is quite high, reaching a figure of 20.6% at 25 cm. It is also noticeable that this profile is very slightly acidic showing pH 5 which never rise above 6.8. The saturation percentage is also higher than profiles considered

previously, a fact which is resultant upon the finer texture of the soil. The figures for soil carbonates are again quite low.

The figures for cationic exchange capacity range from 31.5 m./100 gms. at the surface to 24.5 m. l./100 gms. at 25 cms. Calcium and magnesium are again the dominant ions, and this fact together with the low figures of soil conductivity would seem to suggest that sodium is easily removed from the soil profile.

From the point of view of total analysis iron and aluminium are again dominant. The data for the available nutrients show that nitrogen is only sparingly present whereas phosphate was much more abundant than in any other profile studies. This is probably due to the richness of the soil in phosphate bearing minerals rather than to any addition by fertilisation. The figures for potash are average for the region.

Profile 4 — is a soil with a completely different pedological history, compared with those profiles described earlier. It represents essentially an alluvial soil which is developed in the alluvium of a wadi bottom and it has been designated as yellowish brown alluvial soil on account of its dominant colour.

The analytical data shows several interesting comparisons compared with Terra Rossa soils. This is by far the lightest soil according to texture which was met in the field study. The sand fraction is as high as 61% at the surface and 65.4% at 25 cms., thus giving the designation of sandy loam. The figures for total carbonates are also high being 56% at the surface and 24% at 25 cms. The fact that these high figures are found in such light textured soil would seem to indicate that there is quite a large influx of lime from the surrounding label. The P₂O₅ is still slightly alkaline at 7.2. Rather surprisingly the figures for cationic exchange capacity are the highest so far met in the area, being 42.55 m. l./100 gms. at the surface and 38.5 m. l./100 gms. at 25 cms. This is probably due to the slightly higher organic matter status of this soil. Calcium and magnesium dominate the exchange complex much more than in the Terra Rossa soils and this is again reflective to the very low figures for the soil conductivity.

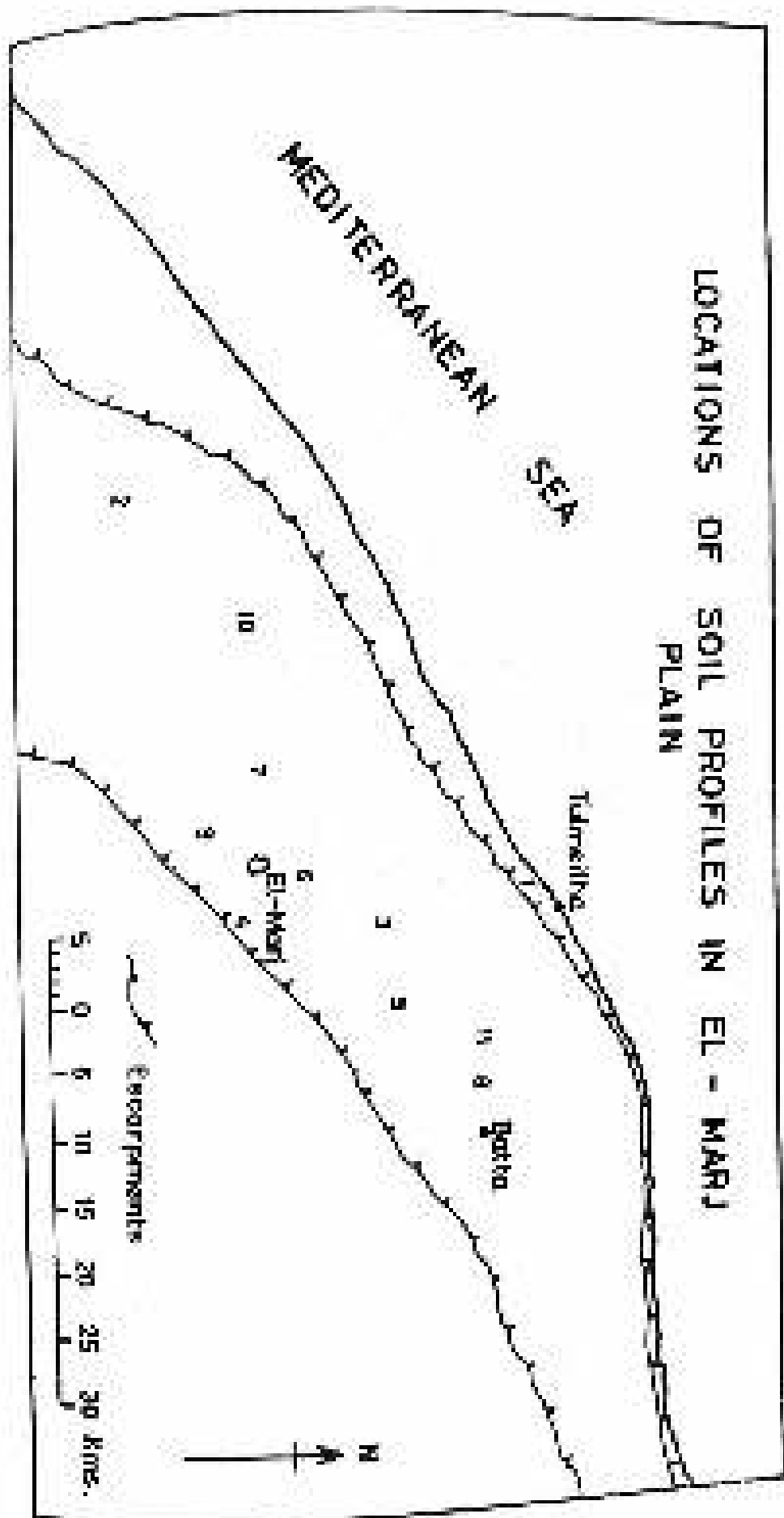
From the point of view of plant food elements the figures for total nitrogen are the highest recorded during the investigation. It is still low however, being 0.59% at surface and 0.19% at 25 cms. The figures for phosphates are higher than average, but those for potash are relatively low. This is rather surprising on account of the influx of mudstone which must occur.

Profile 9 — is the fourth example of a deep red Terra Rossa soil and shows many similarities to those previously considered. The soil is sandy clay in texture and in its upper horizon as with other Terra Rossa is almost completely decalcified with a pH 7.4. The data for the cation exchange capacity is also very similar to Profile 2, and again calcium and magnesium are by far the dominant ions on the complex. Indeed, the conductivity of this soil shows that it has the lowest content of salts of all the red Terra Rossa. The conductivity is 0.77 millimhos/cm. at the surface and 0.63 millimhos at 25 cm. The total chemical analysis again shows the importance of iron and aluminium in the soil. From a point of view of available nutrients the figures 0.5 show the striking deficiency in nitrogen and phosphate already referred to, but the potash status is quite high for a Terra Rossa soil. This is probably due to the relatively high content of potassium bearing minerals in the sand fraction.

Profile 10 — is the only example for which analytical data have been gained of the shallow phases of the red Terra Rossa group. It consists of one metre of Terra Rossa material which has been accumulated on the Middle Bower limestone. Again the soil texture can be classed as sandy clay and again the soil material has been relatively decalcified. The pH. of both the surface and 25 cms. is 7.1. Rather interestingly this profile shows a higher saturation percentage. The cation exchange values are similar to those deep Terra Rossa. Calcium and magnesium are again the dominant ions. The conductivity of the soil is 0.01 millimhos/cm. at the surface and 0.6 millimhos/cm. at 25 cms. The sodium absorption ratio is again quite low.

From a point of view of available nutrients a similar picture

LOCATIONS OF SOIL PROFILES IN EL - MARJ PLAIN



is given compared to the Terra Rossa soils. Nitrogen and phosphate are low and available potash is average. It seems therefore from this examination of these chemical analyses that within the top 25 cm. there is very little significant chemical distinction which can be made between the deep and the shallow phases of the Terra Rossa group. It is likely that differences would occur at depth, but unfortunately no analytical data are available.

Profile 11 — Is an example of dark brown alluvium soil which is developed in a wash bottom 1 km. west of Paria. It is a sandy clay at the surface in texture and a clay at 25 cms. and it is likely that this profile shows a wide textural heterogeneity. It is noticeably true too that the silt fraction shows quite startling variations in the top 25 cms. being 15% at the surface and 54% lower down. It is also interesting that this profile has lost all its humic content, a very interesting contrast with the alluvial soil of Profile 8. The Fe, however, is still slightly alluvial.

Calcium and magnesium are again the dominant ions on the exchange complex, and it is noticeable that this profile shows the lowest conductivity so far examined; these are 0.15 and 0.35 millimhos/cm. at the surface and 25 cm. respectively.

The most interesting aspect of the analytical data, however, is that which refers to the available nutrient status. It is worth noting that this is the only profile which was not taken from a cultivated area and it is the profile which shows the most complete and serious deficiency in plant food. At the surface there was needed 1000% nitrogen, 2.7 ppm for phosphate and 137 ppm of potash, at 25 cms. the figures were 1000% nitrogen, 2.9 ppm phosphate and 121 ppm of potash. These figures illustrate the extreme poverty of the soil as a medium for plant growth.

Soil-Land Use Relationships.

From a point of view of agricultural potential indicated by a soil profile and soil analytical data, a number of considerations regarding the soils can be listed and a brief statement made on

PROPOSED - ANALYSIS OF DATA TO BE MADE WITH AN INSTRUMENTAL ANALYSIS

RECOMMENDATION
by Department of the Army

RECOMMENDATION OF THE ANALYST

Lab. No.	Reference No.	Specimen No.	Specimen Weight (g)	Specimen Volume (ml)	Specimen Density (g/ml)	Specimen Color	Material Elements	
							Total Element Weight (g)	Total Element Volume (ml)
601	1	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
602	2	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
603	3	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
604	4	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
605	5	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
606	6	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
607	7	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
608	8	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
609	9	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
610	10	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
611	11	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
612	12	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
613	13	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
614	14	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
615	15	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
616	16	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
617	17	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
618	18	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
619	19	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
620	20	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
621	21	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
622	22	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
623	23	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
624	24	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
625	25	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
626	26	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
627	27	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
628	28	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
629	29	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
630	30	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
631	31	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
632	32	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
633	33	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
634	34	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
635	35	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
636	36	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
637	37	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
638	38	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
639	39	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
640	40	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
641	41	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
642	42	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
643	43	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
644	44	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
645	45	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
646	46	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
647	47	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
648	48	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
649	49	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
650	50	1000000	100.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00

REF ID: A63290

Lab. No.	Sample	Total Solids, %	Total Imp., %	M ₁ , %	M ₂ , %	CaO	FeO	MgO	SiO ₂	Al ₂ O ₃	Sum
1000	1000	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1001	1001	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1002	1002	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1003	1003	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1004	1004	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1005	1005	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1006	1006	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1007	1007	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1008	1008	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1009	1009	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1010	1010	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1011	1011	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1012	1012	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1013	1013	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1014	1014	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1015	1015	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1016	1016	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1017	1017	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1018	1018	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1019	1019	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1020	1020	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1021	1021	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1022	1022	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1023	1023	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1024	1024	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1025	1025	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1026	1026	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1027	1027	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1028	1028	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1029	1029	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010
1030	1030	75.15	17.10	3.01	1.10	20.24	0.75	0.200	0.400	0.100	0.010

kind effects on plant growth. From a point of view of the physical properties of the soils it has been already noted that the soils in Coventry show a moderately heavy texture varying from a range of clay, sandy clay, and sandy clay loam. The clay contents are fairly high, i.e. up to 88% of the total mineral fraction, but these relatively high figures are generally adequately balanced by a much higher sand content. Thus, the texture of the soils are relatively good from the agricultural point of view, and under favoured methods of cultivation would be able to support quite intensive land use.

In addition with these moderately high contents and given the relatively high contents of aluminium and iron content, the structure of the soil also has inherent favourable qualities. However, under the prevailing intense Mediterranean climate there is a strong tendency for extremely hard and compact structures to form during the intense period of desiccation. The high content of colloids and sesquioxides is likely to be highly affected by the climate regime during the wet absorbent season and the soils are likely to be absorbent in moisture and very sticky whilst during the summer drought they tend to break up into extremely hard clods and soil pans with very obvious signs of soil cracking. With this annual unfavourable change in soil structural characteristics it can be imagined that the problems posed for soil practices are very great. In particular the nature and timing of ploughing operation is critical for the production of a proper seed bed. If the land is ploughed when the moisture content is high the ground is likely to be compressed and there will be a tendency for large clods to be formed. On the other hand it is mechanically impossible to plough many of these soils during the dry season when the soil is compact and extremely indurated. Working the land at this time of the year only produces very strong blocky units of an irregular size. The important point to emphasize here is that under the prevailing climatic regime the soil structures are extremely unfavourable to agricultural management, and under the prevailing agricultural technique there is always a strong tendency towards a structural degradation. This unfortunate condition as regards physical fertility is very widespread in the area.

areas of the Middle East and deserves much more attention in soil conservation.

One point that has to be remembered in this region as in most of the Middle East is that most soils have been utilized for millennia and the processes of degradation, especially those associated with the reduction of organic matter and the consequent effect on soil structure and texture, have had extreme results. It is, therefore, more difficult to discover suitable tillage techniques and cultivation periods than in apparently analogous regions, e.g. for instance, North America where conservation techniques are being applied at a much earlier stage in degradation.

The behaviour of moisture in the soils is, of course, of major importance in chronically marginal areas like Cyrenaica, but unfortunately very little data are available to give an accurate quantitative picture of the soil moisture situation in the area under study although the work of Micheli (7) in Benghazi Plain does provide some preliminary assessment to be made. The hydrological cycle is perhaps one of the major fields of investigation which should be started out in the future of Cyrenaica.

However, from field observation and simple laboratory tests it is possible to outline the major features of the soil moisture regime in the area. Undoubtedly a high percentage of the rainfall on Cyrenaica does not penetrate very deeply on account of low permeable layers and is readily lost by high evaporation in the summer.

From a physical point of view the soils under study have a very high capacity for absorbing moisture and in fact the saturation percentages are quite high ranging from 8% to 20.2%. Ultimately this means that the wilting percentages too are quite high and in fact Micheli(8) estimates that water in the soil becomes unavailable at a percentage moisture of 8.5%. This is very high percentage and points to the fact that much of the moisture in the soil is unavailable for plant growth.

In addition to the basic problem of the availability of moisture for plant growth, the water regime of the soils also presents

problems in the realm of soil structure and land management. The fact that some of the semi-arid areas do provide such great difficulties in the maintenance of good soil structure is a very well known thing and one which is receiving a very great attention at the present time. Anderson(3) has underlined the advances and also the work to be done in this field.

From a point of view of chemical fertility of the soils, in particular the ability of the soils to provide necessary nutrients for plant growth, the picture is more straightforward. The overwhelming fact which must be borne in mind in this regard is the extremely low organic matter in the soils. The organic fraction at the surface ranges from 0.15% organic matter in profile 1 to 2.4% in profile 3. In addition to the unfavorable effects on soil structure which these low figures have induced, the main effect of this is the inability of the soils to provide enough nitrogen for intensive plant growth. This is a very common problem in semi-arid lands and points to the need for improved management practices with greater emphasis on chemical fertilization and the introduction of a leguminous crop in the farming rotation.

The laboratory analysis of available nutrients also indicates that phosphate is poorly available for plant growth. The figures for available phosphate are consistently less than 13 ppm except for Profiles 1, 7 and 8 where larger amounts were recorded. The fact that phosphate is so unavailable is most probably related to the high content of iron and aluminum in the soils. With a high content of iron, aluminum oxides, much of the phosphate will be fixed into unavailable iron and aluminum phosphates. The fact that Profile 1 has a higher phosphate status can probably be explained in terms of its lower content of sesquioxides, but the relatively high phosphate in profiles 7 and 8 are more difficult to explain. In the absence of any addition of fertilizers by humans it is probably related to the mineralogical make up of the soils. Unfortunately this could not be verified by the laboratory analysis.

To summarize the fertility aspect of the soils under study it may be pointed out that such basic limitations as soil depth and

sterility which are often found in the Middle East do not present a serious problem in El-Mari Plain. The Terra Rossa soils are quite deep and provide an adequate rooting medium for plants and the limitations found are much more related to the system of management. In particular such physical characteristics as soil moisture regime and the soil structure conditions point to the need for careful and adequately planned management system, whilst the lack of the organic matter, nitrogen and phosphate in the soil can again be remedied by rational management practices. There is no pedological reason to suppose that under a good management system the soils of El-Mari Plain should not prove particularly fertile.

REFERENCES

- (1) Deuchvalov, V.V. (1956), "The Problem of the reevaluation of the land in European and Asiatic Russia", Moscow 1961.
- (2) Jenny, H., (1911), "The Factors of Soil Formation", McGraw-Hill, New York.
- (3) Ferraro, A., (1935), "Analisi di terreni della Cirenaica", Soc. Ed. Sci. Florence.
- (4) Principi, P., (1963), "Osservazioni su alcune terre rosse della Cirenaica", L'IL. Ag., Rome. Carwell's translation, LATAS, Tripoli, pp. 16-111.
- (5) Reichenberg, A., (1947), "The Soils of Palestine", (Trans.) Whitby, C.F., London.
- (6) Ibid. p. 91.
- (7) Micheli, A., (1956), "Contributo in umidità della "Terre Rosse" della gamma bengazina e sui variazioni in rapporto alla lavorazione del terreno", Firenze.

- (8) Micheli, A., "Report on the Agriculture of Cyrenates",
Rome, p. 13
- (9) Aubert, G., (1912), "Acid Zones Soils", paper of Unesco
Symposium on the problems of the Acid Zones, Paris,
pp. 115-135.

Francesco Bahdegi

Recenti studi di storia musulmana in Italia

Nonostante la presenza di due grandi nomi, Amari e Castelli, gli studi di storia musulmana hanno rappresentato sempre in Italia una realtà. Nell'insieme schiacciata degli arabisti e islamisti italiani, ancor più vari son quelli, nel passato e nel presente, che alla civiltà dell'Islam abbiano dedicato un interesse durato in senso stretto, preferendo studiarne piuttosto gli aspetti filologici, giuridici, letterari, e soprattutto religiosi. È facile qui l'osservazione che, costituendo l'elemento religioso la base di tutta la civiltà islamica, è naturale che ad esso vada soprattutto l'attenzione degli studiosi; ma ciò non toglie il fatto che anche quei due grandi italiani italiani sopra ricordati, tutta una schiera di stranieri (soprattutto europei, poi francesi, Wellhausen e Becker, Lammens e Dauterle, e più vicini a noi un Sauvaget, un Lévi-Provençal, un Cahen), senza trascurare quelle caratteristiche della civiltà musulmana medievale (ma non si potrebbe dire altrettanto di quella del Medioevo occidentale?), abbiano lavorato a lunghissimo corso a tutto l'aspetto religioso, quelli etico-politici, economici e sociali. In Italia, tutte quelle due correnti accademiche, la produzione più propriamente umanistica negli studi arabo-islamici è stata sempre quantitativamente assai scarsa, e anche l'interesse dei nostri islamisti per i grandi problemi di storia generale che sfiorano o incidono nella storia musulmana, basti pensare che la tesi Firenze e la polemica correlative con oggi han trovato qualche eco in favor di arabisti italiani (1). Questa constatazione che ci ha portato a entrare in

modesta a capo del nostro modesto bilancio, modesta quantità di lavoro, data per la superiore qualità di talenti studi, e il medio livello di tutti, non non aligera accanto alla analogia produzione della islamistica straniera. Si potrà giustamente osservare che, almeno per la parte più antica, gli argomenti trattati sono spesso, più che meramente storici, storico-religiosi, il che si spiega con la qualità ristretta ma unitaria, della storia orientale e islamica in particolare svolta su specie difese: ma non senza che ai suoi alcuni indugi-fatti traggono, sotto quel nome di denominazione, la varietà e ricchezza dei soggetti inglobati, delle diverse posizioni.

I limiti di questo nostro rapporto vanno dal '42 al '45, con all'incirca il passato ventennio. Una abbreviata cronaca internazionale generale di storia islamica potremmo menzionare in questo periodo perché composta e scritta principalmente in veste italiana, anche se non italiana: ne è l'autore, lo spagnolo E. Pareja: il quale nel suo vasto trattato di Islamologia ha dedicato alla storia politica di questa civiltà uno spazio che forse, per le ragioni anzidette, non le avrebbe concesso prima d'ora uno studioso italiano. (2). E10 agli storici generali di storia araba e islamica dovuti a Laura Ferri-Vaglieri, sono incluse in opere collattive come la civiltà dell'Oriente sotto gli auspici dell'UNESCO, e la storia universale di Vallardi (3); mentre alcuni limiti e singoli popoli musulmani sono i volumetti su Gli Arabi di F. Gabrieli, e I Persiani di Alessandro Bazzani (4). Ma da questa sia pur alla divulgazione, preferiamoci a passare a lavori particolari. Se la vita forse durata a Michelangelo Guidi, probabilmente scorgiamo nel 1945, avremmo avuto da lui un'opera d'insieme sulla storia e cultura degli Arabi, cui lavorava approssimativamente nei suoi ultimi anni, e che avrebbe rappresentato il frutto di una vita di ricerche e meditazioni in questo campo. Ma ciò che egli arrivò a compiere, e apparve come un postumo frammento (5), è la parte iniziale dell'Arabia preislamica, e la figura e l'opera del Profeta, in cui il Guidi ribadì talune sue idee e principi metodici fondamentali: come rivalutazione della tradizione per ciò che resta di paganesimo arabo e la vita di Meccabetta, sostanziale originalità araba del suo messaggio, pur unitaria delle nove fonti menestriche di legittimazione, giudaiche e cristiane. Come avrebbe poi agli inizi

conquistate e l'impero arabo (gli era a metà ricovero in un
spazio rappresentante di quell'interesse più storico-religioso che
etno-politico verso l'intero mondo dell'Islam) non ci è data ormai
che immaginare. Così come il latino storico-religioso, ma non
senza acuta intelligenza anche del politico, sta alla base della
ricerca della Venera Vaglieri sul periodo delle califati islamici,
il primo sistema e le prime lotte civili (6) ricorre costantemente
appena anche al Ptolema, che costituisce il maggior cardine
della Islamologia italiana nell'ultima ventennina per questo
più vicino fase della storia musulmana.

Dalla scuola napoletana della stessa nostra analisi, che ha
seguito a liberare, per illustrare l'orientalismo problema delle
origini del Ebraismo e della Shia alidica, un gruppo di fuori
medite rimaste finora trascurate per la loro età più tarda, sono
veriti vari altri studi in argomento, di cui, come più schiettamente
non si ricorderemo almeno uno del suo albero o viceversa Ri-
cardo Bazzani, sul califfo Abd al-Malik e gli Umayyad (7); con
essi, entrano in pieno in quel secolo degli Umayyad, oggetti
delle classiche opere di Wellhausen e Lammens, e si direbbe
quindi uno dei meglio noti e studiati periodi dell'antica storia del
Califato. Quanto possa anche spogliarsi nel senso di quelle opere
classiche la precludere da contributi di stranieri come il Cobb —
appare nel tempo prosopografico da qualche più recente lavoro del
colloquio su *Moslims* (successivamente di Costantinopoli, e sul primo
conquistatore arabo d'Italia Muhammad ibn al-Qasim (8), mentre
altri miei studi omayyad sono anteriori al ventennio in questione;
e, in campo archeologico e storico-artistico, dagli studi in corso di
Francesco Stella (9). Certo per l'età omayyade le linee essenziali e
una folla di particolari sono stati fissati da quei due grandi storici
al principio del secolo con così ferma mano, da non lasciare agli
operatori che un lavoro marginale, giustificato sempre dal fascino
particolare di quel periodo, la primavera dell'Arabismo e dell'I-
slam congiunti, allora in piena espansione.

Assai più vasto e libero campo offre invece il periodo
successivo, quell'età abbasside che si stende per cinque secoli, quel
lungo ponte fra le origini dell'Islam e il nostro tardo Medioevo e

che vede il più maturo fiorire, l'Irione è la più iniziata decadenza della civiltà musulmana. Una compiuta storia analitica dell'epoca abbasside, fondata sulle fonti, è ancora da farsi, e solo singoli settori ne sono stati anticipati, come nella ricca storia del visirato, del *Barzakh*. Per quanto riguarda il più recente contributo italiano, citiamo soprattutto gli eccellenti studi di S. Mazzari su cinque linee di califfi (al-Mahdi, al-Radi), su un grande agitatore e propagandista Abu Muslim che portò la rivoluzione abbasside alla vittoria, e altri episodi della preparazione e vicenda di quella stessa rivoluzione (10). La rassegna del movimento di una promettente opera italiana, per essere l'autore per tutto dedicato ad altri campi della storiografia, dapprima coltivati in parallelo con questi temi: i saggi da lui pubblicati su queste regioni abbasside, e quello sulla più antica Siria (11), mostrano la maturazione d'indagini e l'acume critico proprio di questo studioso in ogni campo del suo lavoro, e fanno più ramplangere che la sua opera di un più venturo tempo: accompagnandosi a qualche più vecchio nostro studio su questo periodo, essa segue alcune linee di una futura storia ancor da scrivere almeno del primo secolo abbasside; e di un tal contributo italiano l'Islamistica italiana (Ricordo, Cohen) che ora attivamente si lavora, ha mostrato di tenere il giusto conto. In questa prima età abbasside, si continuano d'altra parte gli interessi e le ricerche di cronografia musulmana cui abbiamo già accennato, facendo capo alla Venera Vaglieri e la stessa dobbiamo un importante studio sulla sopravvivenza del Kharijismo in epoca abbasside (12), nel cui capitolo è stato ulteriormente illustrato da G. F. Sartori (13); e lei ancora uno studio sulle visioni religiose affidate solo agli Abbassidi, integrato da una ricerca di R. Balta (14): tutti lavori in cui l'Indice ha svolto modestamente di reggere e politica in questa storia musulmana non ad evidenza dimenticare.

Ma la storia medievale dell'Islam non si svolge solo nella terra Arabo Anteriana, anche della storia dell'Occidente sono. Una abisside include infatti i rapporti raggiungibili (in una sufficiente documentazione storiografica) fra l'Oriente e il Maghrib islamico, e l'Occidente latino: storia dello Spagna e della Sicilia musulmana, interessi anche in Francia e in Italia, sono molto-

araba e bizantina, Camicione. E' questo il campo che fra noi in Italia dominò in anni giovani Michele Amari, di cui si va ora preparando l'edizione nazionale delle opere, entrato almeno in parte nel circolo della cultura storica generale: quasi Amari che all'appello di altri eminenti nostri studiosi si interessò poco all'Europa quanto lui, e anzi si dedicò alla sua irradiazione ineditata, anche oltre la patria Sicilia. Nel più profondo senso da lui aperto, questa vena non ha visto tutta una fiorita di studi, da parte di storici italiani e anche non italiani, appoggiati, per il loro senso all'Europa e al consiglio degli orientalisti. Così sono nati i due pregevoli volumetti di Giulio Mosca, rispettivamente su Carlo Magno e Harun al-Raschid e sull'elemento arabo di Bari (15), che anche se non appartengono rivoluzionari dei nostri, determinano le vecchie questioni nei punti controversi, diretti o indiretti, delle fonti e soprattutto con spirito storico nuovo rispetto alle prevalenti tendenze (per restare all'affinamento europeo-borseo: Amari lo aveva guardato con l'occhio del patriota italiano del risorgimento, mentre il medievista del Novecento arriva a una più serena ed equilibrata sua valutazione tra le forze coesistenti in quel IX secolo nell'Italia meridionale). Al seguente decimo secolo è riprodotto il rapporto fra Berla di Troiana e il califfo di Baghdad, rivelati da un testo arabo solo una lettera e interpretato a fondo grazie a Giorgio Levi della Vida (16), il maestro degli studi semitici e arabistici che da poco scomparso, anche per la storia islamica una delle sue cose essenziali allo scarsi italiani degli italiani per questo settore (il debito a lui, nell'istruzione e ideale discepolo di Carducci, importanti apporti sul califfo di Ali e su quello di Mu'awiz, antiche entrate al termine di questa nostra rassegna; ma erano tali brani, dell'opera storica di quel grande arabista a essere ricordare anche le pagine sul mondo islamico nell'età di Federico II, con cui già giungiamo al Regno delle Crociate (17). Questo alla Sicilia araba, naturalmente per quanto è possibile di Amari e appena oggi U. Rizzitano, che dalla cattedra di Palermo ha riscosso l'interesse per gli studi arabo-islamici nella prosopografia letteraria, nella geografia, e anche specialmente nella storia: si tratta certo di schizzi e frammenti rispetto al blocco imponente dell'opera amariana ma che stracciano la continuità, o meglio la riprova tra noi di una tradizione giurata, di cui in certi momenti si era dimenticato

la totale estinzione (18). Tra gli ultimi e meno noti frutti della produzione di Amari sono gli studi sulle lotte di Genova e Pisa nel Tirreno contro i Musulmani e per questa parte all'Amari si riattribuisce lo studio singolarissimo che nel Ruggero e Mugiccioli, il signore di Denia e corsaro della Sardegna, ci ha dato anzi fa lo arabo Cleda Cirqua Samelli il cui alto poterore ricerche perveniva il persistente interesse per la storia magliabina e arabo-spagnola. (19) Siamo ormai all'XX secolo, alla vigilia della Crociata. Nel moltiplicarsi della letteraria storia se ci esse in questi decenni (consideriamo la storia a collaborazione multiple di Ula della, e quelle individuali del Rammann, del Wase, della Gildenburg, e la recentissima di E. Cagazzi), può essere insieme una destra d'anni fa, e rivelarsi utile per gli studiosi non orientalisti (20). Il vecchio Bocani parigino è oggi in gran parte superato per la quantità e qualità delle nuove fonti musulmane rese note, e l'indagine storica relativa non può ignorare l'opera del Glab, del Cahen, del Lewis, del Kraemer, del Giesebrecht, su personaggi e momenti di quel periodo visti con critica analisi della fonte musulmana. Per parte nostra, ci sia permesso accennare ancora a due periodici studi nostri su Federico II e la cultura musulmana (21), e sulle Ambasciate di Balbar e Manfredi (22). Oltre al capitolo d'insieme sulla Storiografia araba della Crociata, tutti raccolti da quella nostra antologia (23). Durante l'età della Crociata il califfato abbasside è in dissoluzione, e prima che essa finisca si spegne del tutto; l'Arabismo si va ridiventando come protagonista dell'Islam, e gli succede in sempre maggior misura l'elemento turco. È il periodo in cui dissoltesi ogni superstiti pervenire dell'originario Impero arabo-islamico, vengono sempre più in primo piano i suoi eredi: l'Impero ottomano, e gli Stati che esso protegge o a cui si oppone: Ebrahevi e i Persiani.

La storia politica della Persia musulmana non ha finora destato l'interesse della nostra raffinata istruzione, salvo forse per l'età moderna, del migliore allievo di Rammann, Scarcia (24). Di storia ottomana, dopo il compianto Elton Ross, si è invece occupato con originalità (come Alessandro Bombaci, tra l'altro con una storia su Venezia e l'Impero turco di Ottomano (25), che fu molto apprezzato dal maestro) un contemporaneo di questi studi, il

biografie di Maometto il Profeta Dabinger. Più numerosi però sono i contributi italiani, orientalisti e no, per l'epoca e ambiente mediorientale dallo studio di Maria Nallino sulle relazioni fra Genova e il Marocco nel sec. XVIII (26), ai numerosi lavori di A. Biggio sulla Tunisia berbera (27), fino al libro di S. Boia su i contatti berbereschi (28). Fondato su una scrupolosa disseminazione di dati occidentali, che inquadrano rettamente il fenomeno della crisi della storia geografica del Mediterraneo, e ne intende i fondamentali giuridici entro il contesto musulmano della guerra santa e jihad.

Con Peri è poi più vicina e correa, ma radicalmente lo strappa dalla storia islamica, anzi ci si può domandare se di storia islamica si può ancora parlare, se non nell'accezione di una storia del popolo musulmano: giacché il loro comune denominatore, se non se ne può ancora trovare, non è più tanto il vincolo religioso quanto la nuova ideologia del nazionalismo (ناسوتية). Citando quanto il nazionalismo arabo ha fatto per il nostro impero, si può dire che una volta noi stessi, disorientati il nostro tentativo di trovare le linee direttive di un tale processo nel "Libro dell'arabismo" (29), e ancor più di recente nell'appendice ("Il mondo arabo nell'ultimo cinquantennio") alla versione italiana della *History of the Arabs* del Peri (30). Questo libro è stato il libro di testo per gli studenti di storia e di geografia, che parlando degli ottomani si sono di libertà e democrazia e sono scoppiati in quelli anni diversi dal socialismo. Hanno e possono seguire per quasi tutte le regioni del mondo islamico, arabo e non arabo. Ma senza mai attendere oltre in questo sistema, predistinto che esisteva già in Italia, buona parte dei materiali di storia moderna in paesi islamici, come quella dell'Egitto moderno di P. Mingoni (31) e quella dell'Algeria del Dainoff (32), cui presto si aggiungerà, pubblicato nel 1970, un volume dell'editore per l'Oriente. Ampie cronache non ancora descritte in Italia possono inoltre leggersi su tutti gli avvenimenti islamici della rivista romana *Oriente Moderno*, da quasi mezzo secolo assidua recensoria e commentistica della vita intellettuale e spirituale di tutti i paesi orientali su cui ci è impiccato il segno dell'Islam.

Giunti alla fine della nostra rassegna, possiamo domandarci in quali campi e in quali direzioni sia preferibilmente da avviare la futura ricerca. Sui ovvi presupposti di una la più completa fusione possibile tra la preparazione filologica, cioè l'accostamento dei testi, e lo sviluppo di interessi storici, anche storici religiosi se si vuole, ma rivolto non meno alla storia politica, economica e sociale. In quest'ultimo campo in particolare, che solo in recente ha preso anche nel settore islamico un prodigioso sviluppo, il contributo italiano è stato finora quasi assente per quanto riguarda l'Islam medievale (per l'evolvente accostare è il recente studio di Uta Riese di Meitz sul commercio arabo con la Cina) (23), e anche qui come il sottoscritto si sente personalmente meno attratto da questa ricerca, non perciò ne sconsiglia meno la legittimità e necessità. Ma tutta la storia, economica o no, del cinque secoli precedenti, chiave è storia della civiltà islamica del Medioevo, attende ancora una paziente, sistematica trattazione; e qui resta quella dei secoli di decadenza dell'Islam arabo. Te è per l'Impero arabo d'Egitto ed esempio (nel quale segnaliamo l'iniziativa allarmante studi di K. Hellme, sui suoi ultimi nei *Diari di Maria Samarra*) (24), e quella del periodo ottomano. È una verità sgradevole per noi italiani, ma non perciò meno vera, che molto materialismo indiano e mal compreso, allineato alla storia dei nostri rapporti col mondo musulmano, giace nei nostri archivi e biblioteche, e in più d'un caso studiosi stranieri ce ne vengono a fare adeguata notizia (l'indicata è rimasta ad esempio la matricola del Bonifazi sui documenti ottomani dell'Archivio di Venezia). L'altro campo ancora in gran parte da dischiare è quello della storia contemporanea dei vari popoli e stati a popolazione islamica, ove certo è più facile tracciare linee generali anziché elaborare pazientemente l'enorme materiale della cronaca e pubblicista recente, rilevando dei tali materiali grezzi la storia, come ha fatto B. Lewis per la moderna Turchia. Questa et patrem i più ingenti compiti della più giovane leva. Per

colto il ruolo del lavoro (anche se tale dichiarazione è in linea con
certezze di realtà, e magari di istituzioni a disordine impi-
cato collettivo che feci delle origini, dove appare la più umana
fiducia del lavoro nella sua fase accendibile, ha sempre es-
suto se di noi la più profonda attrazione e noi in quel settore
abbiamo personalmente cercato di contribuire alla scientificità ri-
cerca. Ma più potrà sentire diversamente: spiritus flai ubi vult,
e il loro temperamento sociale trova comunque il modo di mani-
festarsi.

Note

- (1) Si veda il nostro studio *Arabi e Bizantini nel Mediterraneo centrale*, in *"Bull. dell'Ist. Storico Italiano per il Medio Evo"*, n. 76, 1964, pp. 31-46 (con anche nel volume *Islam nella storia*, Bari 1964, pp. 28-35).
- (2) F. PARRIA, *Islamologia*, Roma 1961 (tradotta per un 2^o linguaggio. l'ultima edizione è in francese, Paris 1964). La trattazione storica occupa circa una metà dell'opera intera, cioè oltre 300 pagine.
- (3) *Le civiltà dell'Oriente*, III (Scoria), Roma 1955, pp. 184-261; *Storia universale*, LI, 2, Milano 1957, pp. 184-262.
- (4) F. GABRIELI, *Gli Arabi*, Firenze 1960; A. DABOUANI, *I Fondatori*, IMd. 1964.
- (5) M. GUIDI, *Storia e cultura degli Arabi fino alla morte di Maometto*, Firenze 1951.
- (6) L. VIOCCA VAGLIERI, *Il conflitto AB-Mu'awiyā e la successione kharidgita esaminati alla luce di fonti ibatiche*, in *"Annali Istituto Orientale di Napoli"*, no. IV (1962), pp. 1-82. Accanto a questo importante lavoro (di cui l'esi peraltro non si sentisse una lode di accettazione), non da ricordare della stessa autorevole e impegnativa ricerca prosopografica, nella 2^a edizione della *Encyclopédie de l'Islam* p. 464 v. *Abū e Fātima*,

- (17) S. RUBINACCI, Il califfo Abd al-Malik ibn Marwan e gli Ibaditi, in "Annali Ist. Orientale di Napoli", n.s. V (1958), pp. 79-173.
- (18) F. GABRIELI, L'eresi omayyade Maslamah ibn Abd al-Malik, in "Rendiconti Lincei", ser. 5, V (1953), pp. 32-59; Muhammad ibn Qasim ath-Thaqafi e la penetrazione araba nel Sind, ibid., ser. 5, XX (1955), pp. 345-62, quest'ultimo anche nel citato volume *L'Islam nella storia*, pp. 69-95.
- (19) G. SPERKA, La formazione dell'iconografia del Califfo nell'arte omayyade, in "Annali Ist. di Napoli", n.s. XIV (1961), pp. 527-57.
- (20) S. MUSCATTI, Studi storici sul califfato di al-Mahdi, in "Orientalia", n.s. XIV (1955), pp. 501-314; Nuovi studi storici sul califfato di al-Mahdi, ibidem, XV (1946), pp. 156-79; Le califat d'al-Mahdi, in "Studia Orientalia", XVII (1948), pp. 1-38; Studi su Abu Muslim, I-III, in "Rendiconti Lincei", ser. 5, IV (1949), pp. 325-33 e 414-35, V (1950), pp. 93-105; Les massacres des Umayyades dans l'histoire et dans les fragments poetiques, in "Archiv Orientalny", XXIII (1950), pp. 63-155; Il testamento di Abu Muslim, in "Rev. Studi Orientali", XXVII (1952), pp. 38-46.
- (21) S. MUSCATTI, Per una storia dell'antico Siria, in "Rev. Studi Orientali", XXIX (1954), pp. 231-67.
- (22) L. VECCHIA VAGLIERI, Le vicende del Maronismo in epoca abbasside, in "Rivista Studi Orientali", XXIV (1949), pp. 31-41.
- (23) G. SCARCIA, Lo scambio di lettere tra Harun al-Rashid e Hammam al-Hadadi secondo il "Ta'rikh-i Sistan", in "Annali Ist. Orientale di Napoli", n.s. XIV (1961), pp. 623-43.
- (24) L. VECCHIA VAGLIERI, Divagazioni su due rivolti nidi, nel volume A. Franzese-Gabriel, Roma 1954, pp. 315-50; II. TRAT-TO. La corrispondenza tra al-Mansur e Muhammad 'an-Nafs al-Zakiyyah, in "Annali Ist. di Napoli", XIV (1961), pp. 273-59.

- (16) G. MUSCA, *Carlo Magno ed Harun al-Rasid*, Bari 1955; *L'embraso di Bari* (641-671), Bari 1964 (2 ed. 1977).
- (16) G. LEVI DELLA VITA, La corrispondenza di Bertrando di Trocena col califfo Muḥammad, in "Rivista Storica Italiana", LXVI (1951), pp. 21-32, ora anche nel volume *Aneddoti e saggi arabi e non arabi*, Milano-Napoli 1971, pp. 23-44.
- (17) Il mondo islamico al tempo di Federico II, in *Atti del Congresso Internazionale di Studi Federicoiani*, Palermo 1955, pp. 146-67, e nel vol. *Aneddoti e saggi*, pp. 45-67.
- (18) U. RIZZITANO, Nuove fonti arabe per la storia dei musulmani di Sicilia, in "Riv. Studi Orientali", XXXII (1957), pp. 131-53; Gli Arabi in Italia, nel volume *L'Occidente e l'Islam nell'Alto Medioevo* (Atti del XII Congresso di Spoleto), Spoleto 1963, pp. 93-114. MOLTI altri lavori dello stesso autore trattano di geografia araba sulla Sicilia e l'Italia, e personaggi "occidentali" di origine araba o scendenze arabe nella cultura islamica dopo l'XI secolo. Analogamente, nel quadro della collezione, che sarà presto completata, un rinascimento della Bibliografia arabosicula, La Sicilia dei Musulmani di Sicilia, come è noto, fu ridotta a cura di U.A. Nallin, Catania 1955-1956.
- (19) C. SANFELICI CERQUA, Muḥammad al-Amīr, Cairo 1951. La vita intellettuale a Dama alla corte di Muḥammad al-Amīr, in "Annali Ist. Orientale di Napoli", XXV (1961), pp. 347-422.
- (20) *Storie arabe della Crociata*, Torino 1957, 2 ed. 1962.
- (21) in "Rivista Storica Italiana", LXIV (1962), pp. 5-13, poi nel volume *Dal mondo dell'Islam*, Napoli 1964, pp. 127-53.
- (22) in *Studi medievali* in onore di A. De Stefano, Palermo 1958, pp. 215-26, e poi nel volume *Saggi orientali*, Collana Santa Roma 1961, pp. 97-106.

- (32) Nel cit. volume *L'Islam nella storia*, pp. 101-216 (già citata, in inglese, in *Historians of the Middle East*, Oxford 1962, pp. 90-107).
- (33) editore e traduttore La Taltro di un testo storico (saranno grazie del lungo titolo in peritismo) su Una società islamica contro i Kadiri di Longman nell'anno 1882, Roma 1985.
- (34) in "Rivista Storica Italiana", LXXVI (1964), pp. 151-211.
- (35) in "Rivista Studi Orientali", XXI (1967), pp. 51-76.
- (36) vedi elencati nel volume compilato a cura della Commissione italiana per il Unesco - Contributo Italiano alla conoscenza dell'Oriente, Firenze 1955, pp. 111-12.
- (37) Torino 1931, su cui si veda il nuovo articolo in *L'Islam nella storia*, pp. 135-58.
- (38) Torino 1968, tradotto in inglese e italiano.
- (39) P. H. H. Storia degli Arabi, Firenze 1966, pp. 863-901.
- (40) P. MINGAULT, L'Egitto moderno, Firenze 1968, pp. 863-901.
- (41) R. RAINERO, Storia dell'Algeria, Firenze 1960.
- (42) R. ROSE DI MUGLIO, Il commercio arabo con la Cina dalla Cabiliyya al X secolo in "Annali Ist. Orientale di Napoli", XIV (1961), pp. 223-52.
- (43) M. NALLINO, L'Egitto dalla morte di Qutb Bey All'avvento di Qansub al-Ghuri (1385-1517) nei diari di Maria Samud, in "Rend. Lincei", ser. I, XX (1965), pp. 414-63.

Landed property and economic change in Tripolitania

By Dr. R. Mc Lachlan

School of Oriental and African Studies, London University

One of the many problems facing the planners who are formulating the second Libyan national development plan is the improvement of agricultural productivity. It has been suggested by Libyan economists that a major obstacle to development of the agricultural sector is the confused state of land holding. (1) This paper will discuss the present situation regarding land holding and the nature of fragmentation against the background of economic change.

There are three zones of land holding in Tripolitania, corresponding roughly with the three natural regions into which the country is divided according to the incidence of rainfall. The coastal gardens, a series of discontinuous oases running close to the coast, constitute the first and most important region. Here rainfall is greater than 250 millimetres in an average year and water is available for irrigation from a shallow water table. South of the coast, the littoral slope lands run between the foothills of the interior and the coastal oases, or, in places, to the sea itself. Finally, there is the open expanse of the arid interior.

1 — Ahmad M. A. and Ahmad, A. S., 'Analysis of available agricultural land in relation to agricultural production and planning', Technical Memorandum, Cairo, Five Year Plan 1962.

In the oasis garden area, much of the land is held under private title at the present day. In the littoral steppe zone private ownership by both individuals and tribal groups is the general rule. Lands of the open steppe are held by the Government of Libya, but over large areas occupation by tribal groups has resulted in the practice of communal land holding. Much of the following discussion will refer to the situation concerning land holding in the first two regions.

In the centuries before the Arab conquest of Libya, that is before the ninth century A.D., economic activity in Tripolitania had been concentrated in the fertile oases and hill areas of the north. All available evidence indicates that the resources of these northern areas supported a prosperous and sedentary society engaged in cereal cultivation and orcharding. (2) The Arab conquerors of the ninth and eleventh centuries laid waste the agricultural areas and assimilated surviving human groups to their nomadic society. (3) Thus at the close of the twelfth century, the oases and steppe were united to form a continuous grazing land held by nomadic herding groups.

Since the migration cycle of the nomadic groups is based upon the availability of pastures in different climatic regions at different times of year, the Arabs introduced a simple recognition of different natural regions into Tripolitania. The oases and hill areas of the north were used as refuges during the long and dry summer and as areas of supplementary cropping for grains and tree crops. The early autumn and spring seasons of the open steppe each gave rise to further regional specialization. Accordingly, most tribal groups occupied lands lying along a north-south axis beginning in the oases of the north, passing through the littoral steppe, and ending in the open steppe of the south. The broad division of land use zones which emerged from the Arab

2 — Drew, A., "Orcharding in Tripolitania", *Africa South of the Sahara*, Edited by E. D. Shaw and M. M. Wilson, 1961.

3 — James H. Steward, II, "The Arabs of Cyrenaica", Oxford at the Clarendon Press, 1949.

occupants is reproduced in the present day pattern of land ownership.

During the era which began with the Arab conquests and closed in 1451 with the collapse of effective Turkish rule in Libya, communal ownership of land was associated with annual division of tribal territories among the members of the tribal group. Every member was allotted a number of parcels of land, each located on one of the various types of land within the tribal boundaries. Each individual's parcels were intended to compensate for the differing land use qualities, i.e. grazing land, arable land, woodland, or palmery. Annual re-distribution of lands was necessary to take into account variations in the size of the nomadic group and in the pasture needs of each group over time. All male married members of the tribal group had an inalienable claim to a share of the tribal domains as a personal right and not through inheritance of a father's share. Thus any increase or decrease in the number of families was reflected in the annual division of lands. Similarly, their numbers varied by each family tended to fluctuate widely with variations in herding skill and luck and the uneven incidence of drought conditions throughout the tribal lands. Hence the pasture needs of the individual herding group tended to vary from year to year, often to the degree where the loss of livestock eliminated sections of a tribe from the migration cycle.

The nomadic system and the land holding pattern associated with it was losing much of its vitality by the close of the nineteenth century. Bedouin groups and tribes under the Turkish administration had encouraged permanent settlement in the more fertile areas and all lands of the north. Many tribal fractions and even whole tribes had built semi-permanent dwellings in the oases and had undertaken simple land reclamation works. There was a natural tendency for the owners of the constructions to retain the land on which they were built from one year to another. By the close of the nineteenth century, annual re-distribution of oasis lands in the north was no longer practiced, although herding activity in the steppes continued.

The trend towards arable farming was encouraged by the Turkish administration. Communal land holding had been officially discouraged since the early years of the sixteenth century, when the Turks had first introduced Libya taxation. In the subject territories had been scheduled on the basis of the individual rather than the tribe, and the existence of unknown numbers of tribesmen working over vast areas made administration difficult and often impossible. Early in the eighteenth century it was asserted that there was no legal necessity for a man or woman in a system of joint ownership. But deviations of this kind proved fatal to the Ottoman capital system to have had no immediate influence on the Tripolitanian tribal organisation.

In 1833 the formulation of the Ottoman Land Code explicitly forbade joint ownership by tribes or similar groups. These laws could be enforced only in the northern areas of Libya, since the country was on the margin of Turkish military control. It is apparent, however, that the accumulative force of legislation and the action of local officials in Tripolitania had undermined the strictly communal system by the end of the nineteenth century. In the larger bases of the north, particularly in the environs of Tripoli, many tribesmen had registered their lands with the Turks. In outlying areas such as Misurata, this land was less marked, but even here some five per cent of owners had registered title to their lands.

The trend towards individual ownership of land in the northern areas culminated in the land divisions of Tripolitania mainly in the years 1833 to 1834. Transfer from communal to individual ownership was accomplished by the traditional method of dividing the land by its land use quality and distributing a parcel of each kind of land to each family. This is reflected at the present time in the dispersion of farm holdings over wide areas within the tribal lands and the existence of a large number of non-adjacent fragments of land making up one holding. In Zawiya Usta, one farmer holds seventeen parcels of land. (5) In Tripolitania as a

4 — Enclosure No. 1 Report to the Government of Libya in 1930 and 1931 from informants in the Zawiya area. P.O. No. 87, 208 March 1934.

whole, the average holding is made up of nine parcels, with a range from a minimum holding of two parcels to a maximum holding of 44 parcels. (5) In Tripolitania, fragmentation of land was an initial state of existence for farm holdings resulting from the division of land during the evolution of private property from the communal pattern of ownership. At the present time, 64 per cent of the total area of private agricultural holding is owned by the farmer who works it, 33 per cent is held under tribal ownership and three per cent is held under rental. (6)

An interesting effect of this late transition from communal to individual ownership is that land holding retains a relatively egalitarian aspect even today. Throughout Libya farm size varies as follows: —

Area of farm holdings in Libya — by size groups (7)

Hectares	Number	Per cent
Less than one hectare	11,384	8.5
one to ten	58,583	33.6
ten to twenty	37,067	19.4
twenty to fifty	23,282	11.0
more than fifty	14,151	7.5
TOTAL	144,567	100.0

This feature is even more remarkable if oasis land only is taken into account and land in the dry-land strips eliminated from the totals. In Zawiya Qarya, in the west of Tripolitania, the following picture emerges: —

Area of irrigated farm holdings in Zawiya — by size groups (8)

5 — Averil and Averil, *op. cit.*

6 — Agricultural Census of Libya, Tripoli 1912.

7 — *Ibid.*

8 — Traverso, *op. cit.*

Hectares	Number	Pec cent
Less than one	48	62
1.1 to 2	18	23
2.1 to 33	2	4
3.1 to 4	3	4
4.1 to 5	9	—
5.1 to 13	2	3
10.1 to 15	1	1
TOTAL	79	100

All the farmers interviewed at Zawiya owned oasis land and only three men varied substantially from the average level of ownership. All farmers were residents upon their lands, and it is worthy of note that absentee land-landism was very uncommon in Tripolitania. The use of *Kaghansa* (5) contracts has become more widespread since that time implying an increase in absentee-landism, though of the least pernicious kind.

The reasons for Tripolitania's stepped situation regarding distribution of land amongst rural peoples, particularly vis-a-vis other Arab states of the Maghreb and the Middle East, lie in the peculiar conditions and timing of the sedentarization process. Sedentarization took place at the end of a long period of social and economic evolution and was associated with a highly distinctive geographical milieu, that is the fertile oases and hill lands of the north. The division of these lands into individual holdings was achieved by general consent amongst the communal groups and according to traditional practice. It must be emphasized also that this allotment of lands amongst the tribal members took place only half a century ago, and the operation of fragmentation by inheritance, which will be examined in greater detail later, has not been the sole decisive factor.

5 — *Yerkansa* : A contract under which a farmer may develop, mainly orchard, areas of land owned by another person. The land is normally divided into two equal parts and developed with the farmer taking one half and the owner the other.

Political factors have been important in hampering the rise of a strong landlord class in Libya. Within the tribal organization, the shaykhs of Tripolitania have rarely assumed unified control in anything but name over the group as a whole. Traditionally, the shaykhs were appointed by the tribal members or had to gain acceptance by the majority of members as a basis for their position as head of the tribe. In theory, and often in practice, the shaykh's authority was responsible only for dealings between one group and another group of the same status. Thus the tribal shaykh represented his tribe to shaykhs of other tribes in times of warfare or at social gatherings. The settled political conditions which prevailed in the nineteenth century along the coastal regional emirates, and thereby removed the necessity for the rise of strong and unified tribes led by shaykhs.

The limited nature of Turkish military control in Tripolitania during the nineteenth century was reflected in a flourishing frontier on the geographical margins of the northern areas. Such disturbances were caused by the rise of strong tribal groups and confederations of tribes in the outlying areas. In order to restrain the power of the tribes in these areas, the Turks were at great pains to limit shaykh authority by intervention, bribery and refusal to deal with communal groupings. Thus at the time of the sedentarization in the northern oases and hill lands, the sedentarization in the northern oases and hill lands, the Turkish administration in Tripolitania was unwilling to accept registrations of tribal land in the name of the shaykh. Following the edicts of 1888, each member of the tribe was personally responsible for registering his own land, and for political reasons the edicts appear to have been enforced strictly.

Following the Italian occupation of Libya in 1911, the shaykh assumed a more important role in regional affairs than had been the case under the Turks. In most outlying districts, the colonial administration sought to rule through the shaykhs. The Italians looked on the shaykhs as being vested with wide political power in the life and with ownership rights to tribal land. This decision was not reflected in any material change in the position of independence for several reasons. In the first place, there were no organized

regulations of land during this early period of occupation. More important perhaps, Italian policy was soon changed, since the shukhs led the Tripolitanian revolt against the Italians during the First World War, when Italian forces were driven back into one or two fortified enclaves along the northern coast. After the pacification of Tripolitania in the early 1930's, the Italian administration undertook a policy aimed at removal of shukhi influence from all sectors of tribal government. The lands of dissident shukhs were converted to State domain or sold. By the early 1930's the shukhs had ceased to be of importance as a land owning group.

The present-day pattern of land ownership in Tripolitania is characterized by a relatively even distribution of land amongst rural peoples for the reasons outlined above. But it has been indicated that the allotment of land amongst tribal members was conducted on traditional processes whereby farm holdings were dispersed over wide areas and often made up of a large number of non-contiguous fragments. Obviously, the division of land according to the processes evolved under a herding economy is going to offer many problems to a society whose major economic interest after land division and sedentarization is arable farming and orcharding. Before discussing these crucial matters it will be necessary to examine the nature of the fragmentation of holdings and explain some aspects of terminology.

The following major points arise with respect to fragmentation in Tripolitania. The descriptive word "fragmentation" is used without any generic connotation. The process of parcellement is the division of land holdings into small holdings for inheritance purposes. The process of morcelllement will be regarded as the subdivision of each of several parcels constituting a single holding into smaller holdings for inheritance purposes. An example to illustrate the difference between the two processes should clarify the position. If, for example, a farmer had six plots of land making up his agricultural holding from the time of the division of the tribal lands, which he intended to leave to his six sons at the death or at their marriage, he would be faced with two alternatives. Either he would give each of his sons one plot of land — which would be parcellement — or, he would divide each of his

is that of land into six sections and give each son one section, each of the original plots of land -- this would be mortcelllement.

The operation of Islamic land law in Tripolitania gives rise to the parcellement process. Mortcelllement arises from traditional practice originating in the nomadic herding economy. It has been shown that the nomadic groups use annual redistribution of land to accommodate changes in population numbers and flock numbers. In nomadic society, land was allotted to tribal members on its land use quality so that each member had use of various seasonal grazing lands, primary, arable dry-land and orchard. Land allotments were further fragmented for climatic reasons. The incidence of rainfall in Tripolitania is such that even areas in close proximity receive significantly different amounts of rain in any year. Thus, as an insurance against failure of crops or pasture in one area, nomadic groups would have rights to similar land use areas in different localities. The tribal groups at the time of sedentarisation took these same practices to the northern oases and hill lands, where, combined with the emergence of individual land ownership and sedentary farming, they have produced the pattern of mortcelllement which is apparent today.

Here it will be relevant to discuss those elements in Islamic land law which pertain to Tripolitania as they operate in conjunction with local custom. It is usual that the death of a land owner is followed by the break up of his estates. In Islamic law as operated at the present time, a personal estate, no matter how small, may be left to any number of beneficiaries. Generally the widow has first claim upon some 25 per cent of the total estate usually taken in goods not land, while the residue is normally divided in the ratio of two to one between sons and daughters. In the case of a landowner leaving neither wife nor progeny, his estate is divided among all relatives having claim upon it. It would be unusual in Tripolitania for there to be no beneficiary of an estate, since primogeniture is recognized neither by law nor custom. Families are large, averaging from four to six children per family, hence it is unusual for one child to inherit the whole

of his father's property by virtue of being an only child. (10)

The division of a farm holding need not necessarily take place at the death of a land owner. Following nomadic tradition, sons may take their share of land when they marry and move out of the family dwelling. Two important effects result from the original family and common ownership of his share of his father's land, as the opportunity for integrated family farming operations is reduced and the new farm is separated physically from the family lands. In the second place, if there are three sons in the family when the marriage of the eldest takes place, then the division is done on the basis of one third of the lands each. But it has happened that after the first or even second son has married, the father's second wife has produced a younger generation who have equal claims upon the estate. Thus, the remaining estate is subject to internal division amongst the rest of the family.

In many instances all, if the cases of Tripoharia, land inherited by daughter is farmed as an integral part of the family estate until she is married and bears a son. After the birth of a son, the land may become his property. Thus if a female marries outside the tribe, the land will then constitute a parcel belonging to a man whose main lands lie in a different area, perhaps many miles away. Where this system operates, it adds to the greater dispersion of land property.

The continuing practice of mortgagemen in Tripoharia may be accounted for by more practical reasons than social egalitarianism and custom. To understand the factors which underlie the persistence of the mortgagemen practice in the modern land owning pattern, it is necessary to take notice of the environmental characteristics of the Tripoharian plain and hill lands and the kind of agriculture which prevailed there in the period following sedentarization of the tribes, that is, pre-1911.

The climate of the northern plain and hill lands of Tripoharia is characteristically Mediterranean in type. The area has a mild winter when the greater part of the rainfall is experienced. Spring

10 — Census of 1954, Department of Census and Statistics, Tripoli.

a warmer and drier, and is followed by an intensely hot and dry summer. The arid features of the climate are mitigated to some extent by the availability of sub-surface water supplies at shallow depth which are present throughout the year. In this environment, small areas of land under irrigation can be made to produce a large variety of crops and fruits. The nomadic herding groups take advantage of this situation as they gained interest in sedentary cultivation.

Misfortunalia farming in the northern Tihama of Tripolitania has been a natural response of a subsistence-level community to the possibilities offered by the land resources.

Again it is here again that the problem of fragmentation enters firmly into the argument, since misfortunalia allows the division of different types of land so that the broadly-based activity of the self-sufficient misfortunalia unit may profit from the special value of each land use area. Grazing land is utilized for meat and dairy production, dry land for cereals, irrigated land for vegetables and orchard crops and oasis dryland for palms and olives. Misfortunalia farming organization creates pressure upon land in a unique way that is highly localized and discriminatory between varying land types. Land differences in land are appreciable over short distances even in the areas where transition from sandy dunes to heavy sand to exposed hard pan formations brings about declining soil fertility. The situation of wells, the courses of wadis and roads, and the incidence of palms all tend to accentuate these distinctions.

It is most important to bear in mind that the opportunities for employment outside agriculture were limited in the period before 1948. Seasonal and contract work for Arabs with the Italian administration rarely involved change of place or residence or long periods of residence outside the tribal area. Thus, in this period very few of the sedentary peoples of the northern oases and hill lands gave up their farms and moved to the towns.

The area of fertile, well-watered land in Libya is extremely limited, with only 1.63 per cent of the total land utilized for arable and orchard cultivation. (11) In these circumstances, rural peoples

11 - *Annuaire de l'agriculture*, 1954, p. 41.

held to their lands. As long as the farmer had no scope for employment outside tribal society, and as long as he had to be content with his low standard of living, hard work and low returns were accepted.

It has been shown that there were sound environmental reasons for the continuance of the intercommunal process after the sedentarisation of nomadic groups. Where subsistence farming is practised in Tripolitania, it may be expected that fragmentation of landed property will continue on the pattern outlined. There is a tendency amongst progressive administrators to treat the fragmentation problem as one arising from rural conservatism to be cured by legislation. Certainly, experience at Wadi Qura Settlement has shown that it is far from simple to introduce a system of land holding which varies radically from traditional practices. The Arab farmer has exhibited an attachment to land in his ownership and has often preferred the burden of cultivating a number of dismembered fragments of private land than farm a compact area on a tenancy. Even where the advantages of farming single blocks can be demonstrated, as at Wadi Qura, the Arab cultivator has proved slow to adapt to the new situation. Initiative by the administration in legislation and rural education could do much to mitigate the problems arising from fragmentation. But the underlying causes of fragmentation will not be removed until the self-sufficient farm unit has ceased to exist for economic reasons.

Since 1945, and particularly since 1951, there has been an increasing rate of social and economic change in Tripolitania, and increasing commercial and social contact with areas outside Libya. Closely allied with this impact of new ideas, the pattern of rural life has changed greatly in recent years. Exploitation of oil resources has opened a large number of employment opportunities in the towns since 1951 and the urban market for agricultural goods has grown correspondingly greater.

15 — HALLAM, E.S. 'The Wadi Qura Project. — Its costs and economic aspects', in 'FOUR Studies in Libya', edited WILLIAMS and CHALICE. *Research Papers Series No. 4* (1952), University of Toronto.

The loss of rural population to the towns has been marked since 1931. As this trend accelerates under planned economic development, it may be expected from experience in comparable areas that pressure on land resources should decline.(13) (14)

The release of pressure upon land in terms of persons per square kilometre of agricultural land does not in itself imply a lessening in the strength of subsistence minifundia organisation. The major force being exerted in Tripolitania upon the self-sufficient unit is urban demand for agricultural products. The rural peasant community is not adjusted to appreciate the scope and variety of demand from the towns, but the urban merchants are in a position to do so, and many of them are sufficiently acquainted with the rural scene to influence production. Commercial production undertaken by the peasant removes the economic raison d'être for the self-sufficient basis of the Tripolitanian minifundia unit. The spread of commercial farming and the drift to the towns has permitted the more money-minded and intelligent to consolidate farm holdings, a move which has been followed by many farmers in areas adjacent to towns and main lines of communication. Under these conditions, the morcellement process becomes less appreciable and, after some time it is apparent that legal action could introduce land reform to support the trend. In the immediate environs of medium and large towns, however, use of small plots for house construction has had an important reverse effect.(15)

The major effects of morcellement of farm holdings into a number of non-contiguous plots in terms of physical effort, so that even farm operation is multiplied by the number of plots held by the farmer. From the figures in the following table, it is clear that duplication is the minimum multiplication of farm operations affecting most farms.

13 — BARRY, R.W. 'The farmer and society in Malta', *MAJAL*, Durham 1958.

14 — KENNEDY, D. 'Land reform and development in the Middle East', 1967.

15 — ALAN, J.L. Remarks on the utilization of field areas on the preparedness and capability of field owners for the kind and size of farms and on the land for pasture which emerges. Paper presented to Liberty University—Dallas University Seminar, Faculty of Arts, Darghad, February, 1968.

Number of parcels in oases gardens in Zawiya, Horns & Sahel (16-17)

Number of parcels	Percent of farms		Average size of parcels in hectares	
	Horns & Sahel	Zawiya Oasis	Horns & Sahel	Zawiya Oasis
1	50	5	2.01	2.15
2	10	21	2.01	1.68
3	30	20	2.28	1.54
4	20	18	3.21	1.28
5	10	13	1.00	1.10
6 or more	10	21	0.23	1.28

Only twenty per cent of the farmers at Horns and Sahel and five per cent of the farmers interviewed at Zawiya worked only one oasis plot. The figures tend to back the fact that in Horns and Sahel the number of parcels ranged from one to eight and in Zawiya from one to thirteen. The task of moving labour, implements and draught animals from plot to plot is formidable, especially when farming operations have to be carried through within a short space of time. During the former years of famine the sowing of cereals and other dry-land and semi-irrigated crops must be accomplished rapidly to make optimum use of light rainfalls. At these times, the multiplication of operations arising from fragmented holdings is an important obstacle to efficient practice.

In the oasis gardens, the distance between plots of land owned by one particular farmer may not be great. In the Oases of Zawiya, the distance between plots varies from contiguity to half a kilometre.⁽¹⁵⁾ Experience in other areas of Tripolitania is rather different. Dispersion of plots is greater in Misratah, for example, where one farmer in the District of Horns also owns land in a

15 — *Foodways*, op. cit. (Chapter 21, 29 farms).

17 — McCausland, (Chapter 21, 54 farms) quoted in a geographical study of the coastal zone between Derna and Misratah, Tripolitania, A geography of economic growth, Durham University, 1961.

18 — *Foodways*, op. cit.

neighbouring district with some five kilometers separating the two areas under cultivation. Considerable distances between plots of land constituting one holding obviously aggravate the problems outlined previously.

The recent spread of commercial agriculture in Tripolitania has been associated with the use of modern systems of water lifting and reclamation for semi-irrigated winter and irrigated summer cropping. The dispersion of landed holdings has proved the greatest obstacle to the use of these modern systems, and in some areas of intense fragmentation has precluded their use. In areas of fragmented holdings, irrigation is wasteful and expensive, since the well owned by a farmer is rarely situated centrally to his parcels of land. In practice, most commercial farmers faced with this problem use that well on their lands which is best suited to continuous extraction of water by means of motor pumps. From the well-head, water must be led to each of the irrigable plots of land by means of roughly constructed channels which often pass over pathways, cross sandy palmieries and skirt other farmers' fields. Quite apart from the cost of constructing and maintaining water channels, the system is physically inefficient. Losses of water through evaporation, seepage and theft along the courses of the channels lead to an average water loss of about 50 per cent of the water leaving the well-head. Thus, the arguments for consolidation of holdings are gaining general currency amongst commercial farmers, most of whom face these problems.

A distinct field pattern has evolved in association with the practice of morcellement in Tripolitania. The attempt to share parcels of land on a basis of equal surface area and quality has led to a haphazard field shape emerging in the rural landscape. The present pattern of field boundaries in the Sabel el-Ahamed illustrates the range of shapes which have resulted from the morcellement process (see Figure 1).

One problem arising from the pattern of field boundaries is that access has to be provided to each separate plot of land. In many cases of northern Tripolitania, a large proportion of valuable land is given over to paths and tracks. Further problems are the

extended lines of irrigation channels which become necessary to transfer water from well-head to non-adjacent fields along all intervening boundary walls. All in all, narrow and irregular strips of land tend to aggravate the problems already noted concerning fragmentation and the maintenance of old techniques.

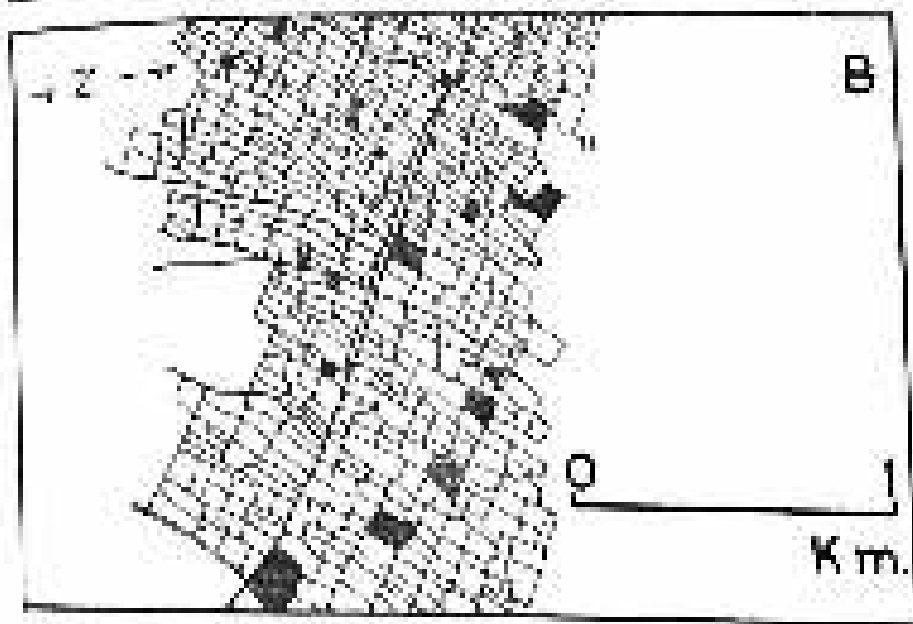
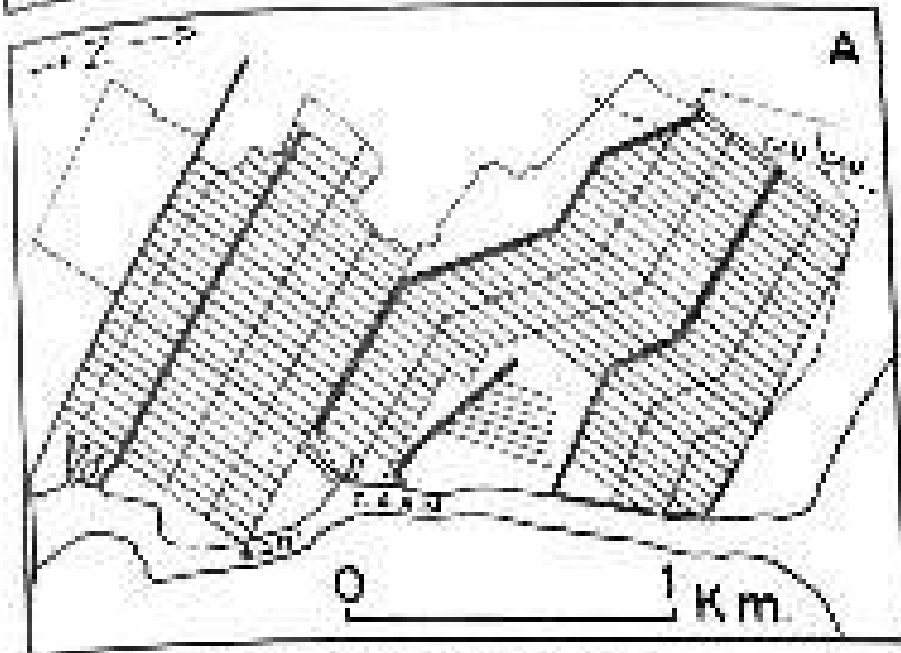
It will be apparent from this discussion that the agricultural landscape is undergoing a gradual change in terms of field size, field shape and the configuration of farm holdings. In the course of the last fifty years, land holding has moved from the communal to the individual owner. In this process, steppe marts and the character of the physical environment served to produce a self-sufficient farming economy based on a highly developed sense of differences in land quality, expressed through the practice of marcelllement.

Knowledge of modern agricultural methods has spread amongst the Arab farmers since 1951. Field extension work by government and other organisations such as the Food and Agricultural Organisation has augmented the impact of commercial urban pressure on the agrarian economy. Furthermore, opportunities for employment outside the agricultural sector have become more numerous since the beginning of intensive development of oil resources. The spread of commercial agriculture and increasing opportunities for urban employment have had an impact upon the nature of land holdings in Tripolitania, and it seems likely that the worst features of marcelllement will disappear in the future. Nonetheless, the dispersion of land holdings and the established effects of the marcelllement practice represent an obstacle against which the introduction of modern techniques of production will have to bear heavily.

GROUND PLAN

A - WADI CAAM PROJECT

B - OASIS GARDENS



- Waste land
- Wadi
- Field boundary
- Road
- Irrigation canal

NEWS OF ACADEMIC ACTIVITY

CONFERENCE :

'Libya in History'

From 18th March 1968, for eight days until 26th March, the first conference of the Faculty of Arts of this University was held in Benghazi: its theme was 'Libya in History'.

As the centre of historical studies and research in the country, the Faculty was the natural choice for such a conference. Libya has been the witness of so many eras of civilization, which enjoyed a brilliant history and left behind a large cultural and architectural heritage, that the subject for the Faculty's first conference was self-evident. Occupying a unique geographical position linking East and West, with a long Mediterranean coastline, and inserting into the African interior, Libya has played a significant and leading role in the history of the area.

It was consequently expected with confidence that a conference of the leading scholars specialising in Libyan studies, contributing the fruits of their most recent research, could not fail to throw new light on the country's long historical record. The results which will be published in two volumes in the near future have in every way justified the hopes of the University and the Faculty.

Programme of the Conference

SATURDAY, 10th MARCH, 1968

Inauguration

HR Mawla Abdalla Darou: Minister of Education
HR Abd-al Mawla Tugman : Rector, the University of Libya
Dr. Mukhtar Mawla Bani: Dean of the Faculty

First Session

1. C.B.M. McBurney, University of Cambridge :

Libya's Place in Pre-History

2. Written Contributions :

A. Fabrizio Mori, Rome :

Prehistoric Rock-Paintings in Fezzan

B. Tahar Hqit, Department of Antiquities, Tripoli

Libyan Cultural Relationships in Pre-History

Second Session

1. P.F. Gadhafi, University of Libya :

Problems of pre-Herodotean sources in Libyan History

2. M.K. Ezama, Ministry of Education, Libya :

Mutual cultural exchange between Libya, Egypt and Greece

SUNDAY, 11th MARCH, 1968

Third Session

1. E. Chamoux, Les Sables, Paris:

The Epigraph of Euphemos

2. L. Noddy, University of Libya :

Afterdinner III

Written Contribution :

1. Boardman, The Ashmolean Museum, University of Oxford :
Reflections on the Greek Pottery Trade with Teos.

Fourth Session :

1. J.B. Ward-Perkins, The British School at Rome :
Pre-Roman Elements in the Architecture of Roman Tripolitania
2. M. Abul-Abim, University of Ain-Shams, Cairo :
Libyans and Greeks in Ptolemaic Egypt
3. A. Sadawya, Department of Antiquities, Cyrenaica :
The Greek Settlement in Cyrenaica, with notes on Pottery discovered there

MONDAY, 16th MARCH, 1963

Fifth Session :

1. Lady Owen Brogan, University of Cambridge :
First and Second Century Settlement in the Tripolitanian
Pre-Desert.
2. P. Romanelli, Accademia Nazionale dei Lincei, Rome :
Libya in the setting of North-African Archaeology.
3. M.P. Squarciapino, Department of Antiquities, Rome :
Reflections on the Sculptures of Lepcis Magna.

Written Contributions :

- A. R. Goodchild, University of London :
Roman Roads of Libya and their Milestones
- B. Ad. Viss, University of Perugia :
(i) The Knapia of Tripolitania
(ii) The Mausoleum of Sabratha.

Sixth Session :

1. J. Reynolds, University of Cambridge :
Inscriptions of Cyrenaica : Progress Report
2. S. Stronch, University of Rome :
Outline of the History of Cyrenaican Architecture
in the Greek Era
Written Contributions :
A.R. Qadisi, Department of Antiquities,
Tripolitania :
Libya in Severan Times
D.K. Abu-Hamad, Department of Antiquities,
Tripolitania :
The Phoenicians in Libya

TUESDAY, 19th MARCH, 1968

Seventh Session :

1. L. Thompson, University of Ibadan, Nigeria
Roman and Native in the Tripolitanian Cities in
the Early Empire
2. L.P. Kirwan, British Institute of History &
Archaeology in East Africa :
Roman Expeditions to the Upper Nile and the
Chad-Nile Region
3. C.M. Daniels, University of Newcastle upon Tyne :
The Garamantes of Fezzan
Written Contributions :
A. R. Giarisai, Paleontological Institute, Florence
Fezzanese Rock Paintings
H. M.S. Ayoub, Department of Antiquities, Fezzan
Jerna at its prime : III-450 A.D.
C.N.S. Ayoub :
The Campaign of Cornelius Balbus

Fourth Session :

1. A.H.M. Jones, University of Cambridge :
Frontier Defence in Byzantine Libya
2. C.J. Smith, University of Newcastle upon Tyne :
The Centaurs of Tripolitania and their Antecedents

WEDNESDAY, 20th MARCH, 1963

Fifth Session :

1. M. Ziadah, American University of Beirut :
The Libya of Al Hassan al-Wazzani and Marmar
2. A. Hamdani, American University in Cairo :
Libya in Fortified Times
3. P. Valla, Royal University of Malta :
The Relations between the Order of Malta and Tripoli

Written Contribution :

- Musta Sadruvya, Department of Antiquities, Benghazi :
Condition of Libya as described by Haj Abu Salim al-Akshi.

Sixth Session :

1. M. Elton, Minister of Education :
Some Aspects of Libyan History in the 19th Century
2. O. Ismail, University of Libya :
Conditions that led Ali al-Jazairi to occupy Tripoli.

THURSDAY, 21st MARCH, 1963

Seventh Session :

- Mr Duncan Cumming, London :

The Somalys in the First World War

Written Contributions :

G. Z. Qasbi, Ain Shams University, Cairo :

The Role of Egypt in the Libyan-Italian War.

Final Session :

Saturday and Friday, 22nd and 23rd March, 1968

Archaeological Tour to the Green Mountain

JOINT LIEFAX UNIVERSITY —

LONDON UNIVERSITY RESEARCH PROJECT

The Geography Department in the Faculty of Arts, University of Libya, and the School of Oriental and African Studies in the University of London agreed to carry out a joint research project to study development in Libya from the points of view of geography, economics, sociology and anthropology, particularly the development following the discovery of oil.

Implementation of the project is to follow the guide lines shown below, and work on the land use survey has already begun.

1. The survey covers Eastern, Western and Southern provinces of Libya (Cyrenaica, Tripolitania and the Fezzan). In particular, the survey includes samples of areas under the following heads:

- (i) ex ENTE and OMS settlements ;
- (ii) new agricultural states established by the National Agricultural Settlement Authority ;
- (iii) small-scale private units ;
- (iv) private large-scale units.

2. Farm Questionnaires are undertaken in association with the land-use survey and aimed at providing information relevant to:

- (i) Farm budgetary

- 2) domestic budgetary
- 3) tenurial conditions
- 4) land ownership conditions
- 5) social and economic problems of farmers in the categories outlined above

3. **Other Field Research.** This includes study of relevant factors of economic and social change in sectors other than the agricultural sector. In particular examination is made of demographic, agricultural labour, migration and other topics which are deemed necessary for the purpose of the survey.

4. **Organisation of the Survey.**

Areas covered by the field work are:

1. Jebel Akhdar and areas immediately adjacent.
2. Beqaa Plain and Bekaa zone
3. Litani-Hama zone.
4. Jebel Nefusa (Melk to 'Antizan frontier).
5. Jezira East (Tripoli — Zuhra)
6. Jezira West (Tripoli — Ghaz Khatat)
7. Coast of Tyre.

Groups are constituted by representatives from:

- Staff of the University of Libya
- Students of the University of Libya
- Staff of the University of London
- Post-Graduate students of the University of London
- Research Associates of the University of London

The survey is receiving financial and material support from:

- University of Libya

- School of Oriental and African Studies, University of London
- British Petroleum Company.

The work is in co-operation with:—

- Libyan National Agricultural Settlement Authority
- Ministry of Agriculture, Libya
- Food and Agricultural Organisation of the United Nations.

The Libyan side of the project is directed by Dr. Mukhtar M. Bani and the London side by Dr. Keith McLaughlin and Professor Edith Penrose of the School of Oriental and African Studies. Studies is Supervisor of the project.

Field work began in February 1967. The second stage of the field work was carried out in summer 1967 and the third in February, 1968. The final stage of the field work will be in the summer of 1968. The data collected will be processed by computer in London University, and the final report of the project will be produced at the end of 1968.

A BRIEF NOTE ON THE JOINT RESEARCH-PROJECT:

"WASTAGE IN EDUCATION"

The Ministry of Education and the University of Libya have always felt the need for a careful study of the educational situation in Libya. There are nearly 300,000 students in Libyan primary and secondary schools and institutions of higher education, and large amounts of money are being increasingly invested in education as a vehicle for social and economic development. The immediate aim of this paper is to give a brief survey of the development of education in Libya since independence and to give an outline of a research project being undertaken jointly by the Ministry of Education and the Faculty of Arts.

When Libya achieved sovereignty in December, 1951, her economic position was not one to inspire confidence in her future. Within the field of economic development Libya was, as B. Higgins wrote, (1) "a special case from almost any point of view". A quotation from A. Lockwood's "Libya — building a desert Economy", sums up quite succinctly the educational situation in Libya prior to independence: "Not only had formal education been practically non-existent but any training at all had been unusual, the Italians having brought even their domestic servants from Syria." (2)

In view of the first UNESCO mission to Libya, "Libya (had) only one major untapped resource: the latent skills of its people". (3) In this context the role of education and training became very clear. Education was seen as, "the core of both economic and social development in Libya. It is in the increase in efficiency through education and training that one must look for much of the initial increase in Libyan productivity."

The Libyan Government too, was well aware of the importance of education as the first speech from the throne to the first session of the new Parliament had shown. In his speech from the throne, His Majesty King Idris I stated, "My Government fully realizes that education is the only factor apt to make the nation an effective force keeping abreast with the procession of dignified life and modern civilization; it is the beacon which guides the people and enables them to realize their ideals and grasp the effective means of progress towards perfection."

The newly-established Libyan state pledged itself fully to provide free, universal, and compulsory education for all the children of Libya, and articles 28, 29 and 30 of the Constitution called for the expansion of educational facilities.

(1) B. Higgins, "Stereotypes in Libya" Paper — Cambridge 21.1.1954, Nov. 1954.

(2) A. Lockwood, "Libya — building a desert Economy".

(3) Report of the UNESCO Mission to Libya — 1956.

Great strides have been taken culminating in the establishment by a Royal Decree of the University of Libya in 1965. The purpose of this joint research project is to take stock of our educational achievements since independence especially in view of the changing economic and social situation. It proposes to do this by trying to assess and indicate the cost and volume of wastage in education, starting with the primary level.

The joint-research committee was set up following a ministerial order that was issued on the 21st February 1968. The Committee includes representatives of the Ministry of Education and the Faculty of Arts under the chairmanship of the Dean of the Faculty of Arts.

The Committee has had a few meetings and made several visits to primary schools in the Tripoli and Benghazi areas. The Committee has also established a working relationship with the Educational and Psychological Research Centre at the University of Baghdad where a similar research project is being undertaken.

Public Lectures

- 1) Dr. Abdelrahman KADAWI: Reflections on Arab culture.
- 2) Dr. Nur Tashir: Some views concerning the nature of creativity in artistic and scientific works.
- 3) Dr. Mustafa Hamid: Islamic mysticism: valuation, recognition of truth and type of conduct.
- 4) Dr. Mohammed Ali al-Kayser: Why do we need?
- 5) Dr. Galil Khayat: The professional code.
- 6) J. Weaver: English contributions to arabic studies.

Visiting Lecturers

- 1) Dr. Mohamed Abdelhadi Ibn Ashour: Religious Method in comparative studies of Religion.
- 2) Amin Bilinski, Dean of the Faculty of Arts in Ankara University: The Political, Social, and Administrative Situation in Ankara in the first centuries.
- 3) Mahmud Khayyat, Professor of the History of Islamic art in Ankara University: Constructions in Anatolia.
- 4) Abdel Aziz AL-Qasbi: Educational planning and economic development.

Abstracts

- 1 -

THUCYDIDES

by

Professor L. Nelsky

Thucydides, the Athenian, was the first historian to write a contemporary history, and to apply the scientific method to history. Endowed with the superior culture of Periclean Athens and equipped with the new spirit of enlightenment, Thucydides took upon himself to write the history of the Peloponnesian War (432-404 B.C.) in which he served as a general for a short time before he was banished in 424 by his countrymen and remained in exile for about twenty years, returning to Athens after the end of the war. His exile enabled him to collect material for his work, obtain the points of view of both sides of the belligerents, and scrutinize his information at leisure.

Thucydides did not think highly of his predecessors, because of their lack of the sense of discrimination, their readiness to accept ancient traditions and their propensity to "please the ear rather than to state the truth". His ideals of history are different. They are accuracy, objectivity and impartiality. He tells us: "I thought it proper to record the facts of the war, without from chance information nor from my own impression, but in accordance with the most accurate investigation possible of each part."

than not only in the situation of which I heard from others, but also in those in which I was present myself."

In contradistinction to Herodotus, Thucydides makes no allowance for the interference of Divine Providence in shaping the course of events. Men were the cause of the war and its result depended on the ability and integrity of the protagonists: leaders much rather than on their resources.

Thucydides' political insight reveals itself by his discrimination between the immediate and real causes of the Peloponnesian War. Having realized that the growth of Athenian power to such dimensions that frightened Sparta and her allies, Thucydides traced the growth of this power since the Persian Wars, and discussed the problems attending the rise and maintenance of political power. The same political insight appears in the description of the war itself illustrating the effects of the plague, successes and reverses during the course of the war, as well as the atrocities and moral disintegration concomitant on war, fallen states and injustice of the powerful to the weak.

To portray the psychological aspects of power and the underlying motives of policy, Thucydides included in his history speeches by statesmen, ambassadors and generals, warning the reader that the speeches symbolized not only the purport of what had actually been said, but also the arguments he himself had considered most appropriate in such occasion and speaker. Indeed, Thucydides' speeches are his highest literary effort and pregnant with deep reflections and analyses, but however much Thucydides' analysis and political insight are appreciated, there is no gainsaying that his resort to this method is questionable, not only because of its pernicious influence on many generations of later historians who imitated the strategy having his gifts or the ability to attain his

loyal standard in truthfulness and impartiality, but also because it will be for ever impossible to find out what was actually said on each occasion, or as to assess it independently.

If this is unforgivable, one may forgive Thucydides the very few instances in which he forsakes his impartiality, as when he criticized Cleon mercilessly, or showed his unbounded admiration for Pericles and Athens. His views on certain topics may be open to question and his method of dating the events of the war is primitive. All this, however, does not detract from the greatness of his achievement, for his history is complete.

If critics are prone to single out as outstanding Thucydides' account of the causes of the Peloponnesian War, the speeches — particularly the funeral oration delivered by Pericles in honour of those who fell during the first year of the war — and his story of the Sicilian expedition, Thucydides' greatness must be judged by his conception of the history of the war as a whole, his critical insight and analysis, his scientific method and humanitarianism, which have earned him the admiration of all generations and placed him on a lofty pedestal, by almost, high above all the historians of the present world.

— 2 —

Views concerning the Nature of Originality in the Works of Artists and Scientists.

By Prof. Muriel Jaffe

The views of Lombroso, Galton, Sternschneider, Freud, Jung and Pontani concerning the nature of originality in the scientific and artistic works are briefly stated and critically evaluated in the light of modern physiology of the cerebral mechanisms. Since mental activity is an activity performed by the brain, it is subordinated to the laws of neurodynamics. On the other hand, cultural

creates special forms of behavior, modifies the activity of the mental functions and adds new turnings to the development of system of human behavior. This is the basic fact of which we are persuaded by every page of psychology of primitive man which studies cultural — psychological development in its pure, isolated form. In the process of historical development social man changes the ways and means of his behavior, transforming natural functions and conditions, elaborates and creates new forms of behavior — specifically cultured forms.

The behavior of a modern cultured adult is the result of two different processes of mental development: the process of biological evolution of animal species which gave rise to the species of homo sapiens and the process of historical development which has transformed primitive man into cultured man.

When Newton was once asked how he had managed to discover the law of gravitation, he said, "Because I kept thinking about it." The "lunar" Cosser, the great French naturalist, defined originality, on the basis of Newton foregoing words, as persistent attention.

When Newton thought of his theory of gravitation, the concrete aspects of his thought was not formal in his materials. They were familiar. His originality lay in the use to which those familiar aspects were put, he introducing an unfamiliar context.

The formation of creativity implies the organization by the individual of the forms of activity worked out by mankind in the course of its socio-historical development. Thus man's creativity depends not only on the activity of his brain, but above all level of historical development attained by mankind. Consequently,

creative work in art and science are the results of a process in which all aspects of mental life of man take part and also the skills which are required to realize a creative design and is acquired by training and social practices.

The educational conclusion is that all thinking is original in projection of combinations which have not been previously apprehended. The child of six who finds out what he can make by putting five books and five books together, is really a discoverer, even though everybody else in the world knows it. For one person's abilities are compared in quantity with those of another is none of the teacher's business. It is irrelevant to his work. What is required is that every individual shall have opportunities to employ his own powers in activities that have meaning.

**BULLETIN OF THE FACULTY
OF ARTS**

**Bulletin of the
Faculty of Arts**

Issued annually

Deals with academic studies in the field of Humanities. All correspondence and subscriptions should be addressed to :

Dean of the Faculty of
Arts

Libya University
Benghazi-Libya

Price of each copy : 50
pennies = 10 shillings =
\$2.50. All rights of publica-
tion reserved by the Facul-
ty of Arts, University of
Libya, Benghazi.

Reproduction of any arti-
cle is subject to the written
permission of the Faculty
of Arts.

The Faculty of Arts wishes
to make it clear that opi-
nions expressed in articles
published in this Bulletin
are the personal views of
their authors.

UNIVERSITY OF LIBYA

**BULLETIN OF THE FACULTY
OF ARTS**

Associate editor :

Dr. 'Abdunahmān Badawī

Editor :

Dr. 'Ishāq Bura

Vol. II, 1968

TABLE OF CONTENTS

Articles in Languages other than Arabic

Editorial By Dr. Mukhtar Bura.....	7
1. Dr. Gerald H. Blake : The form and function of Miskhan's commercial writing	9
2. Dr. Mukhtar Bura : Soil analysis and its relation to land use in al-Mariy plain, Dymna	41
3. Prof. Francesco Gabrieli : Ricerche sugli di versi musulmani in Italia	71
4. Dr. K. Mc Leishan : Landed property and economic change in Tripolitania	85
News of Academic Activity - Conference: "Life in Egypt"	103
— Joint Libyan University - London University Research Project	104
— A brief note on the joint research project: "Workings in Education"	111
— Public lectures	113
Abstracts	114

Articles in Arabic

1	Dr Ibrahim Neshi : Thucydides	9
2	Dr. Hassan Awad : Urban centres in the oases of the Sahara: a study of a type of urban growth in arid zones.	26
3	Dr. Abdurrahman Badawi: Cynatic philosophy in arabic sources.	39
4	Abdallah Gannou : Sheikh Ahmad Zarrun, a mystic born in Misratah.	174
5	Uthman al-Hak: Libyan culture: Translations and Publications	173
6	Dr. Muhi Gaddar: Some views concerning the nature of creativity in artistic and scientific works	197
7	Dr. Abdurrahman Badawi : Book review	270

EDITORIAL

The Faculty of Arts has great pleasure in introducing to readers workers and scientists interested in the humanities the second volume of the Bulletin of the Faculty of Arts. A long period has elapsed since the publication of the first volume, but we would like to stress that this delay was for reasons beyond the control of the Faculty.

We believe that a University should not only be a place where lectures are delivered, but also an institution which contributes to research and academic studies. This is particularly true now that improved communications and technological advances are bringing all parts of the World into closer contact with each other, and facilitating the exchange of knowledge and ideas.

Libya today is witnessing rapid social and economic growth, and parallel to this is the development in the sphere of education. This fact has inspired the Faculty to contribute in this sphere by opening the way for the publication of scientific research in an attempt to make available the work of scientists who devote most of their time to the study of Libya, by means of both publications and conferences.

The Faculty has begun to carry out many research projects, on both a national and an international scale, and this research deals with various aspects of Libyan environment, so that the social and economic development of the country may be built on a sound scientific basis. Therefore, I hope that this Bulletin will be a focal point for the study of Libyan affairs in particular.

and Islamic affairs in general. The Bulletin is issued annually at present, but we hope that in time it will be possible to issue more than one volume in a year.

We hope also that this Bulletin will be a cornerstone in the building of scientific research in the human life, and will thus contribute to the continuation of the cultural advance in Libya which has been inspired by H.M. King Idris I and which has continued throughout his reign. We hope that the publication of this Bulletin will be a regular event, in order that it may fulfil its duty in the diffusion and encouragement of scientific research.

Mukhtar Bura
Dean of the Faculty
of Arts

UNIVERSITY OF LIBYA

**BULLETIN OF THE FACULTY
OF ARTS**

Vol. II, 1968